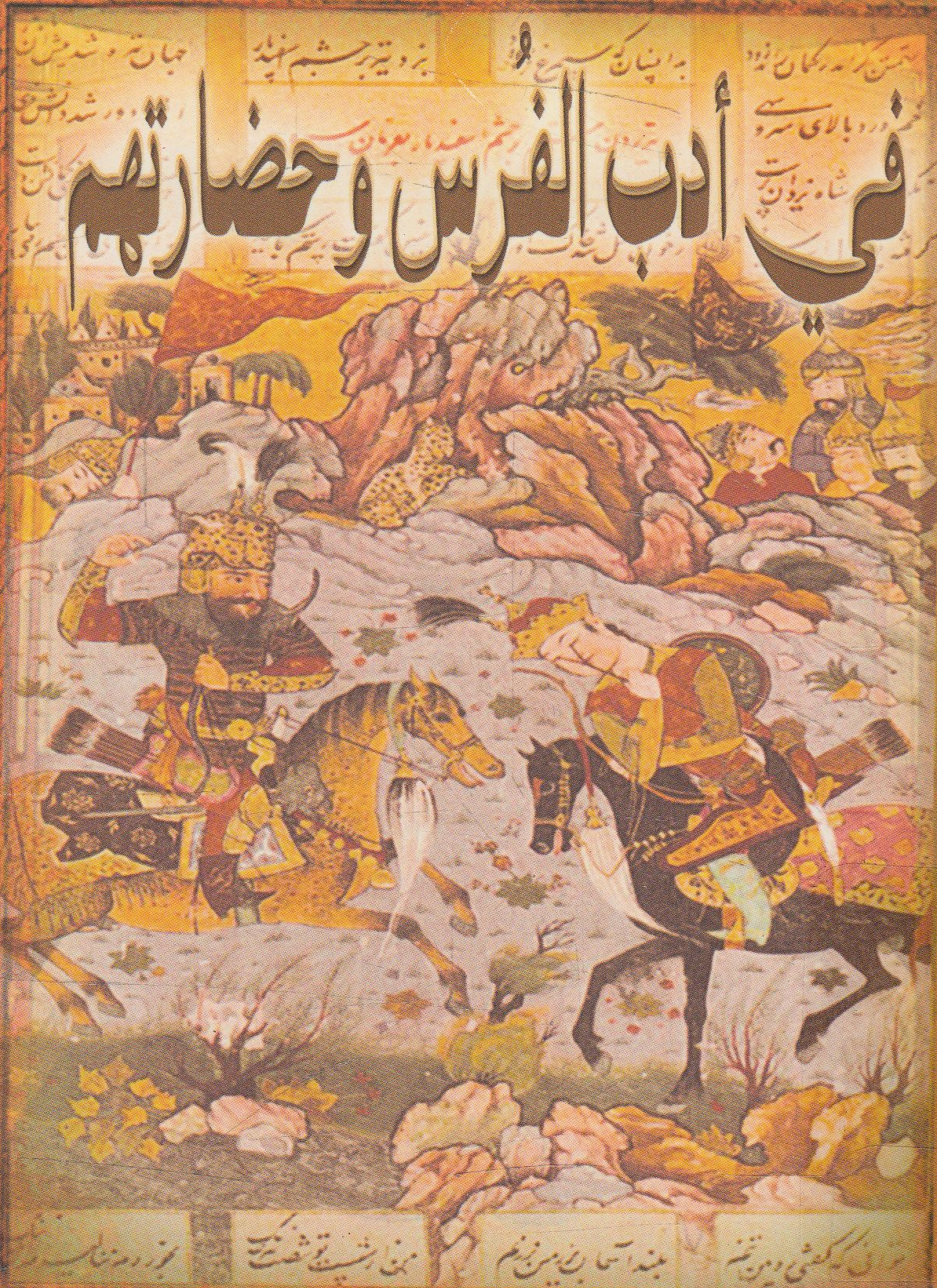


نصوص ومحاضرات

١٩٧١



الدكتور محمد عبد السلام كفاي

أستاذ الآداب الإسلامية بجامعة القاهرة  
وجامعة بيروت العربية





# في ألب الفُرس وحضارتهم

نصوص ومحاضرات

المرّكّز محمد جبر (الملك) كفاية

أستاذ الآداب الإسلامية بجامعة القاهرة  
وجامعة بيروت العربية

١٩٧١

التصميم الأكاديمي والإعداد والمراجعة  
• الأستاذ الدكتور/ محمد إسماعيل حامد  
• السيد الدكتور/ أنس عطية الفقي  
• السيد/ سامي حنفي كماله  
مركز جامعة مصر للعلوم والتكنولوجيا للتصميم العلمي والنشر  
MUST Center for Scientific Designing and Publications

رقم الإيداع بدار الكتب والوثائق القومية: ٢٠٠٩/٢٣٩٤٧  
الترقيم الدولي للكتاب: ١-٠٩-١٣٥٣-٩٧٧-٩٧٨ ISBN  
© حقوق الطبع والنشر محفوظة لجامعة مصر للعلوم والتكنولوجيا - القاهرة ٢٠٠٩  
في أدب الفُرس وحضارتهم - نصوص ومحاضرات  
الدكتور محمد عبدالسلام كفاقي  
القاهرة: جامعة مصر للعلوم والتكنولوجيا. ٢٠٠٩

طبع في مصر بواسطة برنت رايت للدعاية والإعلان

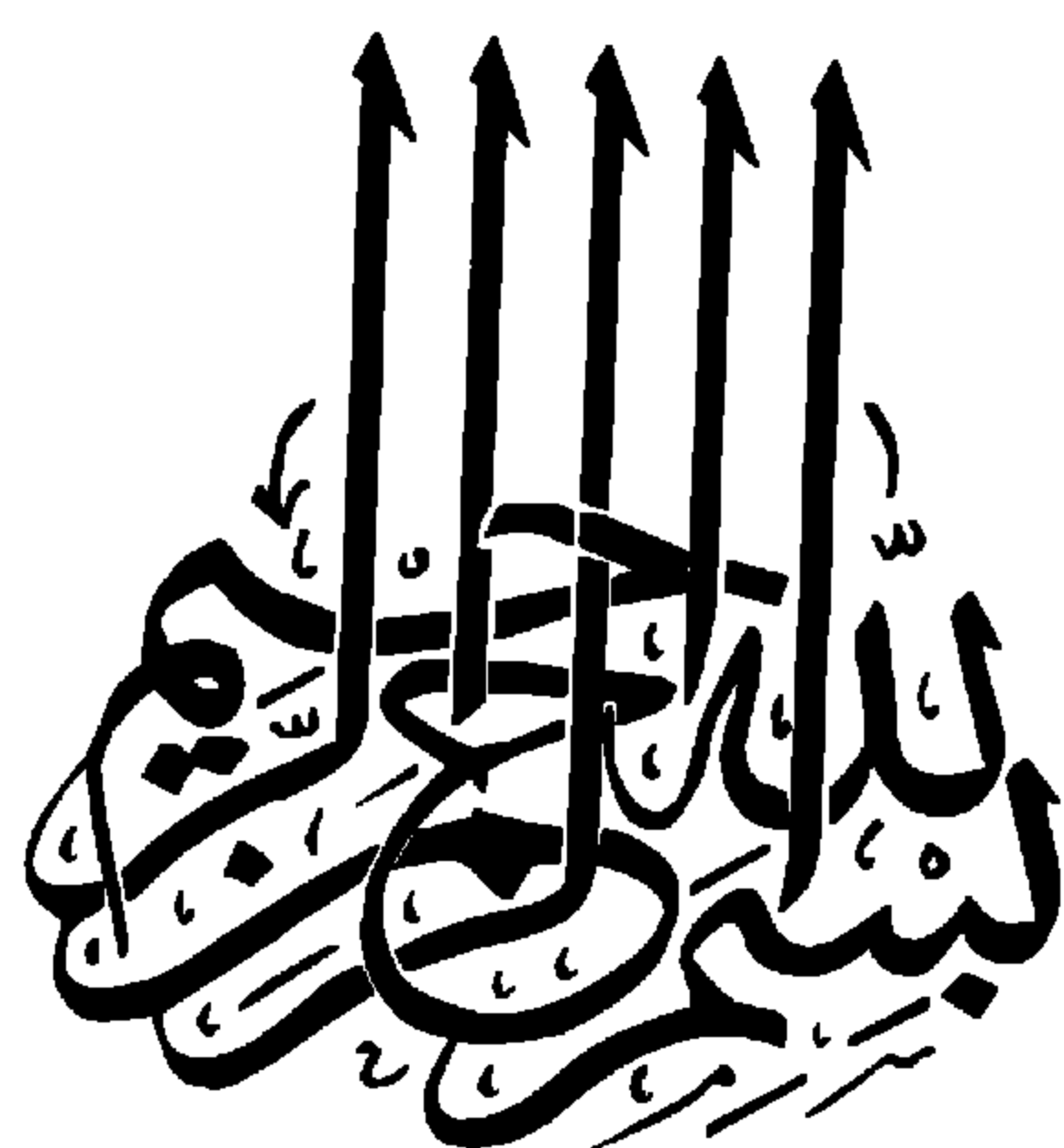


**في أدب الفرس وحضارتهم  
نصوص ومحاضرات**















## تصدير

كتاب قيم رائد في بابه يمثل إطلالة مهمة على الأدب الفارسي وتاريخه بدأه المؤلف بمختارات من النصوص الفارسية الشهيرة والتي تعطي القارئ خلفية عن الثقافة الفارسية عامة كالشاهنامة ورباعيات الخيام، وقد أوردتها الكاتب بلغتها الفارسية الأصلية، ثم أتبع ذلك بجرعة تعليمية عن اللغة الفارسية، وقواعدها ومصادر ها. ثم انتقل بعد ذلك إلى عرض شامل لتاريخ فارس وجغرافية الأرض فيها موضحاً معالم الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية، والمؤثرات الثقافية والدينية القديمة التي كونت الشخصية الفارسية، كالمعتقدات الأسطورية وغيرها، حتى بزوغ فجر الإسلام وبداية الفتح الإسلامي لتلك البلاد.

وقد ختم الكاتب كتابه بترجمة النصوص الفارسية التي بدأ بها كتابه لتكون دليلاً مرشداً للقارئ الذي يحتاج إلى ترجمة تلك النصوص إلى اللغة العربية.

**اللجنة العلمية لإصدارات**

**جامعة مصر للعلوم والتكنولوجيا**







# الفهرس

## صفحة

١١	مقدمة
١٧	گلستان سعدى
١٧	باب أول : درسيرت پادشاهان
٥٥	مختارات من الشاهنامه
٦١	رباعيات عمر الخيام
٧٧	مبادئ اللغة الفارسية
١٠٣	المصادر الفارسية
١٢١	معالم تاريخ الفرس القدماء وحضارتهم
١٢٣	جغرافية إيران
١٢٧	تاريخ إيران القديم
١٣١	- قمبیز
١٣٢	- الإدارة
١٣٦	- الحياة الاقتصادية والاجتماعية
١٤٠	- الدولة الأكمنية بعد دارا
١٤١	خشيار شاي (اگزريس)
١٤٥	أردشير الأول (ارتخشتر الأول)
١٤٧	دارا الثاني
١٤٧	أردشير الثاني
١٥١	أردشير الثالث
١٥٤	نهاية الأكمنيين وقيام إمبراطورية الإسكندر
١٦٤	- السلوقيون
١٦٦	- الساسانيون
١٧٩	- التنظيم والإدارة والجيش
١٨٥	أديان الفرس القدماء



١٨٨	- دين الفرس قبل زردشت
١٩٠	- حياة زردشت
١٩١	- تعاليم الزردشتية
١٩٣	- نظرية الخير والشر في دين زردشت
١٩٤	- مملكة النور
١٩٥	- أهورا مزدا أورمزد إله الإيرانيين القدماء
١٩٥	- الملائكة الكبار
١٩٧	- الملائكة الآخرون
١٩٨	- الأرواح الخيرة
١٩٩	- كائنات خرافية
١٩٩	- مملكة الظلام
٢٠٠	- الشيطان الأكبر
٢٠٥	- أهريمن، كما تصوره الكتابات البهلوية
٢٠٥	- الشياطين
٢٠٨	- المبادئ الخلقية
٢١٠	- تقديس عناصر الطبيعة
٢١٠	- زواج أقرب الأقارب
٢١٢	- الزردشتية بعد زردشت
٢١٥	- ماني
٢١٨	- مزدك
٢٢٠	- الفتح الإسلامي
٢٢٥	ترجمة النصوص
٢٢٥	«حديقة الورد» لسعدي
٢٦٥	مختارات من الشاهنامه
٢٧٥	مختارات من رباعيات الخيام



## مقدمة

هذه صفحات تضم مجموعة من النصوص الفارسية، إلى جانب مبادئ اللغة الفارسية، ودراسات في حضارة الفُرس القدماء. وقد يبدو أن هذه العناصر المختلفة لا يجمع بينها جامع سوى انتمائها إلى الشعب الفارسي.

وفي الحق أن المسئول عن الجمع بين هذه العناصر هي حاجة الدارسين في الجامعات العربية إلى الإلمام بجوانب شتى من حضارة الفُرس وأدبهم في الوقت القصير المتاح لهذه الدراسات في جامعاتنا العربية.

لقد اتصل العرب بالفُرس بعد الفتح الإسلامي على نطاق واسع. وكان الاتصال بين العرب والفُرس قبل ظهور الإسلام يقوم على نطاق محدود أساسه الجوار، وكذلك قوي هذا الاتصال في دولة الحيرة العربية على حدود الدولة الساسانية.

إن الفتح الإسلامي بدأ في إيران عصرًا جديدًا أدى إلى إدخال تغييرات جوهرية على لغة الفُرس وأدبهم. وتتلخص هذه التغييرات فيما يلي:

أولاً : تغيرت الحروف التي كانت تكتب بها اللغة الفارسية فتخلت اللغة عن الخط القديم، وأصبحت تكتب بالحروف العربية. وكان هذا التغيير في صالح اللغة الفارسية إذ سهل كتابتها، ويسرها للدارسين.

ثانياً : انتقلت إلى اللغة الفارسية آلاف من المفردات العربية، وأصبحت هذه المفردات تشكل قسماً جوهرياً من لغة الفُرس المسلمين.



وقد زادت هذه المفردات غنى وجمالاً وقدرة على التعبير، ويكفي أن نذكر كيف استطاع الفُرس التنويع في أداء المعاني، وذلك باستخدام المفردات العربية، ثم الفارسية في أداء المعاني ذاتها بطرق مختلفة، ومن أوضح الأمثلة على ذلك كتاب «گلستان» الذي يعتبره الفُرس مثلاً رائعاً للأسلوب الأدبي.

ثالثاً : تطور الشعر الفارسي في ظلال الشعر العربي فاتخذ في عهده الإسلامي صورة جديدة. إن الشعر الفارسي بعد الفتح العربي غيره قبل هذه الفتح. فنحن لا نكاد نجد في التراث الفارسي القديم شعراً فارسياً سوى بعض التراتيل الدينية التي ودرت في كتاب الأُقسَتا، وهذه ذات موسيقى غير واضحة. وما إن اتصل الأدب الفارسي بالأدب العربي حتى اقتبس منه أوزان الشعر. وقد انتقلت أوزان الشعر العربي بكاملها إلى الأدب الفارسي، ومن هذه الأوزان ما وافق طباع الفُرس، ومنها ما لم يوافق طباعهم، ولهذا وجدناهم يهجرون بعض هذه الأوزان، ويقبلون على بعضها الآخر.

وقد طور الفُرس الأوزان العربية التي اقتبسوها، وشكلوا منها أنواعاً وضروباً متعددة، وقد اختلف بعض هذه الأوزان في صورته الفارسية عن أصوله العربية، وإن بقي متفقاً مع هذه الأصول في نوع تفعيلاته. وكان من الضروري أن يكون تطبيق الأوزان العربية على المفردات الفارسية مختلفاً عن تطبيق هذه الأوزان على المفردات العربية، وهي التي تطورت في ظلها هذه الأوزان، فاضطر الفُرس إلى أن يستخدموا المد والقصر لجعل الألفاظ الفارسية متمشية مع الأوزان العربية.



رابعاً : اقتبس الفُرس من العرب ما ارتبط بالشعر من فنون بلاغية، وتطورت بعد ذلك فنون البلاغة في اللغتين على وتيرة واحدة، وأصبحت المصطلحات واحدة في كل منهما.

خامساً : أصبحت اللغة الفارسية – بعد الفتح العربي – لغة من اللغات المعبرة عن الثقافة الإسلامية. فالفُرس – في القرون الأولى للإسلام – اتخذوا اللغة العربية أداة للتعبير العلمي، فألفوا الكتب في شتى العلوم والفنون باللغة العربية، واشتركوا مع العرب في إبداع نهضة علمية مشرقة، واشتهرت أسماء علماء الفُرس إلى جانب إخوانهم العرب، وأسهموا في مختلف الدراسات، ولم يحجموا عن خوض أي منها، فشاركوا في كل شيء. والأسماء التي يمكن أن تذكر هنا كثيرة لا يمكن حصرها، ويكفي أن نرجع إلى كتب التراجم العامة والخاصة لنطلع على أسماء العلماء الأجلاء الذين ظهوروا من بين الفُرس وأسهموا بجهودهم في شتى ميادين العلم والفن.

وما إن عادت اللغة الفارسية إلى الظهور في منتصف القرن الرابع الهجري حتى أصبحت – في فترة وجيزة – لغة معبرة عن أدب يعتبر من أجمل آداب الإنسانية، ويكفي أن نذكر أن هذه اللغة شهدت إبداع «شاهنامه» التي نظمها الفردوسي في أواخر القرن الرابع الهجري، أي بعد سنوات قليلة من عودة اللغة الفارسية إلى الظهور، وتوالى ظهور الشعراء بهذه اللغة على مر العصور، وتعددت أنواعها الأدبية، فنظمت الملاحم، والمنظومات القصصية المطولة التي بلغت كل منها آلاف الأبيات، وظهر الغزل الفارسي، واتخذ صورة جديدة مختلفة عن الغزل العربي، كما ظهر فن الرباعيات. هذا إلى جانب الأنواع التقليدية كالقصيدة والمقطوعة، وقد نقلها الفُرس عن العرب.



وأصبحت هذه الأنواع الأدبية قوالب جديدة لألوان رائعة من الشعر احتفظت بأثر العربية عليها في مفرداتها اللغوية، وفنونها الأدائية.

ولم يمض وقت طويل حتى ألفت الكتب باللغة الفارسية، وأصبحت هذه اللغة شريكة للعربية في التعبير عن الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامي. وأصبح لزاماً على دارس هذه الحضارة أن يحيط علماً بما ألف في الفارسية إلى جانب علمه بما ألف في العربية.

ومن هنا نشأت حاجة الدارس العربي لتاريخ الثقافة العربية والإسلامية إلى الإمام بأداب الفُرس وثقافتهم. ومن هنا كانت عناية الجامعات العربية بتيسير سبل هذه الثقافة أمام الدارسين.

محمد كفاف

بيروت في ٧ أيلول (سبتمبر) ١٩٦٧



# النصوص الفارسية







# گلستان سعدی

## باب اول

### در سیرت پادشاهان

## حکایت

پادشاهی را شنیدم که بکشتن اسیری اشارت کرد. بیچاره در حالت نومیدی  
ملک را دشنام دادن گرفت و سقط گفتن، که گفته اند: هر که دست از جان بشوید  
هر چه در دل دارد بگوید.

وقت ضرورت چو نماند گریز      دست بگیرد سر شمشیر تیز  
اذا یئس الانسان طحال لسانه      کس نور مغلوب یصول علی الکلب

ملک پرسید که: چه میگوید؟ یکی از وزرای نیک محضر گفت: ای خداوند،  
همی گوید: ﴿والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس﴾ ملک را رحمت آمد از سر  
خون او در گذشت. وزیر دیگر، که ضد او بود، گفت: ابنای جنس ما را نشاید در  
حضرت پادشاهان جز بر راستی سخن گفتن، این ملک را دشنام داد و ناسزا گفت. ملک  
روی از این سخن درهم کشید و گفت: مرا آن دروغ وی پسندیده تر آمد ازین  
راست که تو گفتی، که آن را روی در مصلحتی بود و بنای این بر خبیثی و خردمندان  
گفته اند: دروغ مصلحت آمیز به از راست فتنه انگیز.

هر که شاه آن کند که او گوید      حیف باشد که جز نکو گوید



بر طاق ایوان فریدون نبشته بود:

جهان، ای برادر، نماند بکس	دل اندر جهان آفرین بندوبس
مکن تکیه بر ملک دنیا و پشت	که بسیار کس چون تو میرورد و کشت
چو آهنگ رفتن کند جان پاک	چه بر تخت مردن، چه بر روی خاک

## حکایت

یکی از ملوک خراسان محمود سبکتگین را بخواب دید که جمله وجود او رخته بود و خاک شده، مگر چشمان او، که همچنان در چشم خانه همی گردید و نظر همی کرد. سایر حکما از تأویل آن فرو ماندند، مگر درویشی که بجای آورد و گفت: هنوز نگر نیست که ملکش بادیگر نیست.

بس نامور بزیر زمین دفن کرده اند  
کز هستیش بروی زمین بر، نشان نماند  
وان پیر لاشه را که سپردند زیر خاک  
خاکش چنان بخورد کز و استخوان نماند  
زنده است نام فرخ نو شیروان بخیر  
گرچه بسی گذشت که نوشین روان نماند  
خیری کن، ای فلان و غنیمت شمار عمر  
زان پیشتر که بانگ بر آید: فلان نماند

## حکایت

ملک زاده ای را شنیدیم که کوتاه بود و حقیر و دیگر برادرانش بلند و خوب روی. باری پدر بکر اهیت و استحقار درو نظر کردی پسر بفر است و استبصار



بجای آورد و گفت: ای پدر، کوتاه خردمند به از نادان بلند، نه هر چه بقامت مهتر  
بقیمت بهتر. الشاة نظيفة والفيل جيفة.

اقل جبال الارض طور وانه	لا عظم عند الله قدراً ومنزلاً
آن شنیدی که لاغری دانا؟	گفت: روزی بابلهی فربه
اسب تازی اگر ضعیف بود	همچنان از طویله خربه

پدر بخندید و ارکان دوله پیسندیدند و برادران بجان برنجیدند.

تا مرد سخن نگفته باشد	عیب و هنرش نهفته باشد
هر پیشه گمان مبر نهالی	باشد که پلنگ خفته باشد

شنیدم که: ملک را در آن نزدیکی دشمنی صعب روی نمود. چون لشکر از هر دو  
جانب روی درهم آوردند اول کسی که اسب در میدان جهانید آن پسر بود و گفت:

آن نه من باشم که روز جنگ بینی پشت من

آن منم کندر میان خاک و خون بینی سری

کانکه جنگ آرد بخون خویش بازی میکند

روز میدان و آنکه بگریزد بخون لشکری

این بگفت و بر سپاه دشمن زد وقتی چند از مردان کاری بیند اخت چون پیش پدر  
باز آمد زمین خدمت بیوسید و گفت:

ای که شخص منت حقیر نمود

تا درشتی هنر نپنداری

اسب لاغر میان بکار آید

روز میدان، نه گاو پرواری



آورده اند که: سپاه دشمن بی قیاس بود و اینان اندک. جماعتی آهنگ گریز کردند. پسر نعره ای بزد و گفت: ای مردان بکوشید یا جامه زنان بپوشید. سواران را بگفتن او تهور زیادت گشت و بیکبار حمله آوردند. شنیدم که: هم در آن روز بر دشمن ظفر یافتند. منک سر و چشمش بیوسید و در کنار گرفت و هر روزش نظر بیش کرد تا ولی عهد خویش کرد. برادران حسد بردند و زهر در طعامش کردند. خواهرش از غرقه بدید و دریچه برهم زد. پسر در یافت و دست از طعام باز کشید و گفت: محالست که هنر مندان بمیرند و بی هنران جای ایشان بگیرند.

کس نیاید بزیر سایه بوم      و رهای از جهان شود معدوم

پدر را ازین حال آگاهی دادند. برادرانش را بخواند و گوشمالی بواجب داد، پس هر یک را از اطراف بلاد حصه ای معین کرد. تا فتنه بنشست و نزاع برخاست، که ده درویش در گلیمی بخشبند و دو پادشاه در اقلیمی نگنجند.

نیم نانی گر خورد مرد خدای      بذل درویشان کند نیمی دگر  
ملک اقلیمی بگیرد پادشاه      همچنان در بند اقلیمی دگر

## حکایت

طایفه دزدان عرب بر سر کوهی نشسته بودند و منفذ کاروان بسته و رعیت بلدان از مکاید ایشان مرعوب و لشکر سلطان مغلوب، بحکم آنکه ملاذی منیع از قله کوهی گرفته بودند و ملجأ و مأوای خود ساخته. مدبران ممالک آن طرف در دفع مضرت ایشان مشاورت همی کردند که:

اگر این طایفه هم برین نسق روز گاری مداومت نمایند مقاومت با ایشان ممتنع گردد.

درختی که اکنون گرفت پای      بنیروی شخصی برآید ز جای  
ورش همچنان روز گاری هلی      بگردونش از بیخ بر نگسلی  
چوپر شد نشاید گذشتن پیل      سر چشمه شاید گرفتن بیل

سخن برین مقرر شد که: یکی را بتجسس ایشان بر گماشتند و فرصت نگاه  
میداشتند، تا وقتی که بر سر قومی رانده بودند و بقیه خالی مانده، تنی چند از مردان  
واقعۀ دیده جنگ آزموده را بفرستادند تا در شعب جبل پنهان شدند. شبانگاه که  
دزدان باز آمدند، سفر کرده و غارت آورده، سلاح از تن بگشادند و رخت غنیمت  
بنهادند. نخستین دشمنی که بر سر ایشان تاخت خواب بود، چندانکه پاسی از شب در  
گذشت،

قرص خورشید در سیاهی شد      یونس اندر دهان ماهی شد

مردان دلاور از کمین بدر جستند و دست یکان یکان بر کتف بستند و بامدادان بدر  
گاه ملک حاضر آوردند. همه را بکشتن اشارت فرمود. در آن میان جوانی بود،  
میوه عنفوان شبابش نورسیده و سبزه گلستان عذارش نودمیده. یکی از وزرا پای  
تخت ملک را بوسه داد و روی شفاعت بر زمین نهاد و گفت: این پسر هنوز از باغ زند  
گانی بر نخورده است و از ریعان جوانی تمتع نیافته. توقع بکرم و اخلاق خداوندی  
آنست که ببخشیدن خون او بر بنده منت نهد. ملک روی ایزین سخن درهم کشید  
و موافق رای بلندش نیامد و گفت:

پرتو نیکان نگیرد هر که بنیادش بدست

تربیت نا اهل را چون گرد گان بر گنبدست

نسل فساد اینان منقطع کردن او لیتربست و بیخ تبار ایشان بر آوردن، که آتش  
نشاندن و اخگر گذاشتن و افعی کشتن و بچه نگاه داشتن کار خردمندان نیست.



اگر آب زندگی بارد هر گز از شاخ بید بر نخوری  
با فرومایه روزگار میر کنی بویا شکر نخوری

وزیر این سخن بشنید طوعا و کرها پسندید و بر حسن رأی ملک آفرین خواند و گفت: آنچه خداوند، دام ملکه، فرمود عین حقیقت است، اگر در سلک صحبت آن بدان تربیت یافتی طبیعت ایشان گرفتاری و یکی از ایشان شدی. اما بنده امیدوارست که بعشرت صالحان تربیت پذیرد و خوی خردمندان گیرد، که هنوز طفلیست و سیرت بغی و عناد آن گروه در نهاد او متمکن نشده و در حدیث است: «ما من مولود الا ویولد علی الفطرة ثم أبواه یهودانه أو یُنصرانه أو یمجسانه».

با بدان یار گشت همسر لوط خاندان نبوتش گم شد  
سگ اصحاب کهف روزی چند پی نیکان گرفت و مردم شد

این بگفت و طایفه ای از ندمای ملک باوی بشفاعت یار شدند، تا ملک از سر خون او در گذشت و گفت: بخشیدم اگر چه مصلحت ندیدم،

دانی که چه گفت زال با رستم گرد؟

دشمن نتوان حقیر و بیچاره شمرد

دیدیم بسی که آب سر چشمه خرد

چون بیشتر آمد شتر و یار بیرد

فی الجملة پسر را بنار و نعمت بر آورد و استاد و ادیب بتربیت او نصب کرد، تا حسن خطاب و رد جواب و سایر آداب خدمت ملوکش در آموخت، چنانکه در نظر همگان پسندیده آمد. باری وزیر از شمایل او در حضرت ملک شمه ای می گفت که: تربیت عاقلان در و اثر کرده است و جهل قدیم از جیلت او بدر برده ملک را تبسم آمد و گفت:

عاقبت گرگ زاده گرگ شود      گرچه با آدمی بزرگ شود

سالی دو برین برآمد، طایفه ای اوباش محلت دروپیوستند و عقد مراقبت بستند تا بوقت فرصت وزیر و هر دو بسرش را بکشت و نعمت بی قیاس برداشت و در مغارة دزدان بجای پدر بنشست و عاصی شد. ملک دست تحیر بدندان گزیدن گرفت و گفت:

شمشیر نیک از آهن بد چون کند کسی؟

نا کس بتربیت نشود، ای حکیم، کس

باران، که در لطافت طبعش خلاف نیست

در باغ لاله روید و در شوره بوم خس

زمین شوره سنبل بسر نیارد      درو تخم و عمل ضایع مگردان

نکویی با بدان کردن چنانست      که بد کردن بجای نیکمردان

## حکایت

سر هنگ زاده ای را بر در سرای اُغلمش دیدم که عقل و کیاستی و فهم و فراستی زاید الوصف داشت، هم از عهد خردی آثار بزرگی در ناصیه او پیدا،

بالای سرش ز هوشمندی      می تافت ستاره بلندی

فی الجملة مقبول نظر سلطان آمد، که جمال صورت و کمال معنی داشت و حکما گفته اند: توانگری بهنرست، نه بمال و بزرگی بعقلست، نه بسال. ابنای جنس او بروی حسد بردند و بیخیانتش متهم کردند و در کشتن او سعی بی فایده نمودند: دشمن چه کند چو مهربان باشد دوست؟ ملک پرسید که: موجب خصمی اینان در حق تو چیست؟ گفت: در سایه دولت. خداوندی، دام ملکه، همگانرا راضی کردم، مگر حسود را، که راضی نمیشود الا بزوال نعمت من و اقبال و دولت خداوندی باد!



توانم آنکه نیازم اندرون کسی

حسود را چکنم؟ کوز خود برنج درست

بمیر تا برهی، ای حسود، کین رنجیست

که از مشقت آن جز بمرگ نتوان رست

شور بختان بآروز خواهند

مقبلان را زوال نعمت و جاه

گرفینند برروز شپره چشم

چشمه آفتاب را چه گناه؟

راست خواهی هزار چشم چنان

کور بهتر، که آفتاب سیاه

## حکایت

یکی را از ملوک عجم حکایت کنند که دست تطاؤل بمال رعیت دراز کرده بود  
وجور واذیت آغاز کرده، تا بجایی که خلق از مکاید ظلمش بجهان برفتند و از  
کربت جورش راه غربت گرفتند. چون رعیت کم شد ارتفاع ولایت نقصان پذیرفت  
وخزینه تهی ماند و دشمنان زور آوردند.

هر که فریاد رس روز مصیبت خواهد

گو: در ایام سلامت بجوانمردی کوش

بنده حلقه بگوش ار نوازی برود

لطف کن، لطف، که بیگانه شود حلقه بگوش

باری بمجلس او در کتاب خواندند شاهنامه می، در زوال مملکت ضحاک وعهد  
فریدون. وزیر ملک را پرسید که: هیچ توان دانستن که فریدون، که گنج و ملک  
وحشم نداشت، چگونه برو مملکت مقرر شده گفت: آنچنانکه شنیدی: خلقی بتعصب

برو گرد آمدند و تقویت کردند و پادشاهی یافت. گفت: ای ملک، چون گرد آمدن خلق موجب پادشاهیت تو مر خلق را چرا پریشان میکنی؟ مگر سر پادشاهی نداری؟

همان به که لشکر بجان پروری      که سلطان بلشکر کند سروری

ملک گفت: موجب گرد آمدن سپاه و رعیت چیست؟ گفت: پادشاه را کرم باید تابد و گرد آیند و رحمت تا در پناه دولتش ایمن نشینند و ترا این هر دو نیست.

نکند جور پیشه سلطانی      که نیاید ز گرگ چوپانی  
پادشاهی که طرح ظلم افکند      پای دیوار ملک خویش بکند

ملک را پند وزیر ناصح موافق طبع مخالف نیامد. روی ازین سخن درهم کشید و بزندانش فرستاد. بسی بر نیامد که بنی اعمامش بمنازعت برخاستند و بمقاومت لشکر آراستند و ملک پدر خواستند. قومی که از دست تپاول او بجان آمده بودند و پریشان شده بریشان گرد آمدند و تقویت کردند تا ملک از تصرف این بدر رفت و بر آنان مقرر شد.

پادشاهی، کور و ادارد ستم بر زیر دست

دوستدارش روز سختی دشمن زور آورست

بارعیت صلح کن و ز جنگ خصم ایمن نشین

زانکه شاهنشاه عادل را رعیت لشکرست

## حکایت

پادشاهی با غلامی عجمی در کشتی نشست. غلام هرگز دریا را ندیده بود و محنت کشتی نیازموده، گریه وزاری در نهاد و لرزه در اندامش افتاد چندانکه



ملاطفت کردند آرام نگرفت. ملک را عیش از و منغض شد و چاره ندانستند. حکیمی در آن کشتی بود. ملک را گفت: اگر فرمان دهی من او را بطریق خاموش گردانم. گفت: غایت لطف و کرم باشد. بفرمود تا غلام بدريا انداختند. باری چند غوطه بخورد. پس مویش بگرفتند و سوی کشتی آوردند. بدو دست در سکان کشتی در آویخت. چون بر آمد بگوشه ای بنشست و قرار یافت. ملک را عجب آمد، که درین چه حکمت بود؟ گفت: از اول محنت غرقه شدن نچشیده بود و قدر سلامت کشتی نمی دانست همچنین قدر عافیت کسی داند که بمصیبتی گرفتار آید.

ای سیر، ترانان جوین خوش ننماید

معشوق منست آنکه بنزدیک تو زشتست

حوران بهشتی را دوزخ بود اعراف

از دوز خیانت پرس که: اعراف بهشتست

فرقت میان آنکه یارش در بر

با آنکه دو چشم انتظارش بر در

## حکایت

هر مز را گفتند: وزیران پدر را چه خطا دیدی که بند فرمودی؟ گفت خطایی معلوم نکردم ولیکن دیدم که مهابت من در دل ایشان بی کرانست و بر عهد من اعتماد کلی ندارند. ترسیدم از بیم گزند خویش آهنگ هلاک من کنند. پس قول حکما را کار بستم که گفته اند:

ار آن کنز تو ترسد بترس، ای حکیم

وگر با چو او صد بر آیی بجنگ

نبینی که چون گریه عاجز شود  
بر آرد بچنگال چشم پلنگ؟  
از آن مار بر پای راعی زند  
که ترسد سرش را بکوبد بسنگ

## حکایت

یکی از ملوک عرب رنجور بود، در حالت پیری و امید زند گانی قطع کرده،  
که سواری از در در آمد و بشارت داد که: فلان قلعه را بدولت خداوند گشادیم و د  
شمنان اسیر آمدند و سپاه و رعیت آن طرف بجملگی مطیع فرمان گشتند. ملک نفسی  
سرد بر آورد و گفت: این مرده مرا نیست، دشمنان راست، یعنی وارثان مملکت.

بدین امید بسر شد، دریغ، عمر عزیز  
که آنچه در دلمست از درم فراز آید  
امید بسته بر آمد ولی چه فایده؟ زانک  
امید نیست که عمر گذشته باز آید

کوس رحلت بکوفت دست اجل	ای دو چشم، وداع سر بکنید
ای کف دست و ساعد و بازو	همه تودیع یکدگر بکنید
بر من اوفتاده دشمن کام	آخر، ای دوستان، گذر بکنید
روز گرام بشد بنادانی	من نکردم، شما حذر بکنید

## حکایت

بر بالین تربت یحیی پیغامبر، علیه السلام معتکف بودم، در جامع دمشق، که یکی  
از ملوک عرب، که بی انصافی منسوب بود: اتفاقاً بزیارت آمد و نماز و دعا کرد  
و حاجت خواست.



درویش و غنی بنده این خاک درند

و آنان که غنی ترند محتاج ترند

آنکه مرا گفت: از آنجا که همت درویشا نست و صدق معاملت ایشان خاطری  
همراه من کنید، که از دشمنی صعب اندیشنا کم. گفتمش: بر رعیت ضعیف رحمت  
کن، تا از دشمن قوی زحمت نبینی.

بیا زوان توانا وقوت سر دست  
خطاست پنجه مسکین ناتوان بشکست  
نترسد آنکه بر افتادگان نبخشاید  
که گرزپای در آید کسش نگیرد دست؛  
هر آنکه تخم بدی کشت و چشم نیکی داشت  
دماغ بیهده پخت و خیال باطل بست  
زگوش پنبه برون آرو داد خلق بده  
وگر تومی ندهی داد، روز دادی هست

بنی آدم اعضای یک پیکرند	که در آفرینش زیک گوهرند
چو عضوی بدرد آورد روزگار	دگر عضوها را نماند قرار
تو، کم محنت دیگران بی غمی	نشاید که نامت نهند آدمی!

## حکایت

درویشی مستجاب الدعوه در بغداد پدید آمد. حجاج یوسف را خبر کردند.  
بخواندش و گفت: دعای خیری بر من بکن. گفت: خدایا جانم بستان. گفت: از بهر  
خدا، این چه دعاست؟ گفت این دعای خیرست ترا و جمله مسلمانان را.

ای زیر دست زیر دست آزار      گرم تاکی بماند این بازار؟  
بچه کار آیدت جهانداري؟      مردنت به که، مردم آزاری

## حکایت

یکی از ملوک بی انصاف پارسایی را پرسید: از عبادتها کدام فاضل ترست؟  
گفت: ترا خواب نیم روز، تادر آن یک نفس خلق را نیازاری.

ظالمی را خفته دیدم نیم روز  
گفتم: این فتنه است خوابش برده به  
و آنکه خوابش بهتر از بیداریست  
آن چنان بدزند گانی مرده به

## حکایت

یکی از ملوک را شنیدم که: شبی در عشرت روز کرده بود و در پایان مستی  
همی گفت:

مارا بجهان خوشتر ازین یک دم نیست  
کز نیک و بداندیشه و از کس غم نیست  
درویشی برهنه بسر ما برون در خفته بود و گفت:  
ای آنکه باقبال تو در عالم نیست

گیرم که غمت نیست، غم ما هم نیست؟

ملک را خوش آمد، صره ای هزار دینار از روزن برون داشت و گفت: دامن  
بدار، ای درویش. گفت: دامن از کجا آرم؟ که جامه ندارم. ملک را بر ضعف حال او

رقت زیادت شد و خلعتی بر آن مزید کرد و پیش او فرستاد. درویش آن تقد را  
باندک زمان بخورد و پیریشان کرد و باز آمد.

قرار در کف آزادگان نگیرد مال

نه صبر در دل عاشق، نه آب در غر بال

در حالتی که ملک را پروای او نبود حال بگفتند. بهم بر آمد و روی. از و درهم  
کشید و ازینجا گفته اند، اصحاب فطنت و خبرت که: از حدت و سورت پادشاهان بر  
حذر باید بود، که غالب همت ایشان بمعظمت امور مملکت متعلق باشد و تحمل ازدحام  
عوام نکند.

حرامش بود نعمت پادشاه      که هنگام فرصت ندارد نگاه

مجال سخن تا نبینی زپیش      بیهوده گفتن مبر قدر خویش

گفت: این گدای شوخ مبذر را، که چند آن نعمت بچندین مدت برانداخت، برانید،  
که خزانه بیت المال لقمه مساکینست، نه طعمه اخوان الشیاطین.

ابلهی کو روز روشن شمع کافوری نهد

زود بینی کش بشب روغن نباشد در چراغ

یکی از وزرای ناصح گفت: ای خداوند، مصلحت آن بینم که چنین کسانرا وجه  
کفاف بتفاریق مجری دارند، تا در نفقه اسراف نکنند، اما آنچه فرمودی از زجر  
و منع، مناسب سیرت ارباب همت نیست. یکی را بلطف امیدوار کردن و باز بنومیدی  
خسته گردانیدن.

بروی خود درأ طماع باز نتوان کرد

چو باز شد، بدرشتی فراز نتوان کرد



کس نبیند که تشنگان حجاز      بر لب آب شور گرد آیند  
هر کجا چشمه ای بود شیرین      مردم و مرغ و مور گرد آیند

## حکایت

یکی از پادشاهان پیشین در رعایت مملکت سستی کردی و لشکر بسختی داشتی.  
لا جرم دشمنی صعب روی نمود، همه پشت بدادند.

چو دارند گنج از سپاهی دریغ

دریغ آیدش دست بردن بتیغ

یکی از آنان را که غدر کردند بامن دوستی بود. ملامتش کردم و گفتم: دوست  
و ناسپاس و سفله و ناحق شناس که باندک تغییر حال از مخدوم قدیم برگردد  
و حقوق نعمت سالیان در نوردد گفت: ار بکرم معذور داری شاید، که اسبم درین  
واقعہ بی جو بود و نم‌دزین بگرو و سلطان، که بزر با سپاهی بخیلی کند، با او بجان  
جوانمردی نتوان کرد.

ز ربه مرد سپاهی را، تا سر بنهد

و گرش زر ندهی سر بنهد در عالم

إذا شیع الکی یصول بطشا

و خاوی البطن یبطش بالفرار

## حکایت

یکی از وزرا معزول شد و بحلقه درویشان در آمد. برکت صحبت ایشان دروی  
اثر کرد و جمعیت خاطرش دست داد. ملک بار دگر برودل خوش کرد و عمل فر  
مود. قبولش نیامد و گفت: معزولی به که مشغولی.

آنان که بگنج عافیت بنشستند

دندان سگ و دهان مردم بستند

کاغذ بدریدند و قلم بشکستند

وز دست زبان حرف گیران رستند

ملک گفت: هر آینه ما را خردمندی کافی باید که تدبیر مملکت را بشاید. گفت:  
ای ملک، نشان خردمند کافی آنست که بچنین کارها تن در ندهد.

همای بر همه مرغان از آن شرف دارد

که استخوان خورد و جانور نیازارد

سیه گوش را گفتند: ترا ملازمت شیر بچه وجه اختیار افتاد؟ گفت: تا فضله  
صیدش می خورم و از شر دشمنان در پناه صولت او زند گانی می کنم. گفتندش:  
اکنون که بظل حمایتش در آمدی و بشکر نعمتش اعتراف کردی چرا نزدیکتر  
نیایی؟ تا بحلقه خاصانت در آرد و از بند گان مخلصیت شمارد؟ گفت: همچنان از  
بطش او ایمن نیستم.

اگر صدسال گبر آتش فروزد      چو یک دم اندر و افتد بسوزد

افتد که: ندیم حضرت سلطان زر بیاید و باشد که سر برود و حکما گفته اند:  
از تلون طبع پادشاهان بر حذر باید بودن، که وقتی بسلامی بر نهند و گاهی  
بدشنامی خلعت دهند و آورده اند که: ظرافت بسیار کردن هنر ندیمانست و عیب  
حکیمان.

تو بر سر قدر خویشتن باش و وقار

بازی و ظرافت بندیمان بگذار

## حکایت

یکی از رفیقان شکایت روزگار نا مساعد بنزد من آورد که: کفاف اندک دارم و عیال بسیار و طاقت بار فاقه نمی آرم. بارها در دلم آمد که: باقلیمی دیگر نقل کنم تا در هر آن صورت که زندگانی کرده شود کسی را بر نیک و بد من اطلاع نباشد.

بس گرسنه خفت و کس ندانست که: کیست؟

بس جان بلب آمد که برو کس نگر است

باز از شماقت اعدا بر اندیشم که: بطعنه در قفای من بخندند و سعی مرا در حق عیال بر عدم مروت حمل کنند و گویند:

مبین آن بی حمیت را، که هرگز نخواهد دید روی نیکبختی

که آسانی گزیند خویشتن را زن و فرزند بگذارد بسختی

و در علم محاسبیت، چنانکه معلومست، چیزی دانم، اگر بجاه شما جهتی معین شود که موجب جمعیت خاطر باشد بقیت عمر از عهده شکر آن بیرون آمدن نتوانم. گفتم: عمل پادشاه، ای برادر، دو طرف دارد: امید نان و بیم جان و خلاف رای خرد مندانست بدان امید درین بیم افتادن.

کس نیاید بخانه درویش که: خراج زمین و باغ بده

یا بتشویش و غصه راضی شو یا جگر بند پیش زاغ بنه

گفت: این موافق حال من نگفتی و جواب سؤال من نیاوردی، نشنیده ای که: هر که خیانت ورزد دشتش از حساب بلرزد.

راستی موجب رضای خداست

کس ندیدم که گم شد از ره راست



وحکما گفته اند: چهار کس از چهار کس بجان برنجند: حرامی از سلطان و  
دزد از پاسبان و فاسق از غماز و روسپی از محتسب و آنرا که حساب پاکست از  
محاسبه چه باکست؟

مکن فراخ روی در عمل، اگر خواهی

که وقت رفع تو باشد مجال دشمن تنگ

توپاک باش و مدار از کس، ای برادر، باک

زنند جامه ناپاک گاز ران بر سنگ

گفتم: حکایت آن روباه مناسب حال تست، که دیدنش گریزان و افتان و  
خیزان. کسی گفتش: چه آفتست که موجب چندین مخافتست؟ گفتا: شنیده ام که  
شتر راه بسخره می گیرند گفت: ای سفیه، شتر را با تو چه مناسبتست و ترا بدو  
چه مشابَهت؟ گفت: خاموش که اگر حسودان بغرض گویند: که این شترست و گر  
فتار آیم کراغم تخلیص من دارد؟ تا تفتیش حال من کند و تا تریاق از عراق آورده  
شود مار گزیده مرده باشد. ترا همچنین فضلست و دیانت و تقوی و امانت، امامانندان  
در کمین اند و مدعیان گوشه نشین. اگر آنچه حسن سیرت تست بخلاف آن تقریر  
کنند و در معرض خطاب پادشاه آیی، در آن حالت کرامجال مقاتلت باشد؟ پس مصلحت  
آن می بینم که: ملک قناعت را حراست کنی و ترک ریاست گویی.

بدریا در، منافع بی شمارست

وگر خواهی سلامت برکنارست

رفیق این سخن بشنید و بهم برآمد و روی از حکایت من درهم کشید و سخنها  
رنجش آمیز گفتن گرفت که: این چه عقل و کفایتست و فهم و درایت؟ قول حکما

درست آمد که گفته اند: دوستان در زندان بکار آیند که بر سفره همه دشمنان دوست نمایند.

دوست مشمار، آنکه در نعمت زند

لاف یاری و برادر خواند گی

دوست آن باشد که گیرد دست دوست

در پریشان حالی و در ماند گی

دیدم که متغیر می شود و نصیحت بغرض می شنود، بنزدیک صاحب دیوان رفتم، بسابقه معرفتی که در میان ما بود، صورت حالش بگفتم و اهلیت و استحقاقش بیان کردم، تا بکاری مختصرش نصب کردند. چندی برین برآمد. لطف طبعش را بدیدند و حسن تدبیرش را پسندیدند و کارش از آن در گذشت و بر تبتی بالاتر از آن متمکن شد و همچنین نجم سعادتش در ترقی بود، تا باوج ارادت رسید و مقرب حضرت سلطان و مشار الیه و معتمد علیه گشت بر سلامت حالش شادمانی کردم و گفتم:

ز کار بسته میندیش و دل شکسته مدار

که آب چشمه حیوان درون تار یکست

فللرحمن الطاف خفیه

ألا لا تحزنن أختا البلیه

منشین ترش از گردش ایام، که صبر

تلخست و لیکن بر شیرین دارد

در آن قربت مرا با طایفه ای یاران اتفاق سفر افتاد. چون از زیارت مکه باز آمدم دو منزل استقبال کرد. ظاهر حالش را دیدم پریشان و در هیأت درویشان. گفتم: چه حالتست؟ گفت: آن چنانکه تو گفتی. طایفه ای حسد بردند و بخیانت منسوب کردند و ملک، دام ملکه در کشف حقیقت آن استقصا فرمود و یاران قدیم و دوستان حمیم از کلمه حق خاموش شدند و صحبت دیرین فراموش کردند.

نبینی که پیش خداوند جاه ستایش کنان دست بر بر نهند؟  
و گر روز گارش در آردز پای همه عالمش پای بر سر نهند؟

فی الجمله بانواع عقوبت گرفتار بودم، تا درین هفته، که مشده سلامت حجاج  
برسید، از بند گرانم خلاص کردند و ملک موروثم خاص. گفتم: در آن نوبت  
اشارت من قبول نکردی که گفتم: عمل پادشاهان چون سفر دریاست، خطرناک  
و سودمند، یا گنج بر گیری یا در طلسم بمیری.

یا زر بهر دو دست کند خواجه در کنار

یا موج روزی افگندش مرده بر کنار

مصلحت ندیدم ازین بیش ریش درونش بعلامت خراشیدن و نمک پاشیدن، بدین  
کلمه اختصار کردم:

ندانستی که: بینی بند بر پای

چو در گوشت نیامد پند مردم

دگر ره گر نداری طاقت نیش

مکن انگشت در سوراخ کردم

## حکایت

تنی چند در صحبت من بودند، ظاهر ایشان بصلاح آراسته و یکی از بزرگان  
در حق این طایفه حسن ظنی بلیغ داشت و اداری معین کرده، تا یکی ازینان حرکتی  
کرد نه مناسب حال درویشان. ظن آن شخص فاسد شد و بازار اینان کاسد. خواستم تا  
بطریقی کفاف یاران مستخلص کنم. آهنگ خدمتش کردم. در بانم رها نکرد و جفا  
کرد معذورش داشتم که گفته اند:



درمیر و وزیر و سلطان را      بی وسیت مگرد پیرامن  
سگ و دربان چو یافتند غریب      این گریبانش گیرد آن دامن  
چند آنکه مقربان حضرت آن بزرگ بر حال من وقوف یافتند باکرامم در آوردند  
و برتر مقامی معین کردند. اما بتواضع فروتر نشستم و گفتم:

بگذار که بنده کمینم      تا در صف بند گان نشینم

گفت: الله الله! چه جای این سخنت؟

گر بر سر و چشم ما نشینی      بارت بکشم که نازینی  
فی الجملة بنشستم و از هر دری سخن پیوستم، تا حدیث زلت یاران در میان آمد،  
گفتم:

چه جرم دید خداوند سابق الانعام؟

که بنده در نظر خویش خوار می دارد

خدای راست مسلم بزرگواری و حکم

که جرم بیند و نان بر قرار می دارد

حاکم این سخن عظیم پسندید و اسباب معاش یاران فرمود تا بر قاعده ماضی مهیا  
دارند و مؤنت ایام تعطیل وفا کنند. شکر نعمت بگفتم و زمین خدمت ببوسیدم و عذر  
جسارت بخواستم. در حالت برون آمدن گفتم:

چو کعبه قبله حاجت شد، از دیار بعید

روند خلق بیدارش از بسی فرسنگ

ترا تحمل امثال ما بیاید کرد

که هیچ کس نزنند بر درخت بی برسنگ

## حکایت

ملک زاده ای گنج فراوان از پدر میراث یافت. دست کرم بر گشاد و داد سخاوت  
بداد و نعمت بی دریغ بر سپاه و رعیت بر ریخت.

نیاساید مشام از طبلهٔ عود      بر آتش نه، که چون عنبر بیوید  
بزرگی بایدت؟ بخشندگی کن      که دانه تا نیفشانی نروید

یکی از جلسای بی تدبیر نصیحتش آغاز کرد که: ملوک پیشین مرین نعمت را  
بسعی اندوخته اند و برای مصلحتی نهاده، دست ازین حرکت کوتاه کن که واقعه ها  
در پیشست و دشمنان از پس، نباید که وقت حاجت فرومانی.

اگر گنجی گنی بر عامیان بخش

رسد هر کد خدایی را برنجی

چرا نستانی از هر یک جوی سیم؟

که گرد آید ترا هر روز گنجی

ملک روی ازین سخن درهم کشید و موافق طبعش نیامد و مروراً زجر فرمود  
و گفت: خدای تعالی مرا مالک این مملکت گردانیده است که بخورم و ببخشم، نه  
پاسبانم که نگه دارم

قارون هلاک شد، که چهل خانه گنج داشت

نوشین روان نمرود که نام نکو گذاشت

## حکایت

آورده اند که نوشیروان عادل را در شکار گاهی صیدی کباب کردند و نمک  
نبود. غلامی بروستا رفت تا نمک آرد نوشیروان گفت: نمک بقیمت بستان، تا رسمی

نشود وده خراب نگرده. گفتند: ازین قدر چه خلل زاید؟ گفت: بنیاد ظلم در جهان  
اول اندکی بوده است، هر که آمد برو مزیدی کرد، تا بدین غایت رسیده.

اگر زباغ رعیت ملک خورد سیبی

بر آورند غلامان او درخت از بیخ

پنج بیضه، که سلطان ستم روا دارد

زنند لشکر یانش هزار مرغ بسیخ

## حکایت

وزیری غافل را شنیدم که: خانه رعیت خراب کردی تا خزانه سلطان آبادان  
کند. بی خبر از قول حکما که گفته اند: هر که خدای را، عز و جل، بیازارد تا دل  
خلق بدست آرد خدای تعالی همان خلق را برو گمارد تا دمار از روزگارش بر  
آرد.

آتش سوزان نکند باسپند      آنچه کند دود دل مستمند

رسم جمله حیوانات گویند شیرست و کمترین جانوران خر و باتفاق خر باربر  
به که شیر مردم در.

مسکین خر، اگر چه بی تمیز ست

چون بار همی برد عزیز ست

گاوان و خران بار بردار

به ز آدمیان مردم آزار

باز آمدم بحکایت وزیر غافل: ملک را طرفی از نمایم اخلاق او بقراین معلوم  
شد، در شکنجه کشید و بانواع عقوبت بکشت.



حاصل نشود رضای سلطان      تا خاطر بند گان نجویی  
خواهی که: خدای بر تو بخشد      با خلق خدای کن نکویی  
آورده اند که یکی از ستم دید گان برو بگذشت و در حال تباه او تأمل کرد  
و گفت:

نه هر که قوت بازوی منصبی دارد  
بسلطنت بخورد مال مردمان بگزاف  
توان بحلق فرو بردن استخوان درشت  
ولی شکم بدرد چون بگیرد اندر ناف  
نماند ستمگار بد روز گار      بماند برو لعنت پایدار

## حکایت

مردم آزاری را حکایت کنند که: سنگی بر سر صالحی زد. درویش را مجال  
انتقام نبود. سنگ را نگاه می داشت تا زمانی که ملک را بر آن لشکری خشم آمد و در  
چاهش کرد. درویش اندر آمد و سنگ بر سرش کوفت. گفتا: تو کیستی و مرا این  
سنگ چرازدی؟ گفت: من فلانم و این همان سنگست که در فلان تاریخ بر سر من  
زدی. گفت: چندین روز گار کجا بودی؟ گفت: از جاهت اندیشه کردم. اکنون که  
در چاهت دیدم فرصت غنیمت شمردم.

ناسزایی راه که بینی بخت یار  
عاقلان تسلیم کردند اختیار  
چون نداری ناخن درنده تیز  
با بدان آن به که کم گیری ستیز  
هر که با پولاد بازو پنجه کرد  
ساعد مسکین خود را رنجه کرد

باش تا دستش ببندد روز گار

پس بکام دوستان مغزش برآر

## حکایت

یکی از ملوک را مرضی هایل بود که عادت ذکر آن نا کردن اولیتر. طایفه ای از حکمای یونان متفق شدند که مرین دک را دواپی نیست، مگر زهره آدمی، که بچندین صفت موصوف باشد. بفرمود تا طلب کردند. دهقان پسری یافتند بدآن صفت که حکیمان گفته بودند. پدر و مادرش را بخواند و بنعمت بیکران خوشنود گردانید و قاضی فتوی داد که: خون یکی از رعیت ریختن سلامت نفس پادشاه را روا باشد. جلاد قصد کرد. پسر سر سوی آسمان بر آورد و تبسم کرد. ملک پرسیدش که: درین حالت چه جای خندیدنست؟ گفت: ناز فرزندان بر پدر و مادر باشد و دعوی پیش قاضی برند و داد از پادشاه خواهند. اکنون پدر و مادر بعلت حطام دنیا مرا بخون در سپردند و قاضی بکشتم فتوی داد و سلطان مصالح خویش در هلاک من همی بیند. بجز خدای، عز وجل، پناهی نمی بینم.

پیش که بر آورم ز دستت فریاد!

هم پیش تو از دست تو گر خواهم داد

سلطان را ازین سخن دل بهم بر آمد و آب در دیده بگردانید و گفت: هلاک من اولی تر که خون بی گناهی ریختن. سر و چشمش ببوسید و در کنار گرفت و نعمت بی اندازه بخشید و آزاد کرد. گویند: هم در آن هفته شفا یافت.

همچنان در فکر آن بیتم که گفت

پیل بانی بر لب دریای نیل:

زیر پایت گر ندانی حال مور

همچو حال تست زیر پای پیل

## حکایت

یکی از بندگان عمرو لیث گریخته بود. کسان در عقبش برفتند و باز آوردند. وزیر را با او غرضی بود. اشارت بکشتن کرده، تا دیگر بندگان چنین فعل روا ندارند. بنده سرپیش عمرو بر زمین نهاد و گفت:

هر چه رود بر سرم، چون تو پسندی رواست

بنده چه دعوی کند؟ حکم خداوند راست

اما بموجب آنکه پروده نعمت این خاندانم نخواهم که در قیامت بخون من گرفتار آیی، اجازت فرمای تا من وزیر را بکشم، آنکه بقصاص او بفرمای خون مرا ریختن، تا بحق کشته باشی. ملک را خنده گرفت. وزیر را گفت: چه مصلحت می بینی؟ گفت: ای خداوند جهان، از بهر خدای این شوخ دیده را بصدقات گور پدر آزاد کن، تا مرا در بلایی نیفکند، گناه از منست و قول حکما معتبر که گفته اند:

چو کردی با کلوخ انداز پیکار      سر خود را بنادانی شکستی

چو تیر انداختی در روی دشمن      حذر کن، کندر آماجش نشستی

## حکایت

ملک زوزن را خواجه ای بود کریم النفس، نیک محضر، که همگان را در مواجهه خدمت کردی و در غیبت نکویی گفتی. اتفاقاً از و حرکتی در نظر سلطان ناپسند آمد، مصادره فرمود و عقوبت کرد. سرهنگان پادشاه بسوابق نعمت او معترف بودند و بشکر آن مرتهن. در مدت توکیل او رفق و ملاطفت کردند و زجر و معاقبت روا نداشتندی.

صلح بادشمن، اگر خواهی، هر گه که ترا

در قفا عیب کند در نظرش تحسین کن

سخن آخر بدهان میگذرد مودی را

سخنش تلخ نخواهی، دهنش شیرین کن

آنچه مضمون خطاب ملک بود از عهده بعضی بیرون آمد و بیقیتی در زندان  
بماند. یکی از ملوک نواحی در خفیه پیغامش فرستاد که: ملوک آن طرف قدر چنان  
بزرگواری ندانستند و بی عزتی کردند، اگر رای عزیز فلان، احسن الله خلاصه،  
بجانب ما التفات کند در رعایت خاطرش هر چه تمام تر سعی کرده شود و اعیان این  
مملکت بیدار او مفتقرند و جواب این حرف را منتظر. خواجه برین وقوف یافت و از  
خطر اندیشید و در حال جوابی مختصر، چنانکه مصلحت دید، بر قفای ورق نبشت و  
روان کرد. یکی از متعلقان واقف شد و ملک را اعلام کرد که: فلان را که حبس  
فرمودی، با ملوک نواحی مراسله دارد. ملک بهم برآمد و کشف این خبر فرمود.  
قاصد را بگریفتند و رسالت بخواندند. نبشته بود که: حسن ظن بزرگان بیش از  
فضیلت ماست و تشریف قبولی، که فرموده اند، بنده را امکان اجابت نیست بحکم آنکه  
پرورده نعمت این خاندانست و باندک مایه تغیر با ولی نعمت بی وفایی نتوان کرد.

آنها که بجای تست هر دم کرمی

عذرش بنه، ار کند بعمری ستمی

ملک را سیرت حق شناسی از و پسند آمد و خلعت و نعمت بخشید و عذر خواست  
که: خطا کردم که ترا بی جرم بیا زردم. گفت: بنده درین حالت مر خداوند را  
خطایی نمی بیند، بلکه تقدیر خداوند تعالی چنین بود که مرین بنده را مکروهی



برسد، پس بدست تو اولیتر، که سوابق نعمت برین بنده داری و ایادی منت و حکما  
گفته اند:

گر گزندت رسد ز خلق، مرنج  
که نه راحت رسد ز خلق، نه رنج  
از خدا دان خلاف دشمن و دوست  
کین دل هر دو در تصرف اوست  
گرچه تیر از کمان همی گذرد  
از کماندار بیند اهل خرد

## حکایت

یکی از ملوک عرب متعلقان را فرمود که: مرسوم فلان را، چند آنکه هست،  
مضاغف کنید، که ملازم در گاهست و مترصد فرمان و سایر خدمتگاران بلهو و لعب  
مشغول اند و ادای خدمت متهاون. صاحب دلی بشنید و گفت: علو درجات بندگان بدر  
گاه حق، جل و علا، همین مثال دارد.

دو بامداد گر آید کسی بخدمت شاه

سیم هراینه در وی کند بلطف نگاه

امید هست پرستد گان مخلص را

که نا امید نگردند از آستان اله

ترک فرمان دلیل حرمانست

مهوری در قبول فرمانست

سر خدمت بر آستان دارد

هر که سیمای راستان دارد

## حکایت

ظالمی را حکایت کنند که: هیزم درویشان خریدی بحیف و توا نگران را دادی  
بطرح. صاحب‌دلی برو گذر کرد و گفت:

ماری تو، که هر کرا بینی بزنی

یا بوم که هر کجا نشینی بکنی

زورت اریش می‌رود با ما      با خداوند غیب دان نرود

زورمندی مکن بر اهل زمین      تا دعایی بر آسمان نرود

حاکم ازین سخن برنجید و روی درهم کشید و برو التفات نکرد، که گفته اند:  
أخذته العزة بالاثم. تاشبی آتش مطبخ در انبار هیزم‌ش افتاد و سایر املاکش بسوخت  
و از بستر نر‌ش بخا کستر گرم نشاند. اتفاقاً همان شخص برو بگذشت و دیدش که  
با یاران همی گفت: ندانم این آتش از کجا در سرای من افتاد؟ گفت: از دل درویشان.

حذر کن زدود درون‌های ریش      که ریش درون عاقبت سر کند

بهم بر مکن تاتوانی دلی      که آهی جهانی بهم بر کند

بر تاج کیخسرو نبشته بود:

چه سالهای فراوان و عمرهای دراز!

که خلق بر سر ما بر زمین بخواهد رفت

چنانکه دست بدست آمدست ملک بما

بدستهای دگر همچنین بخواهد رفت

## حکایت

یکی در صنعت کشتی گرفتن سر آمده بود و سیصد و شست بند فاخر بدانستی و هر روز بنوعی کشتی گرفت. مگر گوشه خاطرش باجمال یکی از شاگردان میلی داشت. سیصد و پنجاه ونه بندش در آموخت، مگر یک بند، که در تعلیم آن دفع انداختی و تأخیر کردی. فی الجمله پسر در قوت و صنعت بر سر آمد و کسی را در آن زمان او با او امکان مقاومت نبود، تا بحدی که پیش ملک آن روز گار گفته بود: استاد را فضیلتی، که بر منست از روی بزرگیست و حق تربیت و گر نه بقوت از و کمتر نیستم و بصنعت با او بر ابرم. ملک را این سخن دشوار آمد، فرمود تا: مصارعت کنند. مقامی متسع ترتیب کردند و ارکان دولت و اعیان حضرت و زورآوران آن اقلیم حاضر شدند. پسر چون پیل مست اندر آمد، بصدمتی که اگر کوه آهنین بودی از جای بر کندی. استاد دانست که جوان بقوت از و بر ترست. بدان بند غریب که از و نهان داشته بود با او در آویخت. پسر دفع آن ندانست. استاد بدو دست از زمینش بالای سر برد و فرو کوفت. غریب از خلق بر خاست. ملک فرمود استاد را خلعت و نعمت دادن و پسر را زجر و ملامت کرد، که: با پرورنده خویش دعوی مقاومت کردی و بر من بردی. گفت: ای ملک، بزور آوری بر من دست نیافت، بلکه مرا از علم. کشتی دقیقه ای مانده بود که از من دریغ همی داشت. امروز بدان دقیقه بر من غالب آمد. استاد گفت: از بهر چنین روزی نگاه می داشتم. حکما گفته اند: دوست را چند ان قوت مده که اگر دشمنی کند تواند. نشنیده ای که چه گفت آنکه از پرورده خویش جفا دید؟

یا وفا خود نبود در عالم	یا مگر کس درین زمانه نکرد
کس نیا موخت علم تیر از من	که مرا عاقبت نشانه نکرد

## حکایت

درویشی مجرد بگوشه ای نشسته بود. پادشاهی برو بگذشت. درویش، از آنجا که فراغت ملک قناعتست، سر بر نیاورد و التفات نکرد. سلطان از آنجا که سطوت سلطنتست بر نجید و گفت: این طایفه خرقه پوشان بر مثال حیوان اند و اهلیت و آدمیت ندارند. وزیر نزدیکش آمد و گفت: ای جوا نمرده، سلطان روی زمین بر تو گذر کرد، چرا خدمت نکردی و شرط ادب بجای نیاوردی؟ گفت: ملک را بگوی: توقع خدمت از کسی دار که توقع نعمت از تو دارد و دیگر بدان که: ملوک از بهر پاس رعیت اند، نه رعیت از بهر طاعت ملوک.

پادشه پاسبان درویشست	گر چه نعمت بفر دولت اوست
کوسپند از برای چوپان نیست	بلکه چوپان برای خدمت اوست
یکی امروز کامران بینی	دیگری را دل از مجاهده ریش
روز کی چند باش، تا بخورد	خاک مغز سر خیال اندیش
فرق شاهی و بندگی بر خاست	چون قضای نبشته آمد پیش
گر کسی خاک مرده باز کند	نماید توانگر و درویش

ملک را گفت درویش استوار آمد. گفت: از من چیزی بخواه. گفت: آن می خواهم که دیگر بار زحمت من ندهی. گفت: مرا پندی ده، گفت:

در یاب، کنون که نعمت هست بدست

کین دولت و ملک میرود دست بدست



## حکایت

یکی از وزرا پیش ذوالنون مصری رفت و همت خواست که روز و شب بخدمت سلطان مشغول و بخیرش امیدوار و از عقوبتش ترسان. ذوالنون بگریست و گفت: اگر من از خدای عز و جل، چنان ترستید می که از تو سلطان از جمله صدیقان بودمی.

گر نبودی امید راحت و رنج	پای درویش بر فلک بودی
ور وزیر از خدا بتر سیدی	همچنان کنز ملک، ملک بودی

## حکایت

پادشاهی بکشتن بی گناهی فرمان داد. گفت: ای ملک بموجب خشمی که ترا بر منست آزار خود مجوی، که این عقوبت بر من بیک نفس بسر آید و بزه آن جاوید بر تو بماند.

دوران بقاء، چو باد صحراء، بگذشت  
تلخی و خوشی و زشت و زیبا بگذشت  
پنداشت ستمگر که: جفا بر ما کرد  
در گردن او بماند و بر ما بگذشت  
ملک را نصیحت او سودمند آمد و از سر خون او در گذشت.

## حکایت

ور رای نوشیر و ان در مهمی از مصالح مملکت اندیشه همی کردند و هر یک رای همی زدند و ملک همچنین در تدبیر اندیشه می کرد. بزر جمهر را رای ملک

اختیار آمد. وزیران در نهانش گفتند: رای ملک را چه مزیت دیدی بر فکر چندین حکیم؟ گفت: بموجب آنکه انجام کار معلوم نیست و رای همگان در مشیتست که صواب آید یا خطا؟ پس موافقت رای ملک او لیتراسته تا اگر خلاف صواب آید بطلت متابعت او از معاقبت ایمن باشم.

خلاف رای سلطان رای جستن

بخون خویش باشد دست شستن

اگر خود روز را گوید: شبست این

بیاید گفت اینک ماه و پروین

## حکایت

شیادی گیسوان بافت که: من علویم و قافله حجاز بشهری در آمد، که از حج می آیم و قصیده ای پیش ملک برد که: من گفته ام. نعمتش داد و اکرام کرد و نوازش بی کران فرمود. یکی از ندمای حضرت پادشاه، که در آن سال از سفر در یا آمده بود، گفت: من او را عید اضحی بیصره دیدم، حاجی چگونه باشد؟ دیگری گفت: پدرش نصرانی بود در ملطیه، پسر شریف چگونه باشد؟ و شعرش را بدیوان انوری یافتند. ملک فرمود تا بنزدش و نقی کنند، که چندین دروغ درهم چرا گفت؟ گفت: ای خداوند روی زمین، مرا سحنی مانده است، بخدمت بگویم، اگر راست نباشد بهر عقوبت، که فرمایی، سزاوارم. گفت: بگو تا آن چیست؟ گفت:

غریبی گرت ماست پیش آورد

دو پیمانه آبست و یک چمچه دوغ

گر از بنده لغوی شنیدی مرنج

جهان دیده بسیار گوید دروغ

ملک را خنده گرفت و گفت: از این راست تر سخن در عمر خود نگفته ای. بفرمود: تا آنچه مامول اوست مهیا دارند و بخوشی برود.

## حکایت

یکی از وزرا بر زیر دستان رحم آوردی و صلاح همگنان را بخیر توسط کردی. اتفاقاً بخطاب ملک گرفتار آمد. همگنان در استخلاص او سعی کردند و موکلان در معاقبتش ملاطفت نمودند و بزرگان ذکر سیرت خویش بافواه بگفتند، تا ملک از سر عتاب او در گذشت. صاحب‌دلی برین اطلاع یافت و گفت:

تا دل دوستان بدست آری	بوستان پدر فروخته به
پختن دیگ نیک خواهان را	هر چه رخت سراسر سوخته به
باید اندیش هم نکویی کن	دهن سگ بلقمه دوخته به

## حکایت

یکی از پسران هارون الرشید پیش پدر آمد، خشم آلود، که: فلان سرهنگ زاده مرا دشنام داد. هارون ارکان دولت را گفت: جزای چنین کسی چه باشد؟ یکی اشاره بکشتن کرد و دیگری بزبان بریدن و دیگری بمصادره و تنقی. هارون گفت: ای پسر، کرم آنست که عفو کنی و گرنه توانی تو نیزش دشنام ده، نه چنانکه انتقام از حد در گذرد، که آنگاه ظلم از طرف تو باشد و دعوی از قبل خصم.

نه مردست آن، بنزدیک خردمند

که باپیل دمان پیکار جوید

بلی، مرد آنکست از روی تحقیق

که چون خشم آیدش باطل نگوید

یکی را زشت خویی داد دشنام

تحمل کرد و گفت: ای نیک فرجام

بتر زانم، که خواهی گفت: آنی

که دا نم عیب من چون من ندانی

## حکایت

با طایفه بزرگان بکشتی در نشسته بودم. زورقی در پی ما غرق شد. دو برادر بگر دایی در افتادند. یکی از بزرگان ملاح را گفت: بگیر این هر دو را، که بهر یکی پنجاه دینار بدهم. ملاح در آب افتاد و تا یکی را برهانید آن دیگر هلاک شد. گفتم: بقیت عمرش نمانده بود، ازین سبب در گرفتن او تأخیر کردی و در آن دیگر تعجیل. ملاح بخندید و گفت: آنچه تو گفتی یقینست و دیگر میل خاطر من برهانیدن این بیشتر بود، که وقتی در بیابان مانده بودم، این مرا برشته نشاند و از دست آن دگر تازیانه ای خورده بودم، در طفلی. گفتم: صدق الله من عمل صالحاً فَلَنفَسَهُ وَمِنْ أَصْأءِ فَعَلِيهَا.

کندرین راه خاها باشد

که ترا نیز کارها باشد

تاتوانی درون کس مخراش

کار درویش مستمند بر آر

## حکایت



دو برادر بودند: یکی خدمت سلطان کردی و دیگر بزور بازو نان خوردی.  
باری توانگر گفت درویش را که: چرا خدمت نکنی، تا از مشقت کار کردن برهی؟  
گفت: تو چرا کار نکنی تا از مذلت خدمت رهایی یا بی؟ که خردمندان گفته اند: نان  
خود خوردن و نشستن به که کمر زرین بخدمت بستن.

بدست آهن تفته کردن خمیر      به از دست بر سینه پیش امیر  
عمر گر انمایه درین صرف شد      تا چه خورم صیف و چه پوشم شتا؟  
ای شکم خیره، بنانی بساز      تا نکنی پشت بخدمت دو تا

## حکایت

کسی مرده آورد پیش انوشیروان عادل که: شنیدم که فلان دشمن ترا خدای،  
عز وجل، بر داشت. گفت: هیچ شنیدی که مرا خواهد گذاشت؟

اگر بمرد عدو جای شادمانی نیست

که زند گانی ما نیز جاودانی نیست

## حکایت

گروهی حکما بحضرت کسری بمصلحتی سخن می گفتند و بزرگ مهر که  
مهر ایشان بود خاموش. گفتند: چرا با مادرین بحث سخن نگویی؟ گفت: حکیمان بر  
مثال اطبا اند و طبیب دارو ندهد جز سقیم را. پس چون بینم که رای شما بر  
صوابست مرا بر سر آن سخن گفتن حکمت نباشد.

چو کاری بی فصول من بر آید      مرا دروی سخن گفتن نشاید

و گر بینم که نابینا و چاهست      اگر خاموش بنشینم گناهست

## حکایت

اسکندر رومی را پرسیدند: دیار مغرب و مشرق بچه گرفتی؛ که ملوک پیشین را خزاین و لشکر بیش از تو بوده است و چنین فتحی میسر نشد. گفتا: بعون خدای، عز وجل، هر مملکتی را که گرفتم رعیتش نیازدم و نام پادشاهان جز بنکویی نبردم.

بزرگش نخوانند اهل خرد      که نام بزرگان بزشتی برد

این همه هیچست، چون می بگذرد

تخت و بخت و امر و نهی و گیر و دار

نام نیک رفتگان ضایع مکن

تا بماند نام نیکت پایدار



## مختارات من الشاهنامه

### (قصه رستم و سهراب)<sup>۱</sup>

دگر باره اسبان بیستند سخت	بسر بر همیگشت بدخواه بخت
بکشتی گرفتن نهادند سر	گرفتند هر دو دوال کمر
سپهدار سهراب را زور دست	تو گفتی که چرخ بلندش بیست
غمین گشت رستم بیازید چنگ	گرفت آن سرویال جنگی پلنگ
خم آورد پشت دلاور جوان	زمانه سر آمد نبودش توان <sup>۲</sup>
زدش بر زمین بر بکردار شیر	بدانست گوهم نماند بزیر <sup>۳</sup>
سبک تیغ تیز از میان بر کشید	بر پور بیدار دل بر درید
پیچید از آن پس یکی آه کرد	زنیک و بد اندیشه کوتاه کرد
بدو گفت کاین بر من از من رسید	زمانه بدست تو دادم کلید
توزین بی گناهی که این کوز پشت	مرا بر کشید و بزودی بکشت <sup>۴</sup>
بیازی بگویند همسال من	بخاک اندر آمد چنین پال من <sup>۵</sup>
نشان داد مادر مرا از پدر	ز مهر اندر آمد روانم بسر

<sup>۱</sup> - یعنی اسبش می جهید و زمین را می کند.

<sup>۲</sup> - یعنی چون اجل فرا رسید توان و نیروی او نماند.

<sup>۳</sup> - اشاره است بچاره رستم در رهائی او از دست سهراب.

<sup>۴</sup> - مقصود آسمان و روزگار است.

<sup>۵</sup> - یعنی همسالان من در کوچه بازی میکنند و من در جنگ کشته شدم. (در بیشتر نسخه ها : بیازی بگویند همسال من.)

همی جستمش تا ببینمش روی  
 دریغا که رنجم نیامد بیر  
 کنون گرتو در آب ماهی شوی  
 وگر چون ستاره شوی بر سپهر  
 بخواهد هم از تو پدر کین من  
 از این نامداران و گردنکشان  
 که سهراب کشتست و افکنده خوار  
 چوبشنید رستم سرش خیره گشت  
 همی بی تن و تاب و بی توش گشت  
 پیرسید از آن پس که آمد بهوش  
 بگو تا چه داری ز رستم نشان؟  
 که رستم منم کم معاناد نام  
 بزد نعره و خونش آمد بجوش  
 چو سهراب رستم بدانسان بدید  
 بدو گفت گر زانکه رستم توئی  
 ز هر گونه بودم ترا رهنمای  
 کنون بند بگشای از جوشنم

چنین جان بدادم بدین آرزوی  
 ندیدم درین هیچ روی پدر<sup>۱</sup>  
 ویا چون شب اندر سیاهی شوی  
 بیری ز روی زمین پاک مهر  
 چو بیند که خشتست بالین من  
 کسی هم برد سوی رستم نشان  
 همیخواست کردن تورا خواستار  
 جهان پیش چشم اندرش تیره گشت  
 بیفتاد از پای و بیهوش گشت  
 بدو گفت با ناله و با خروش  
 که گم باد نامش ز گردنکشان  
 نشیناد بر ماتم پور سام  
 همی کند موی و همیزد خروش  
 بیفتاد و هوش از سرش بر پرید  
 بکشتی مرا خیره بر بدخوئی  
 نجنید یک باره مهرت ز جای  
 برهنه بین این تن روشنم

<sup>۱</sup> - بیر: یعنی رنجم برو نتیجه نداد.



بیازوم بر مهره خود نگر  
 چو بر خاست آواز کوس از درم  
 همی جانش از رفتن من بخت  
 مرا گفت کاین از پدر یادگار  
 کنون کار گر شد که بیکار گشت  
 چو بگشاد خفتان و آن مهره دید  
 همی ریخت خون و همی کندموی  
 بدو گفت سهراب کاین چاره نیست  
 ازین خویشتن کشتن اکنون چسود؟  
 چو خورشید تابان ز گنبد بگشت  
 چنان بد گمانشان که او کشته شد  
 بفرمود کاوس تا بوق و کوس  
 وزان پس بلشکر چنین گفت شاه  
 بتازید تا کار سهراب چیست  
 چو آشوب بر خاست از انجمن  
 بین تا چه دید این پسر از پدر  
 بیامد پسر از خون دورخ مادر  
 یکی مهره بر بازوی من بیست  
 بدار و بین تا کی آید بکار  
 پسر پیش چشم پدر خوار گشت<sup>۱</sup>  
 همی جامه بر خویشتن بر درید  
 سرش پر ز خاک و پیر از آب روی  
 بآب دو دیده نباید گریست<sup>۲</sup>  
 چنین رفت و این بودنی کار بود  
 تهمت نیامد بلشکر ز دشت<sup>۳</sup>  
 سر نامداران همه گشته شد  
 دمیدند و آمد سپهدار طوس  
 کن ایدر هیونی سوی رزمگاه  
 که بر شهر ایران بیاید گریست  
 چنین گفت سهراب با پیلتن

<sup>۱</sup> - گشت: یعنی چون کار گشت بی فائده ماند. و بعضی <بیکار گشت> دانسته اند. یعنی جنگ تمام شد.

<sup>۲</sup> - نیست: یعنی گریه درد را دوا نمیکند.

<sup>۳</sup> - بگشت: یعنی چون از ظهر گشت

<sup>۴</sup> - من: یعنی پشتیبانی من.

که اکنون چو روز من اندر گذشت  
همه مهربانی بران کن که شاه  
که ایشان پیشتی من جنگجوی  
نباید که بینند رنجی بر راه  
بسی روز را داده بودم نوید  
چه دانستم ای پهلوانامور  
درین دژ دلیری بیند منست  
بسی زو نشان تو پرسیده ام  
جز آن بود یکسر سخنهاى اوی  
چو گشتم ز گفتار او نا امید  
بین تا کدامست از ایرانیان  
نشانی که بد داده مادر مرا  
چنینم نوشته بد اختر بسر  
چو برق آمدم رفتم اکنون چو باد  
نشست از بر رخسارم چو گرد  
بیامد پیش سپه با خروش  
چو دیدند ایرانیان روی اوی  
ستایش گرفتند بر کردگار  
چو زانگونه دیدند بر خاک سر

همان کار ترکان دگر گونه گشت  
سوی جنگ توران نراند سپاه  
سوی سرز ایران نهادند روی<sup>۴</sup>  
مکن جز بنیکی در ایشان نگاه  
بسی کرده بودم ز هر در امید  
که باشد روانم بدست پدر  
گرفتار خم کنند منست  
همه بد خیال تو در دیده ام  
از او باز ماند تهی جای اوی  
شدم لاجرم تیره روز سفید  
نباید که آید بجانش زیان  
بدیدم نبید دیده باور مرا  
که من کشته گردم بدست پدر  
بمینو مگر بینمت باز شاد  
پراز خون دل و لب پراز باد سرد  
دل از کرده خویش پر درد و جوش  
همه بر نهادند بر خاک روی  
که او زنده باز آمد از کارزار  
دریده همه جامه و خسته بر

پیرشش بگفتند کاین کار چیست؟  
 بگفت آن شگفتی که خود کرده بود  
 همه بر گرفتند با او خروش  
 چنین گفت با سر فرازان که من  
 شما جنگ ترکان مجوئید کس  
 پسر را بکشتم پیرانه سر  
 فرستاد نزدیک هومان پیام  
 نگهدار آن لشکر اکنون توی  
 که با تو مرا روز پیکار نیست  
 زواره بیامده هم اندر زمان  
 چو بر گشت از آن جایگه پهلوان  
 یکی دشنه بگرفت رستم بدست  
 بزرگان بدواندر آویختند  
 بدو گفت کودرز کا کنون چه سود  
 تو بر خویشتن گر کنی صد گزند  
 ترا دل بدینگونه از بهر کیست؟  
 گرامی پسر را که آزرده بود  
 نماند آن زمان با سپه دار هوش  
 نه دل دارم امروز گوئی نه تن  
 که این بد که من کردم امروز بس  
 بریدم پی و سیخ آن نامور  
 که شمشیر کین ماند اندر نیام  
 نگه کن بدیشان مگر نغوی  
 همان بیش ازین جای گفتار نیست  
 بهومان سخن گفت از پهلوان  
 بیامد بر خسته پور جوان  
 که از تن ببرد سر خویش پست  
 زمرگان همی خون فرور یختند  
 گراز روی گیتی بر آری تو دود؟  
 چه آسانی آید بدان ارجمند؟





## رباعیات عمر الخيام

- ۱ -

هر ذره که در روی زمینی بوده است  
خورشید رخ زهره جبینی بوده است  
گرد از رخ نازنین بآرام فشان  
که این هم رخ و زلف نازنینی بوده است

- ۲ -

روحي که منزله است زالایش خاک  
مهمان تو آمده است از عالم پاک  
میده تو بیهاده صبوحی مددش  
زان پیش که گوید انعم الله مساک

- ۳ -

آنرا که وقوف شد بر احوال جهان  
شادی و غم جهان بر او شد یکسان  
چون نیک و بد جهان بسر خواهد شد  
خواهی همه درد باش و خواهی درمان



- ۴ -

گل گفت به از تقای من روئی نیست  
چندین ستم گلابگر باری چیست  
بلبل بزبان حال بسا او میگفت  
یکروز که خندید که سالی نگریست

- ۵ -

آغاز روان گشتن این رزین طاس  
وانجام خرابی چنین نیک اساس  
دانسته نمیشود بمعیار عقول  
سنجیده نمیشود بمقیاس قیاس

- ۶ -

کم کن طمع از جهان و میزنی خرسند  
وازنیک وید زمانه بگسل پیوند  
هان می خور و زلف دلبری گیر که زود  
هم بگذرد و نماند این روزی چند

- ۷ -

یاران چو باتفاق میعاد کنید  
خود را بجمال یکدیگر شاد کنید  
ساقی چومی مغانه در کف گیرد  
بیچاره فلانرا بدعا یاد کنید

- ۸ -

یاران چو باتفاق دیدار کنید  
باید که زدوست یاد بسیار کنید  
چون بادهء خوشگوار نوشید بهم  
نوبت چو بهار سد نگونمار کنید

- ۹ -

چون مردن تو مردن یکبارگی است  
یکبار بمیر این چه بیچارگی است  
خونی و نجاستی و مشتی رگ و پوست  
انگار نبود این چه غمخوارگی است

- ۱۰ -

بابط میگفت ماهی در تب و تاب  
باشد که بجوی رفته باز آید آب  
گفتا چو من و تو هر دو گشتیم کباب  
دنیا پس مرگ ما چه دریا چه سراب

- ۱۱ -

دنیا نه مقام تست نه جای نشست  
فرزانه در او خراب اولیتر و مست  
بر آتش غم زیاده آبی میزن  
زان پیش که در خاک روی باد بدست

- ۱۲ -

آن یار که عمرش چو غم باد دراز  
امروز بمن تلافی کرد آغاز  
بر چشم من انداخت دمی چشم و برفت  
یعنی که نکوئی کن و در آب انداز

- ۱۳ -

آن به که در این زمانه کم گیری دوست  
با اهل زمانه صحبت از دور نکوست  
آنکس که ترا بجملگی تکیه بر اوست  
چون چشم خرد باز کنی دشمنت اوست

- ۱۴ -

آنرا منگر که زو فنون آید مرد  
در عهد و وفانگر که چون آید مرد  
از عهدهء عهد چون برون آید مرد  
از هر چه گمان بری فزون آید مرد

- ۱۵ -

هنکام صبح ای صنم فرخ پی  
بر ساز ترانه و به پیش آور می  
کافکند بخاک صد هزاران جم و کی  
این آمدن تیرمه و رفتن دی

- ۱۶ -

کسی خلد و جحیم را ندیده است ای دل  
کوئی که از آنجهان رسیده است ای دل  
امید و هراس ما بچیزی که از آن  
جز نام و نشانی ندیده است ای دل

- ۱۷ -

با رحمت تو من از گنه نندیشم  
باتوشه تو زرنج ره نندیشم  
گر لطف تو ام سفید رو گرداند  
حقا که ز نامه سیه نندیشم

- ۱۸ -

افسوس که نامه جوانی طی شد  
و آن تاز بهار شادمانی دی شد  
آن مرغ طرب که نام او بود شباب  
فریاد ندانم که کی آمد کی شد



- ۱۹ -

نا کرده گناه در جهان کیست بگو  
وان کسی که گنه نکرد چون زیست بگو  
من بد کنم و تو بد مکافات دهی  
پس فرق میان من و تو چیست بگو

- ۲۰ -

ای مانده بتزویر فریبنده گرو  
واز بهر دو روزه زنده گی در تک و دو  
گفتی که پس از مرگ کجا خواهی رفت  
می پیش من آروهر کجا خواهی رو

- ۲۱ -

در خواب بدم مرا خرمندی گفت  
کاز خواب کسی را گل شادی نشکفت  
کاری چه کنی که با اجل باشد جفت  
بر خیز که زیر خاک میباید حقت

- ۲۲ -

ما لعبتگ انیم و فلک لعبت باز  
از روی حقیقی ونه از روی مجاز  
بازیجه کنان بدیم بر نطع وجود  
رفتیم بصندوق عدم یک یک باز

- ۲۳ -

سر دفتر عالم معانی عشق است  
سر بیت قصیده، جوانی عشق است  
ای آنکه خبر نداری از عالم عشق است  
این نکته بدان که زندگانی عشق است

- ۲۴ -

چون ابر بنوروز رخ لاله بشت  
بر خیز و بجام باده کن عزم درست  
کین سبزه که امروز تماشا گه تست  
فردا همه از خاک تو بر خواهد رست

- ۲۵ -

شب نیست که عقل در قحیر نشود  
وز گریه کنار من پر از در نشود  
پرمی نشود کاسه سر از سودا  
هر کاسه که سر نگون شود پر نشود

- ۲۶ -

مائیم می و مطرب و این کنج خراب  
فارغ ز امید رحمت و بیم عذاب  
جان و دل و جامه در رهن شراب  
آزاد ز خاک و باد و از آتش و آب

- ۲۷ -

بنگر ز صبا دامن گل چاک شده است  
بلبل ز جمال گل طربناک شده است  
در سایه گل نشین که بسیار این گل  
از خاک برآمده است و در خاک شده است

- ۲۸ -

گویند کسان بهشت باحور خوش است  
من میگویم که آب انگور خوش است  
این تقد بگیر و دست از آن نسیه بدار  
کآواز دهل شنیدن از دور خوش است

- ۲۹ -

هنگام صبح است خروش ای ساقی  
ما و می و کوی میفروش ای ساقی  
چه جای صلاحست خموش ای ساقی  
بگذر ز حدیث و درد نوش ای ساقی

- ۳۰ -

می خوردن من نه از برای طرب است  
نه ز بهر نشاط و ترک دین و آداب است  
خواهم که به بیخودی برایم تقسی  
می خوردن و مست بودنم زین سبب است

- ۳۱ -

در سر هوس بتان چون حورم باد  
بر دست همیشه آب انگورم باد  
گویند کسان خدا ترا توبه دهد  
او خود ندهد من نکنم دورم باد

- ۳۲ -

توبه مکن از می اگرت می باشد  
صد توبه نادمات در پی باشد  
گل جامه دران و بلبلان نعره زنان  
در وقت چنین توبه روا کی باشد

- ۳۳ -

ملیم بشراب ناب باشد دایم  
گوشم بنی و رباب باشد دایم  
گر خاک مرا کوزه گران کوزه کنند  
آن کوزه پر از شراب باشد دایم

- ۳۴ -

هر لذت و راحتی که خلاق نهاد  
از بهر مجر دان آفاق نهاد  
هر کس که ز طاق منقلب گشت بجفت  
آسایش خود ببرد و بر طاق نهاد

- ۳۵ -

آورد باضطرارم اول بوجود  
جز حیرتم از جهان چیزى نقرود  
رفتیم باکراه و ندانیم چه بود  
زین آمدن و بودن و رفتن مقصود

- ۳۶ -

هر روز بر آنم که کنم شب توبه  
از جام پیایی و لبالب توبه  
اکنون که رسید وقت گل هر غم نیست  
در موسم گل ز توبه یارب توبه



- ۳۷ -

بر روی گل از ابر تقابست هنوز  
در طبع و دلم میل شراب است هنوز  
در خواب مرو چه وقت خوابست هنوز  
جانامی خور که آفتاب است هنوز

- ۳۸ -

دارنده چو ترکیب عناصر آراست  
از بهر چه او فگندش اندر کم و کاست  
گرنیک نیامد این صور عیب کراست  
ورنیک آمد خرابی از بهر چه راست

- ۳۹ -

جامی است که عقل افرین میزندش  
صد بوسه ز مهر بر جبین میزندش  
این کوزه گر دهر چنین جام لطیف  
می سازد و باز بر زمین میزندش

- ۴۰ -

برگیر ز خود حسایی از باخبری  
که اول توچه آوری و آخر چه بری  
گفتی نخورم باده که میباید مرد  
میباید مرد اگر خوری یا نخوری

- ۴۱ -

یکچند بکودکی باستاد شدیم  
یکچند زاستادی خود شاد شدیم  
پایان سخن شنو که مارا چه رسید  
از خاک در آمدیم و بر باد شدیم

- ۴۲ -

یا رب بدل اسیر من رحمت کن  
بر سینه غم پذیر من رحمت کن  
بر پای خرابات رو من بخشای  
بر دست پیاله گیر من رحمت کن

- ۴۳ -

ای همنفسان مرا زمی قوت کنید  
واین چهره کهریا چو یاقوت کنید  
گرفتوت شوم پیاده شوئید مرا  
وز چوب رزم تخته تابوت کنید

- ۴۴ -

گویند مرا آنکسان که با پرهیزند  
زان سان که بمیرند چنان بر خیزند  
ما بامی و معشوقه از آنیم مدام  
باشد که بحر مان چنان انگیزند

- ۴۵ -

آمد سحری ندا زمیخانه ما  
کای رند خراباتی و دیوانه ما  
بر خیز که پرکنیم پیمان ز می  
زان پیش که پر کنند پیمان ما

دنیا بمیراد رانده گیر آخر چه  
وین نامه عمر خوانده گیر آخر چه  
گیرم که بکام دل بماندی صد سال  
صد سال دگر بمانده گیر آخر چه

مہتاب بنور دامن شب بشکافت  
می خور که می خوشتر ازین نتوان یافت  
خوش باش و بیندیش که این ماه بمی  
اندر سر خاک یک یک خواهد تافت



مبادئ اللغة الفارسية





## الأحرف الفارسية

١- تستخدم اللغة الفارسية الأحرف العربية. وهناك أصوات في الفارسية لا توجد في العربية تعبر عنها الحروف التالية:

<u>الحرف</u>	<u>كيف ينطق</u>	<u>ملاحظات</u>
پ	p	في الانكليزية
چ	ch	في الانكليزية
ژ	j	في الانكليزية
گ	g	كما في كلمة gun الانكليزية.
و	v	عندما تكون الواو متحركة تلفظ مثل حرف "v" الانكليزية، فإذا كانت حرف مد فتلفظ كما في العربية.

٢- بعض الحروف العربية تلفظ في الفارسية بصورة مختلفة بعض الاختلاف عنها في العربية، كما يلي:

<u>الحرف</u>	<u>كيف ينطق</u>	<u>ملحوظات</u>
ث	س	تلفظ قريبة من السين في العربية.
ح	هـ	تلفظ قريبة من الهاء في العربية.
ذ		كما في العربية، وكذلك يلفظ قريبا من الزاي.

ص	كما في العربية، والغالب أن يكون أقرب إلى حرف السين منه إلى الصاد.
ض	تتلق شبيهة بالزاي في العربية مع شيء من التفخيم يجعلها شبيهة بالطاء في العامية القاهرية.
ط	تتلق أقرب إلى التاء منها إلى الطاء.
ظ	تلفظ بطريقة مشابهة للزاي مع بعض التفخيم.
ق	تلفظ بين القاف والغين في العربية. وهي أقرب إلى الغين.

- ٣- بقية الأحرف تلفظ بالفارسية كما هي العربية.
- ٤- في الفارسية توجد في نهاية بعض الكلمات هاء صامتة، مثل پرده (ستار) وهي لا تلفظ. ويستعاض عنها بكسر الحرف السابق عليها.

### التذكير والتأنيث

التذكير والتأنيث اللفظي غير موجود في الفارسية، ويستفاد التذكير والتأنيث من المعنى.

وعلى هذا فالضمائر وأسماء الإشارة لا تفرق بين المذكر والمؤنث.

والصفات تستخدم للمذكر والمؤنث على السواء:

تو	=	أنت أو أنتِ
او	=	هو أو هي
شما	=	أنتم أو أنتن
ایشان	=	هم أو هن
این	=	هذا أو هذه
آن	=	ذلك أو تلك

أما بالنسبة للصفة فنستطيع أن نقول:

مرد فاضل = رجل فاضل

زن فاضل = امرأة فاضلة

### الجملة:

الجملة في اللغة الفارسية تتألف من:

مسند إليه + مسند + رابطة.

مبتدأ أو فاعل + مفعول أو خبر + أداة لربط المسند إليه بالمسند.

مثل: خدا کریم است الله كريم

وقد يكون المسند إليه اسما والمسند فعلا

مثل: محمد نمیرود محمد لا يذهب

### الضمائر المنفصلة

#### معناه بالعربية

أنا

أنت أو أنتِ

#### الضمير

من

تو

هو أو هي	او (وی)
نحن	ما
أنتم أو أنتن	شما
هم أو هنّ	ایشان

### ملاحظة:

ليس في اللغة الفارسية حركات شبيهة بحركات الإعراب العربية إلا في حالتين:

- (١) حالة المضاف مثل كتاب من (كتابي)
- (٢) حالة الموصوف مثل: مردِ خوب (رجل طيب)

فنلاحظ أننا في هاتين الحالتين نضع كسرة في آخر الاسم المضاف أو الاسم الموصوف.

وإذا سبقت الصفة الموصوف، حذفت الكسرة وأصبح الموصوف ساكناً، مثل «خوبُ مرد» فعندما تقدمت الصفة «خوب» على الموصوف «مرد» أصبح الاسم الموصوف ساكناً.

### تصريف الرابطة

مسند	مسند إليه	رابطة	
من	شاگرد	هستم	أنا طالب.
تو	شاگرد	هستی	أنت طالب (أو أنت طالبة).
او	شاگرد	هست	هو طالب (أو طالبة)
ما	شاگردان	هستیم	نحن طلاب (أو طالبات).

شما شاگردان هستید أنتم طلاب (أو أنتن طالبات).  
ایشان شاگردان هستند هم طلاب (أو هن طالبات).

نلاحظ في تصريح الرابطة أنها تتغير حسب التصريف من حيث نهايتها  
ننتهي بحرف «م» للمتکلم ثم ياء للمخاطب ولا يضاف شيء في حالة المفرد  
الغائب، ثم «يم» في حالة جمع المتکلم و «يد» في حالة جمع المخاطب، «ند»  
في حالة جمع الغائب وقد تختصر هذه الرابطة فيكتفي أحيانا بنهاياتها مثل:

من	شاگردم	انا طالب
تو	شاگردی	انت طالب
او	شاگرد هست	هو أو هي طالب أو طالبة (وهنا تكتب الرابطة كاملة).
ما	شاگرد انيم	نحن طلاب
شما	شاگرد انيد	أنتم أو أنتن طلاب أو طالبات
ایشان	شاگرد انند	هم أو هن طلاب أو طالبات

### الضمائر المتصلة

کتابم	ومعناها	کتابی	=	کتاب من
کتابت	"	کتابک	=	کتاب تو
کتابش	"	کتابه، کتابها	=	کتاب او
کتابمان	"	کتابنا	=	کتاب ما
کتابتان	"	کتابکم، کتابکن	=	کتاب شما
کتابشان	"	کتابهم، کتابهن	=	کتاب ایشان

## المصدر الفارسي

المصادر في اللغة الفارسية تكون منتهية إما بـ (دَن) أو بـ (تَن) ونلاحظ أن الدال من (دن) والتاء من (تن) مفتوحة دائماً.

أمثلة: آمدن: أن يجي رفتن: أن يذهب

### ملحوظة:

عندما تحذف النون من المصدر يدعى مصدراً مرخماً مثل: «بود» و«رفت» فأصلهما بالتوالي «بودَن» و«رفتَن»

## تصريف فعل الكينونة «بودن»

### مع الضمائر المنفصلة في الماضي المطلق

ضمير	مصدر مرخم	الضمير المتصل
من	بود	+ م = من بودم (أنا كنت)
تو	بود	+ ي = تو بودی (أنت كنت)
او	بود	= او بود (هو كان)
ما	بود	+ یم = ما بودیم (نحن كنا)
شما	بود	+ ید = شما بودید (انتم كنتم)
ایشان	بود	+ ند = ایشان بودند (هم كانوا)

## تصريف «رفتن» في الماضي المطلق

ضمير	مصدر مرخم	الضمير المتصل
من +	رفت +	م = من رفتم (ذهبت)
تو +	رفت +	ی = تورفتی (ذهبتَ، ذهبتِ)
او +	رفت +	= اورفت (ذهب، ذهبتُ)
ما +	رفت +	یم = مارفتیم (ذهبنا)
شما +	رفت +	ید = شمارفتید (ذهبتم، ذهبتن)
ایشان +	رفت +	ند = ایشان رفتند (ذهبوا، ذهبن)

وقس على هذه الطريقة السابقة في تصريف الماضي المطلق.

والآن ننتقل الى تصريف الماضي القريب، وهو حدوث شيء وقع في وقت قريب في الماضي، وطريقة التصريف كالآتي:

## تصريف الماضي القريب للمصدر «کردن» (أن يعمل)

الضمير +	مصدر	هـاء	رابطة	تكتب	ومعناها
	مرخم +	صامتة +			
من	کرد	هـ	ام	من کرده ام	انا قد عملت
تو	کرد	هـ	ای	تو کرده ای	أنت أو أنت قد عملت
او	کرد	هـ	است	او کرده است	هو قد عمل أو هي قد عملت
ما	کرد	هـ	ایم	ما کرده ایم	نحن قد عملنا



شما کرد ه اید شما کرده اید أنتم قد عملتم أو أنتن قد عملتن

ایشان کرد ه اند ایشان کرده اند هم قد عملوا أو هن قد عملن.

## رفتن

من	رفته	ام	(أنا قد ذهب)
تو	رفته	ای	(أنت قد ذهب)
او	رفته	است	(هو قد ذهب)
ما	رفته	ایم	(نحن قد ذهبنا)
شما	رفته	اید	(أنتم قد ذهبتم)
ایشان	رفته	اند	(هم قد ذهبوا)

## تصريف الماضي البعيد

أما الماضي البعيد فيدل على فعل وقع في الماضي سابقا على فعل آخر

<u>ضمير +</u>	<u>مصدر</u>	<u>هـ</u>	<u>فعل الكينونة</u>	<u>وتكتب</u>	<u>ومعناها</u>
	<u>مرخم +</u>	<u>صامته +</u>	<u>مصرفا في</u>		
			<u>الماضي المطلق</u>		
من	کرد	ه	بودم	من کرده بودم	انا كنت قد عملت
تو	کرد	ه	بودی	تو کرده بودی	أنت كنت قد عملت
او	کرد	ه	بود	او کرده بود	هو كان قد عمل
ما	کرد	ه	بودیم	ما کرده بودیم	نحن كنا قد عملنا

شما کرد ه بودید شما کرده أنتم كنتم قد عملتم

ایشان کرد ه بودند ایشان کرده هم كانوا قد عملوا  
بودید بودند

فلاحظ هنا أن تصريف الماضي البعيد يكون بإضافة هاء صامته إلى المصدر المرخم من الفعل المتصرف + فعل الكينونة في الماضي المطلق.

## تصريف الماضي الاستمراري

يصرف الماضي الاستمراري مثل الماضي المطلق لكن الفعل يسبق بـ «می» أو «همی»، ويمكن أن تستعمل كلا منهما بدل الآخرای.

دیدن			رفتن		
من	همی	دیدم	من	می	رفتم
تو	همی	دیدي	تو	می	رفتي
او	همی	دید	او	می	رفت
ما	همی	دیدیم	ما	می	رفتیم
شما	همی	دیدید	شما	می	رفتید
ایشان	همی	دیدند	ایشان	می	رفتند

### ملحوظة:

يعرف هذا الزمن أيضا بالماضي الناقص (ماضي ناتمام)

## الفعل المضارع وتصريفه

يبني تصريف الفعل المضارع على المادة الأصلية للمصدر. فلتصريف المضارع من أي فعل لا بد من معرفة مادته الأصلية. وهناك بعض القواعد التي تعين على معرفة المواد للمصادر ولكن الطالب المبتدئ يجب أن يحفظ المادة الأصلية لكل مصدر يعرفه.

مثال: گفتن مادته الأصلية گوی

<u>ضمير</u>	<u>المادة</u>	<u>ضمير متصل</u>	<u>فتكتب</u>	<u>ومعناها</u>
من	گوی	م	من گویم	أنا أقول
تو	گوی	ی	تو گویی	انت تقول أو أنت تقولین
او	گوی	د	او گوید	هو يقول أو هي تقول
ما	گوی	یم	ما گوئیم	نحن نقول
شما	گوی	ید	شما گوئید	أنتم تقولون أو أنتن تقلن
ایشان	گوی	ند	ایشان گویند	هم يقولون أو هن يقلن.

وكذلك يكون الحال في كل مصدر، وفيما يلي بعض التطبيقات:

نهادن (أن يضع) والمادة الأصلية «نه» فيكون تصريف المضارع من هذا المصدر كما يلي:

من نهم  
تونهي  
اونهد  
مانهيم  
شمانهيد  
ايشان نهند

آمدن (أن يجيء) والمادة الأصلية «آي» فيكون التصريف كما يلي:

من آيم  
تو آي  
او آيد  
ما آييم  
شما آييد  
ايشان آيند

وقس على ذلك بقية المصادر.

## تصريف المضارع الاستمراري

يصرف المضارع الاستمراري كالمضارع مع إضافة علامة الاستمرار إلى أوله وهي: «مي» أو «همي».

يمكن استعمال «مي» أو «همي» على السواء.

مثال: گرفتن، ومادتها الأصلية: گیر.

من	می	گیرم
تو	می	گیری
او	می	گیرد
ما	می	گیریم
شما	می	گیرید
ایشان	می	گیرند

وقس على ذلك

### صیغه المستقبل

يصاغ المستقبل من المضارع من «خواستن» + المصدر المرخم من الفعل المتصرف.

تصريف المضارع من خواستن - ومادته الأصلية خواه:

من خواهم	ما خواهیم
تو خواهی	شما خواهید
او خواهد	ایشان خواهند

### المستقبل من «کردن»

من خواهم کرد	أنا سوف أعمل أو سأعمل
تو خواهی کرد	
او خواهد کرد	
ما خواهیم کرد	
شما خواهید کرد	
ایشان خواهند کرد	

فصيغة المستقبل إذن تتكون من المضارع لفعل خواستن + المصدر  
المرخم من الفعل المراد تصريفه.

## فعل الأمر

المادة الأصلية من أي مصدر هي ذاتها فعل الأمر للمفرد.  
أما أمر الجمع فيكون بإضافة «يد» إلى آخر المادة الأصلية:  
مثال:

گفتن	ومانتہ	گوی
أمر المفرد	هو	گوی
أمر الجمع	هو	گویید

وأحيانا تسبق المادة الأصلية «ب» مكسورة، فيكون فعل الأمر من  
«گفتن» :

گوی او بگوی	للمفرد المخاطب
گویید او بگویید	لجماعة المخاطبين

## نفي الفعل

يكون نفي الفعل بنون مفتوحة تتصل بأوله

## نفي الماضي المطلق

<u>الماضي المطلق</u>	<u>يصير بعد النفي</u>
من رفتم (أنا ذهبت)	من نرفتم (أنا ما ذهبت)
تورفتی	تونرفتی

اورفت	اونرفت
مارفتم	مانرفتم
شمارفتید	شمانرفتید
ایشان رفتند	ایشان نرفتند

### نفي الماضي الاستمراري

ينفي الماضي الاستمراري بادخال نون مفتوحة على «می» أو «همی»

مثال:

من می رفتم	تصیر بعد النفي	من نمی رفتم
تو می رفتی	=	تو نمی رفتی
او می رفت	=	او نمی رفت
ما می رفتیم	=	ما نمی رفتیم
شما می رفتید	=	شما نمی رفتید
ایشان می رفتند	=	ایشان نمی رفتند

### نفي الرابطة

هستم	تصیر بعد النفي	نیستم
هستی	=	نیستی
هست	=	نیست
هستیم	=	نیستیم
هستید	=	نیستید
هستند	=	نیستند



## النهي

يصاغ النهي بادخال ميم مفتوحة في أول فعل الأمر، مثل:

نشين (اجلس)	تصير في حالة النهي	منشين (لا تجلس)
نشينيد (اجلسوا)	=	منشينيد (لا تجلسوا)
گوى (قل)	=	مگوى (لا تقل)
گوويد (قولوا)	=	مگوويد (لا تقولوا)

## ياء التنكير وياء الإسمية

إذا دخلت الياء على اسم كانت الياء علامة التنكير، وإذا دخلت الياء على صفة أصبحت الصفة اسم معنى:

مثال دخولها على اسم: قومى، وتعني كلمة «قوم» في حالة التنكير.

مثال دخولها على الصفة: «خوش» صفة بمعنى حسن أو طيب، فإذا دخلت الياء تصبح «خوشى» اسم معنى يعني «الحسن».

## المفرد والجمع

الفارسية تعرف طريقتين للجمع هما:

١- تدخل الألف والنون (ان) على آخر الاسم فيصبح جمعا، مثل: مرد (وتعني رجل) فتصبح مردان (رجال)

٢- تدخل الهاء والألف (ها) على الاسم فيصبح جمعا، مثل: كتاب، وهو في حالة الجمع كتابها.

## اسم الإشارة

اينان: هؤلاء

اين: هذا

آنان: أولئك

آن: ذلك

## اللاحقة « را »

### فائدة:

تكون « را » للدلالة على المفعولية عندما يكون الاسم مفعولا به لفعل متعد:

مثال فارسي : من مرد را دیدم.

ومعناه : أنا رأيت الرجل.

وتكون علامة المفعول اليه إذا لم يوجد فعل متعد في الجملة:

مثال: اين كتاب مرا نيست : هذا الكتاب ليس لي.

وهناك تفصيلات أخرى لاستعمال « را » لا داعي لذكرها في هذه المرحلة من الدراسة.

## اسم المفعول

يتكون اسم المفعول من مصدر مرخم زائد هاء صامتة (ه) مثل:

### اسم المفعول

### مصدر مرخم

### مصدر

گفته

گفت

گفتن (ان يقول)

نهاده

نهاد

نهادن (ان يضع)

## اسم الفاعل

يتكون اسم الفاعل من المادة الأصلية + «نده» مثل:

<u>اسم الفاعل</u>	<u>المادة الأصلية</u>	<u>مصدر</u>
گوینده	گوى + نده =	گفتن (أن يقول)
رونده	رو + نده =	رفتن (أن يذهب)
نهنده	نه + نده =	نهادن (أن يضع)

## الصفة المشبهة

تتكون الصفة المشبهة من المادة الأصلية مع زيادة ألف على آخرها:

أمثلة:

<u>الصفة المشبهة</u>	<u>المادة الأصلية</u>	<u>مصدر</u>
دانا	دان	دانستن (أن يعلم)
گویا	گوى	گفتن (أن يقول)
روا	رو	رفتن (أن يذهب)
بینا	بین	دیدن (أن يرى)

## الصيغة الحالية

تتكون الصيغة الحالية من المادة الأصلية مع زيادة ألف ونون على آخرها:

أمثلة:

<u>المصدر</u>	<u>المادة الأصلية</u>	<u>الصفة الحالية</u>
گفتن (أن يقول)	گوی	گویان
رفتن (أن يذهب)	رو	روان
نهادن (أن يضع)	نه	نهان

## الصفة والموصوف

الصفة في الفارسية لا تختلف في المذكر عنها في المؤنث، مثل:

مرد خوب: رجل طيب      زن خوب: امرأة طيبة

الصفة في الفارسية قد تتبع الموصوف افرادا وجمعا وقد لا تتبعه، مثل:

مردان خوب أو مردان خوبان : رجال طيبون

زنان خوب أو زنان خوبان : نساء طيبات.

## قاعدة:

إذا كان في آخر الاسم الموصوف أو المضاف حرف علة يلحق به في حالة الوصف أو الإضافة «ياء» وتوضع تحت الياء كسرة الإضافة، مثل:

كتابتها	كتابتها من	بمعنى: كتبي
علما	علماء عرب	بمعنى: العلماء العرب

## ضمير الموصول

١- كه : ضمير الموصول للعاقل وغيره

٢- چه : ضمير الموصول لغير العاقل

### قاعدة:

يسبق الموصول عادة ياء تتصل بآخر الاسم السابق على الموصول. وهذه الياء تربط هذا الاسم بضمير الموصول، وتقيد تعريفه.  
مردیکه آمد برادر من است  
الرجل الذي جاء أخي

### قاعدة:

يمكن أن يسبق ضمير الموصول

١- اسم إشارة، مثل : اینکه = هذا الذي  
آنکه = ذلك الذي

٢- ضمير منفصل، مثل: من که = أنا الذي  
ما که = نحن الذين

### قاعدة:

يجوز أن يسبق ضمير الموصول بأداة النداء  
مثل : ایکه = يا من.

## ضمير الاستفهام

١- يستعمل ضميرا الموصول: که، چه للاستفهام أيضا.

### أمثلة:

که آمد ؟ = من جاء ؟  
چه کردی ؟ = ماذا صنعت ؟

٢- تختلف ضمائر الاستفهام عن ضمائر الموصول في الوجوه الآتية:

- أ- أن ضمائر الاستفهام يمكن أن تسبقها الأدوات الفارسية التي تشبه حروف الجر العربية. مثل: از= من ، بر= على
- ب- أن ضمائر الاستفهام يمكن أن تلحق بها علامة المفعولية: مثال: كرا (که را) دیدی؟ = من رأيت؟
- ج- يمكن أن يكون ضمير الاستفهام مضافا إليه مثال : این کتاب کیست؟ = كتاب من هذا؟
- د- أن ضمير الاستفهام «که» يمكن أن يجمع. وجمع «که» هو «کیان».

مثال: آنان کیان اند ؟ = هؤلاء من يكونون ؟

### أدوات الاستفهام

آیا : هل ؟	کجا : أين ؟
چرا : لماذا ؟	کدام : أي شخص ؟
چند : كم ؟	أي شيء ؟
چه طور : كيف ؟	کو : أين ؟
	کی : متى ؟

### المبني للمجهول

- ١- من الشائع في اللغة الفارسية استعمال صيغة «جمع الغائب» من الفعل المتعدي للتعبير عن المبني للمجهول.
- مثال: حکایت کنند = يُحكى.

٢- يصاغ المبني للمجهول من اسم المفعول من المصدر المراد بناؤه للمجهول + تصريف فعل شدن.

اسم مفعول + تصريف شدن:

نوشته	شد	: كُتِبَ
آزموده	شدی	: جُرِبَتْ

ويجوز أن يكون اسم المفعول عربياً، مثل

مغلوب شد : غُلبَ

### المصدر الشيني

ويسمى أيضاً «حاصل مصدر»

يصاغ المصدر الشيني بإضافة «ش» مكسور ما قبلها إلى المادة الأصلية  
مثل:

<u>المصدر</u>	<u>المادة الأصلية</u>	<u>المصدر الشيني</u>
نواختن	نواز	نوازش
بخشیدن	بخش	بخشش

### الدعاء

يتكون فعل الدعاء من صيغة المضارع للشخص الثالث المفرد، وذلك بشرط أن تضاف ألف قبل الحرف الأخير من هذه الصيغة.

أمثلة:



<u>المصدر</u>	<u>المادة الأصلية</u>	<u>المضارع للشخص الثالث</u>	<u>الدعاء</u>
گفتن کردن	گوی کن	گوید کند	گویاد کناد

وإذا أردنا نفي صيغة الدعاء ألحقنا ميمًا بأولها:  
أمثلة:

<u>صيغة الدعاء</u>	<u>نفي الدعاء</u>	
کناد	مکناد	من کردن
دهاد	مدهاد	من دادن

## النداء

- ١- يكون النداء في الفارسية بإلحاق ألف بآخر الاسم المنادى.  
مثال : خدايا = يا الله.
- ٢- تستعمل بعض أدوات النداء العربية للنداء في الفارسية. فالفرس يستخدمون «يا» وكذلك «اي» للنداء.  
مثال: اي پدر = يا أبي.

## الصفة المنسوبة

تسمى الصفة المنسوبة «صفت نسبی» بالفارسية وتقابل الاسم المنسوب في اللغة العربية.

وهناك طرق متعددة للنسب في الفارسية، أهمها:

- ١- ياء النسبة، كما في العربية:

عربی - لبنانی

٢- ين تلحق بآخر الاسم:

زرين	:	ذهبي	من زر	=	ذهب
سيمين	:	فضي	من سيم	=	فضة
چوبين	:	خشبي	من چوب	=	خشب

٣- ينه، وتلحق أيضا بآخر الاسم، مثل:

زرينه	:	ذهبي
سيمينه	:	فضي

٤- « ه » (هاء صامتة)، « انه »

وتلحقان بآخر الأسماء الدالة على الزمن، وبذلك يعني الاسم صفة زمنية.

<u>الاسم</u>	<u>المعنى</u>	<u>النسبة بالهاء</u>	<u>النسبة بـ «انه»</u>
روز	يوم	روزه	روزانه: يومي
سال	سنة	ساله	سالانه: سنوي

## قواعد صرفية مهمة

١- جمع الاسم المنتهى بهاء صامتة:

إذا كان الاسم الذي نجمعه (بألف ونون) منتهيا بهاء صامتة قلبت هذه الهاء «گ» عند الجمع، مثل:  
گرده (جوزه) جمعها گردگان (جوز).

٢- أسماء الإشارة والضمائر الشخصية التي تبدأ بهمزة:

إذا دخلت الباء على اسم إشارة أو ضمير أوله همزة جاز أن تقلب الهمزة دالاً.

### أمثلة:

بدان	=	بآن :	لـذاك
بدين	=	بآين :	لـهـذا
بدو	=	باو :	لـهـ
بديشان	=	بايشان :	لـهم

٣- إذا دخلت الباء على فعل وكان أوله همزة قلبت الهمزة ياء.

### أمثلة:

الفعل «افتد» إذا دخلت عليه الباء صار «يُفتد».

الفعل «آمد» إذا دخلت عليه الباء صار «ييامد».

# المصادر الفارسية

## ثبت مرتب على حروف المعجم

المصدر	المادة	المعنى
	( أ )	
آراستن	آرا (ى)	أن يزين، التزيين
آرامیدن	آرام	١١ يستريح، يسكن، الاستراحة
آزردن	آزار	١١ يؤذي، الأذى، التكدير
آزمودن	آزما (ى)	١١ يجرب، التجربة
آسودن	آسا (ى)	١١ يهدأ، الهدوء، الاستراحة
آشفتن	آشوب	١١ يثير، يزعج، الاثارة
آگاهانیدن	آگاهان	١١ يخبر، يشهد، الإخبار
آگاهیدن	آگاه	١١ يخبر، يحذر، الأخبار، التحذير
آگندن	آگن	١١ يحشو، الحشو
آگنیدن	آگن	١١ يحشو، الحشو
آمدن	آ (ى)	أن يجيء، المجيء
آمرزیدن	آمرز	١١ يرحم، يغفر، الغفران
آموختن	آموز	١١ يعلم، يتعلم، التعليم
آمیختن	آمیز	١١ يخلط، الخلط
آوردن	آور. آر	١١ يحضر، الإحضار
استادن	ایست	١١ يقف، الوقف

افتادن	افت	۱۱ يقع، الوقوع
افراختن	افراز	۱۱ يرفع، الرفع
افراشتن	افراز	۱۱ يرفع، الرفع
افروختن	افروز	۱۱ بشعل، يوقد، الاشعال
افزودن	افزا (ى)	۱۱ يزيد، الزيادة
افسردن	افسر	۱۱ يجمد، التجمد
افساردن	افشار	۱۱ يعصر، يضغط، الضغط
افشاندن	افشان	۱۱ ينثر، النثر
افگندن	افگن	۱۱ يرمي، الرمي
انباردن	انبار	۱۱ يملأ، يخزن، الخزن
انباشتن	انبار	۱۱ يملأ، يخزن، الخزن
انداختن	انذار	۱۱ يرمى، يطرح، الطرح
اندوختن	اندوز	۱۱ يجمع، يحصل، الجمع
انديشيدن	انديش	۱۱ يفكر، يتدبر، التفكير
انگاشتن	انگار	۱۱ يفرض، يتخيل، ينقش
انگيختن	انگيز	أن يثير، يحرض، التحريض
اوفتادن	اوقت، افت	۱۱ يقع، الوقوع، السقوط
ايستادن	ايست	۱۱ يقف، الوقوف

## ( ب )

باختن	باز	أن يلعب، اللعب
باريدن	بار	۱۱ يمطر، الإمطار

بازیدن	باز	۱۱ يلعب، اللعب
بافتن	باف	۱۱ ينسج، النسيج
بایستن	بای	۱۱ يلزم، يجب، اللزوم
بردن	بر	۱۱ يحمل، يسلب، الحمل
برزیدن	برز	۱۱ يزرع، يثمرن
برشتن	برشت	۱۱ يقلی، القلی، يسلق
بریدن	بر	۱۱ يقطع، القطع
بستن	بند	۱۱ يعقد، يربط، الربط
بندیدن	بند	۱۱ يعقد، يربط
بودن	بو، باش	۱۱ يكون، الكون
بوسیدن	بوس	۱۱ يقبل، التقبيل
بوئیدن	بوی	۱۱ يشم، الشم
بیختن	بیز	۱۱ ينخل، يصفی، النخل

### ( پ )

پاشیدن	پاش	أن ينثر الماء، يرش، الرش
پاکیدن	پاک	۱۱ ينظف، التنظيف
پالادن	پالا (ی)	۱۱ يصفی، التصفية
پالودن	پالا (ی)	۱۱ يصفی، التصفية
پالیدن	پالا (ی)	۱۱ يصفی، التصفية
پختن	پز	۱۱ يطهي، الطهي
پنیرفتن	پنیر	۱۱ يقبل، القبول
پراشیدن	پراش	۱۱ يبعثر، ينثر

پر اگندن	پراگن	۱۱ یبعثر، ينثر
پر انیدن	پران	۱۱ يطير، التطير
پرداختن	پرداز	۱۱ يكمل، يتم، الإكمال
پرستیدن	پرست	۱۱ يعبد، العبادة
پرسیدن	پرس	۱۱ يسأل، السؤال
پرهختن	پرهیز	۱۱ يتعفف، يتأدب، التعفف
پرهیختن	پرهیز	۱۱ يتعفف، يتأدب، التعفف
پرهیزیدن	پرهیز	۱۱ يتعفف، يتأدب، التعفف
پروردن	پرور	۱۱ يربي، التربية، التنشئة
پریدن	پر	۱۱ يطير، الطيران
پریشانیدن	پریشان	۱۱ يبعثر، ينثر
پریشیدن	پریش	۱۱ يبعثر، ينثر
پزیدن	پز	أن يطهي، الطهي
پز مردن	پزمر	۱۱ ينزل، الذبول
پزوهیدن	پزوه	۱۱ يفحص، يبعث، الفحص
پسندیدن	پسند	۱۱ يعجب، الإعجاب
پناهیدن	پناه	۱۱ يلجأ، الالتجاء
پنداشتن	پندار	۱۱ يفكر، يظن، الظن
پوشاندن	پوشان	۱۱ يلبس، يغطي، الإلباس
پوشانیدن	پوشان	۱۱ يلبس، يغطي، الإلباس
پوشیدن	پوش	۱۱ يلبس، اللبس
پیچیدن	پیچ	۱۱ يطوي، الطي

پیراستن	پیرا (ی)	۱۱ یزین، یزوق، التزویق
پیمودن	پیما (ی)	۱۱ یقیس، القیاس
پیوستن	پیوند	۱۱ یتصل، یرتبط، الارتباط، الاتصال

### ( ت )

تاختن	تاز	أن یسرع، یجری، الجری، الهجوم
تازیدن	تاز	۱۱ یجری، یهجم، الجری، الهجوم
تافتن	تاب	۱۱ یتثی، یلوی، یشعل، ینیر
تاویدن	تاو	أن یتثی، یغزل، ینیر، یضیء
تپیدن	تب	۱۱ یدق، یرتجف، یرتعد
ترازیدن	تراز	۱۱ یطرز، التطریز
تراشیدن	تراش	۱۱ یخلق، ینحت، النحت
ترسانیدن	ترسان	۱۱ یخیف، الإخافة
ترسیدن	ترس	۱۱ یخاف، الخوف
ترکیدن	ترك	۱۱ یشق، یمزق
تتیدن	تن	۱۱ ینسج، یغزل
توانستن	توان	۱۱ یقدر، القدرة

### ( ج )

جستن	جه	أن یقفز، یتب، الوثوب
جستن	جو (ی)	۱۱ یبحث، البحث
جنبانیدن	جنبان	۱۱ یحرك، یهز، التحریك
جنبیدن	جنب	۱۱ یتحرك، یهتز، التحرك
جهانیدن	جهان	۱۱ یجعله یتب، یقفز



جهيدن	جه	۱۱ يثب، يقفز
جوشاندن	جوشان	۱۱ يجعله يغلي، الغليان
جوشانيدن	جوشان	۱۱ يجعله يغلي، الغليان
جوشيدن	جوش	۱۱ يغلي، الغليان

### ( چ )

چسپيدن	چسپ	أن يلصق، اللصق، الالتصاق
چريدن	چر	۱۱ يرعى العشب، الارتعاء
چشيدن	چش	۱۱ يذوق، الذوق
چكاندن	چكان	۱۱ يقطر، يصب
چكيدن	چك	۱۱ يقطر، يصب
چمانيدن	چمان	۱۱ يجعله يتبختر
چميدن	چم	۱۱ يتبختر في مشيته
چيدن	چين	۱۱ يقطف، القطف، الجمع

### ( خ )

خابيدن	خاب	أن يدوس، الدوس
خاريدن	خار	۱۱ يحك، الوخر
خاستن	خيز	۱۱ يقوم، ينهض، النهوض
خاييدن	خا (ى)	۱۱ يمضغ، يمص
خراشيدن	خراش	۱۱ يمزق، يخدش
خراميدن	خرام	۱۱ يتبختر، يمشي مزهواً
خريدن	خر	۱۱ يشتري، الشراء
خزیدن	خز	۱۱ يزحف، يحبو

خسپیدن	خسب	۱۱ ينام، يرقد، ينعس
خستن	(غير مستعمل)	۱۲ أن يجرح، يمرض، يعتل
خفتن	خفت . خواب	۱۱ ينام، النوم
خفيدن	خف	۱۲ يختق، الاختناق
خليدن	خل	۱۱ يقرص، يلذع، يخز
خموشیدن	خموش	۱۱ يسكت، يصمت، الصمت
خمیدن	خم	۱۲ يثي، يطوي، يتهكم، يسخر
خنديدن	خند	۱۱ يضحك، الضحك
خوابانیدن	خوابان	۱۱ ينوم، التتويم
خوابیدن	خواب	۱۱ ينام، يرقد، النوم
خواستن	خواه	۱۲ يطلب، يريد، يرغب
خواندن	خوان	۱۲ يقرأ، ينادي، يسمي
خوردن	خور	۱۲ يأكل، الأكل

### ( د )

دادن	ده	۱۱ يعطي، الإعطاء
داشتن	دار	۱۱ يملك، الملكية
دامانیدن	دامان	۱۲ يجعله يتنفس، أن يُنفس
دانستن	دان	۱۱ يعرف، المعرفة، العلم
دوختن	دوز	۱۲ يحيك، يخيطة، الخياطة
درخشیدن	درخش	۱۲ يتلأأ، يلمع
درفشانیدن	درفشان	۱۲ أن يجعله يلمع ويتلأأ
درفشیدن	درفش	۱۲ يلمع، يتلأأ

ثُرودَن	دِرَو . دُرُو	۱۱ يحصد، الحصاد
دِرَویدن	دِرَو	۱۱ يحصد، الحصاد
دریدن	در	۱۱ يمزق، يفتق، يقطع
دمیدن	دم	۱۱ يتنفس، التنفس
دنیدن	دن	۱۱ يمشي مرحاً، أن يمرح
دواندن	دوان	۱۱ يجعله يجري، أن يجري
دوانیدن	دوان	۱۱ يجعله يجري، أن يجري
دوختن	دوز	۱۱ يحبك، أو يخيظ، يجمع
دوزیدن	دوز	۱۱ يخيظ
دوشیدن	دوش	أن يحلب
دویدن	دو	۱۱ يجري، الجري
ديدن	بين	۱۱ يرى، الرؤية

### ( ر )

راندن	ران	أن يسوق، السوق
رُبودن	ربای	۱۱ يخطف، الخطف
رزیدن	رز	۱۱ يصبغ، الصباغة
رسانیدن	رسان	۱۱ يوصل، الإيصال
رَسْتَن	ره	أن يتخلص، الخلاص
رُسْتَن	رُو (ی)	۱۱ ينمو، ينبت
رسیدن	رس	۱۱ يصل، الوصول
رِشْتَن	ريس	۱۱ يغزل، الغزل
رُشْتَن	رَز	۱۱ يصبغ، الصباغة

رقّتن	رو	١١ يذهب، الذهاب
رُفّتن	روب	١١ يكنس، الكنس
رقصانندن	رقصان	١١ يجعله يرقص، الترقيص
رقصیدن	رقص	١١ يرقص، الرقص
ركیدن	رك	١١ يزمجر
رمیدن	رم	١١ يجفل، يخاف
رنجانییدن	رنجان	١١ يتعب، يؤذي، الإيذاء
رنجیدن	رنج	١١ يُتعب، يغضب، التعب
رهان	ره	١١ يحرر، يخلص، التحرير
رهانندن	رهان	١١ يحرر، يخلص، التحرير
رهانییدن	رهان	١١ يحرر، يخلص
رهیدن	ره	١١ يتخلص، يتحرر
روبییدن	روب	١١ يكنس، الكنس
روفتن	روب	١١ يكنس، الكنس
رویانییدن	رویان	١١ يجعله ينمو، الإنماء، التّمية
روئیدن	روی	١١ ينمو، النمو
ریختن	ریز	أن يصب، الصب، الانصباب
ریسیدن	ریس	١١ يغزل، الغزل
ریشتن	ریس	١١ يغزل، الغزل
( ز )		
زاین	زای	أن يلد، الولادة
زایدن	زای	١١ يلد، الولادة

زائیدن	زای	۱۱ یلد، الولادة
زدن	زن	۱۱ يضرب، الضرب
زِبودن	زِداي	۱۱ یصقل، الصقل
زنودن	زنای	۱۱ یصهل، الصهل
زیبیدن	زیب	۱۱ یلیق، اللیاقه
زیستن	زی	۱۱ يعيش، یحیی، الحیاة

### ( س )

ساختن	ساز	أن يجعل، الجعل
سازیدن	ساز	۱۱ يحضر، یجهز، التحضير
سائیدن	ساي	۱۱ يحك، یمسح
سپَرْدَن	سپار	۱۱ يطوي، أن یسلك
سپُرْدَن	سپار	۱۱ یودع، الإيداع
ستادن	ستان	۱۱ يأخذ، الأخذ
ستاندن	ستان	أن يأخذ، الأخذ
ستانیدن	ستان	۱۱ يأخذ، الأخذ
ستاییدن	ستاي	۱۱ یمدح، المدح، الثناء
ستودن	ستاي	۱۱ یمدح، المدح
ستیزیدن	ستیز	۱۱ یحارب، یعارك، یخاصم
سراییدن	سراي	۱۱ یغني، الغناء
سرشتن	سرش	۱۱ یخلق، یعجن، یخلط
سرودن	سراي	۱۱ یغني، یترنم
سفتن	سنب	۱۱ ينظم الخرز (العقد)

سگالیدن	سگال	۱۱ يفكر، يظن
سنجیدن	سنج	۱۱ يزن، الوزن
سوختن	سوز	۱۱ يحرق، يحترق، الحريق
سودن	ساي	۱۱ يحك، يمسح - يسحق
سوزاندن	سوزان	۱۱ يحرق، يشعل، الإحراق

### ( ش )

شانندن	شان	۱۱ يمشط الشعر
شايستن	شاي (فعل ناقص)	۱۱ يجوز، يليق
شتافتن	شتاب	۱۱ يسرع، يتعجل
شدن	شو	۱۱ يصير، الصيرورة
شدياريدين	شديار	۱۱ يحرث، الحرث
شرمیدن	شرم	۱۱ يخجل، الخجل
شستن	شوى	أن يغسل، الغسل
شكاريدين	شكار	۱۱ يصيد، الصيد
شكافتن	شكاب	۱۱ يشق، أن يكسر
شكافيدن	شكاف	۱۱ يشق، يقطع
شكستن	شكن	۱۱ يكسر، الكسر
شكفتن	شكاب	۱۱ يشق، يقطع
شكفتن	(غير مستعمل)	۱۱ يعجب، يتعجب
شكفتن	شكف	۱۱ يزدهر، يتفتح

شکوفتن	شکوف	۱۱ یزدهر، یفتتح
شکوفیدن	شکوف	۱۱ یزدهر، یفتتح
شکيبیدن	شکيب	۱۱ یصبر
شگفتیدن	شگفت	۱۱ یتعجب
شگفیدن	شگوف	۱۱ یزدهر، یفتتح
شگوفتن	شگوف	۱۱ یزدهر، یفتتح
شمردن	شمار	۱۱ یعد، یحصی، یحسب
شناختن	شناس	۱۱ یعرف، التعریف
شناسیدن	شناس	۱۱ یعرف، التعرف
شناویدن	شناو	۱۱ یعوم، یسبح
شنفتن	شنو	۱۱ یسمع، السمع
شنوانیدن	شنوان	۱۱ یسمع، الاسماع
شنودن - شنودن	شنو	۱۱ یسمع، السمع
شنیدن - شنیدن	شنو	۱۱ یسمع، السمع
شویانیدن	شویان	۱۱ یجعله یغسل
شویدن	شوي	۱۱ یغسل، الغسل

### ( غ )

غرمیدن	غرم	أن یزمجر، یزار، یرعد
غرنبیدن	غرنب	۱۱ یزمجر، یزار، یرعد
غریدن	غر	۱۱ یزمجر، یزار، یرعد

غلّان	غلّانیدن
غلّت	غلّیدن
غلط	غلطیدن
غنوّ	غنوّدن
غنو	غنویدن
غلّان	غلّانیدن
غلّت	غلّیدن
غلط	غلطیدن
غنوّ	غنوّدن
غنو	غنویدن

## ( ف )

افت	فتادن
فتار	فتاریدن
فتال	فتالیدن
فراز	فراختن
فراز	فراشتن
فراش	فراشیدن
فرست	فرستادن
فرما (ی)	فرمودن
فروش	فروختن
فروز	فروختن
فروش	فروشدن
فرب	فربفتن
فسر	فسردن
فشار	فشاردن
فشان	فشاندن
فشار	فشردن
يقع، يسقط، الوقوع	فتادن
يمزق، ينزع، التمزيق	فتاریدن
ينزع، يخلع، الخلع	فتالیدن
يرفع، الرفع	فراختن
يرفع، الرفع	فراشتن
يرتعد، يقشعر	فراشیدن
يرسل، الإرسال	فرستادن
يأمر، يتفضل، الأمر	فرمودن
يبيع، البيع	فروختن
يشعل، يضيء	فروختن
أن يبيع، البيع	فروشدن
يخدع، الخديعة	فربفتن
يتجمد، التجمد	فسردن
يعصر، يضغط، الضغط	فشاردن
ينثر، النثر	فشاندن
يعصر، يضغط، الضغط	فشردن



فگندن	فگن	۱۱ یقذف، یرمی، یطرح
فهمیدن	فهم	۱۱ يفهم، الفهم

## ( ك )

کاستن	گاه	أن یقل، یقل
کاشتن	کار	۱۱ یزرع، یحرث
کافتن	کاو	۱۱ یشق، یمزق
کاهیدن	گاه	۱۱ یقل، یقل
کاویدن	کاو	۱۱ یشق، یمزق
کردن	کن	۱۱ یعمل، یصنع
کشادن	کشا (ی)	۱۱ یفتح، الفتح
کشتن	کار	۱۱ یزرع، یحرث
کُشتن	کُش	۱۱ یقتل، القتل
کشودن	کِشا (ی)	۱۱ یفتح، الفتح
کشیدن	کش	۱۱ یسحب، یرسم
کندن	کن	۱۱ یحفر، الحفر
کوبیدن	کوب	أن یدق، الدق
کوشیدن	کوش	۱۱ یجتهد، یسعی
کوفتن	کوب	۱۱ یدق، الدق

## ( گ )

گامیدن	گام	أن یمشي، یخطو
--------	-----	---------------

گذاختن	گداز	۱۱ ینوب، ینصهر
گدازیدن	گداز	۱۱ ینوب، ینصهر
گذاردن	گذار	۱۱ یعبر، یمضی
گذاشتن	گذار	۱۱ یتړك
گذارندن	گذران	۱۱ یجعله یمر، التمریر
گذارنیدن	گذران	۱۱ یجعله یمر، التمریر
گنشتن	گذار، گذر	۱۱ یمر، یعبر، یمضی
گردانیدن	گردان	۱۱ یحیل، یصیر
گردیدن	گرد	۱۱ یصیر، یدور
گرستن	گری	۱۱ یبیکي، البكاء
گرفتن	گیر	۱۱ یاخذ، یمسك
گرویدن	گرو	۱۱ یتبع، یطیع، یقبل، یرهن
گریختن	گریز	۱۱ یهرب، یفر
گزاردن	گزار	۱۱ یوفی، أن یعبر، یتړك
گذاشتن	گزار	۱۱ یوفی، أن یعبر، یتړك
گزیدن	گز	۱۱ یعض
گزیدن	گزین	۱۱ یختار، ینتخب
گساردن	گار	أن یتړك - یشرَب
گستریدن	گستر	۱۱ یفرش، ییسط
گسستن	گسل	۱۱ یقطع، یمزق

گسلیدن	گسل	۱۱ یقطع، یمزق
گشادن	گشا (ی)	۱۱ یفتح، الفتح
گشتن	گرد	۱۱ یدور، یصیر
گشودن	گشا (ی)	۱۱ یفتح، الفتح
گفتن	گو (ی)	۱۱ یقول، القول
گماشتن	گمار	۱۱ ینفذ، یوکل
گنجیدن	گنج	۱۱ یحتوی، یشتمل
گندن	گن	۱۱ ینتن، یفسد
گیراندن	گیران	۱۱ یجعله یمسك، أو یأخذ
گیرانیدن	گیران	۱۱ یجعله یمسك أو یأخذ

## ( ل )

لاندن	لان	۱۱ یثیر، یحرك
لانیدن	لان	۱۱ یثیر، یحرك
لاییدن	لای	۱۱ یتحدث، یشکو
لرزانیدن	لرزان	۱۱ یجعله یرتعد
لرزیدن	لرز	۱۱ یرتعد، یهتز
لغزانیدن	لغزان	۱۱ یجعله ینزلق
لغزیدن	لغز	۱۱ ینزلق
لنگیدن	لنگ	أن یعرج، العرج
لوغیدن	لوغ	۱۱ یحلب

## ( م )

مالیدن	مال	أن يمسح، يحك
ماندن	مان	۱۱ يبقى، البقاء
مانستن	مان	۱۱ يشابه
مُردن	مير	۱۱ يموت، الموت

## ( ن )

نالیدن	نال	أن يشكو، ينتحب
نامیدن	نام	۱۱ يسمى، التسمية
نبشتن	نويس	۱۱ يكتب، الكتابة
نشاندن	نشان	۱۱ يرقم، يخرس، يجعله يجلس
نشستن	نشين	۱۱ يجلس، الجلوس
نگاریدن	نگار	۱۱ يرقم، ينقش
نگاشتن	نگار	۱۱ يرقم، ينقش
نگرستن	نگر	۱۱ ينظر، النظر
نگريدن	نگر	۱۱ ينظر، النظر
نگريستن	نگر	۱۱ ينظر، النظر
نمودن، نمودن	نما(ى) ، نما(ى)	۱۱ يظهر، الظهور
نهادن	نه	۱۱ يضع، الوضع
نواختن	نواز	۱۱ يدلل، يلاطف - الملاطفة
نوازيدن	نواز	۱۱ يدلل، يلاطف - الملاطفة

نوریدن	نورد	۱۱ يطوي، العليّ
نوشتن	نویس	۱۱ يكتب، الكتابة
نوشتیدن	نوش	۱۱ يشرب، الشرب

### ( هـ )

هشتن	هل	۱۱ يترك، الترك
هلیدن	هل	۱۱ يترك، الترك

### ( و )

ورزیدن	ورز	۱۱ يمارس، يواظب
--------	-----	-----------------

### ( ي )

یار استن	یار	أن يقدر، يتمكن
یافتن	یاب	۱۱ يجد

# معالم تاريخ الفرس القدماء

## وحضارتهم

التاريخ الفارسي القديم والحضارة الفارسية كان لهما أثرهما على تاريخ العرب والإسلام منذ اتصلت الثقافتان العربية والفارسية بعد الفتح العربي لإيران، وانرداد هذا الأثر عمقاً بقيام الدولة العباسية .

ولهذا ؛ فإن دأر من الحضارة العربية والإسلامية يحتاج إلى شيء من الإلمام بتاريخ الفرس وحضارتهم .

وفي هذه الصفحات موجز يقدم للدارسين فكرة عامة عن هذا الموضوع .



## جغرافية إيران

الهضبة الإيرانية تشبه مثلثاً يقع بين منخفضين؛ أحدهما: الخليج العربي، وثانيهما: بحر قزوين (الذي يُعرف عند العرب ببحر الخزر)، ويقع الخليج العربي في جنوبها، وبحر قزوين في شمالها.

ويحيط بهذه الهضبة سلاسل من الجبال ترتفع حولها، ويذهب الجيولوجيون إلى أن هذه المنطقة عبارة عن قاع بحر قديم جف ماؤه.

أما سلسلة الجبال الغربية فتُعرف بجبال زاغروس، وتمتد من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي، ويبلغ طولها نحو ٦٢٠ ميلاً، وعرضها نحو ١٢٠ ميلاً، ويتراوح ارتفاع الجبال فيها بين ١٠٠٠ و ١٨٠٠ متراً. وتقطع هذه الجبال أودية عديدة يتراوح طولها بين ٣٠ و ٦٠ ميلاً؛ وعرضها بين ٦ و ١٢ ميلاً. وتغطي الأعشاب السفوح العليا لتلك الجبال، أما السفوح السفلى فتظهر عليها بقايا من الغابات الكثيفة التي كانت تغطي هذه السفوح في وقت من الأوقات، وتنمو فيها أشجار الجوز والبلوط الدائم الخضرة واللوز البري والفسق. وفي أسفل هذه السفوح، في الوديان العليا، تنمو الأعناب والتين والرمان كما يزرع القمح بكثرة، وكذلك الشعير والخشخاش والقطن والتبغ. وحين يشتد الحر في الوديان السفلى في فصل الصيف، يصبح من المحتّم نقل الأغنام والماعز والخيول إلى السفوح العليا حيث المراعي؛ ولهذا نجد قسماً كبيراً من السكان يعيشون عيشة بدوارة وارتحال في هجرة فصلية ما بين السفوح العليا والسفوح الدنيا.



أما الضلع الشمالي لهذا المثلث فتمثله جبال البرز، وبها جبل دماونت أعلى جبالها، ويبلغ ارتفاعه أكثر من ٦٠٠ متر. والقسم الواقع بحذاء بحر قزوين من هذه الجبال يمثل حاجزاً مرتفعاً ضيقاً يفصل السهل الساحلي بخصوبته وخضرته عن الصحراء الداخلية. وتصل هذه الجبال من الناحية الغربية إلى أذربيجان الإيرانية، وهي الإقليم الذي تقع في وسطه بحيرة أرميا. وهذه المنطقة أكثر مناطق إيران ازدهاراً بالسكان، ويزرع بها كثير من الحاصلات الزراعية من أهمها القمح والأرز والقطن والتبغ، ويمكن اختراق أذربيجان من الشمال الغربي، ومن الشمال، ومن الشمال الشرقي؛ ومن ثم كانت من أسهل مناطق إيران اختراقاً، فهي إحدى الثغرات في الدرع الجبلي لإيران، وقد دخلها خلال عصور التاريخ الميديون، والفرس، والكرد، والمغول، والتتار، والترك، واستقروا في أدويتها حول البحيرة. وفي هذه الإقليم ظهرت الأسر الحاكمة للميديين والفرس، وكانت الإمبراطورية الفارسية في عصور قوتها تحرس هذا المدخل إلى إيران بإقامة تحصينات من الأسوار تقف في وجه الغزاة الذين كانوا يتدفقون عبر القوقاز من الاستبس الروسي، ولا تزال بقايا هذه التحصينات قائمة إلى اليوم. وقد أدى اختلاط السلالات وتطرف المناخ الصحي والتربة الخصبة إلى تكوين عنصر بشري نشط كان له فضل كبير على تطور هذا الإقليم الإيراني القديم.

وتمتد جبال البرز إلى الشرق مكونة جبال خراسان، وهي ليست جبلاً عظيمة الارتفاع، فمن المستطاع عبورها بسهولة، وتشتمل على أودية وافرة الخصوبة ينمو فيها القمح، والشعير، والأرز، والقطن، والكروم، والخشخاش. وتمثل هذه المنطقة الثغرة الثانية التي يمكن النفاذ إلى الهضبة الإيرانية من خلالها. وقد مرت عبرها موجات كثيرة من الغزاة جاءوا من سهول آسيا الوسطى التي تمتد آلاف الأميال إلى الشمال والغرب والشرق. فخراسان مثل أذربيجان معبر للسلالات البشرية، وكثيراً ما أغار عليها التركمان حتى آخر القرن التاسع عشر، ويعتبر وادي أترك Atrek، وسهول جرجان التي تقع بين بحر قزوين وجبال البرز واحات طبيعية في طريق الهجرة إلى إيران. وقد

حصن ملوك الدولة الساسانية هذه المناطق بأسوار حجرية لا تزال بقاياها تـُرى حتى اليوم. وقد كان إقليم خراسان، ذلك الإقليم الشمالي الشرقي من إيران، مهداً لأسر حكمت إيران، وهي الاشكانيون، والصفويون، والقاجاريون. وقد عرفنا كم كان لهذا الإقليم من أثر في تطور الدولة الإسلامية، فإن الخراسانيين كانوا أهم عنصر من عناصر الدولة الإسلامية عمل على قلب الدولة الأموية وإقامة دولة بني العباس.

أما الضلع الثالث من الجبال التي تحيط بالهضبة الإيرانية فهو سلسلة جبال مكران، ويخترقها ممران يؤدي أحدهما إلى بندر عباس، وكان في وقت من الأوقات ميناءً مزدهراً على خليج عمان. أما الممر الثاني فيتجه شرقاً إلى بلوخستان، وكويتا Quetta.

أما القسم الأوسط من الهضبة فهو منخفض عظيم تميز بأقفاره، وتمر به سلسلتان داخليتان من الجبال، وينقسم هذا المنخفض إلى قسمين: صحراء كفير في الشمال، وصحراء لوط في الجنوب. فأما صحراء كفير فهي سلسلة من السبخات لا ينمو بها شيء ولا أثر للحياة فيها، وقد تكون الحياة ممكنة في بعض المنخفضات التي تقل بها ملوحة التربة، وقد توجد بعض الواحات. أما صحراء لوط فليست إلا حوضاً جافاً، وقد قال عنها الكشافون الذين كانت لديهم الشجاعة الكافية لاختراقها: إن صحراوات آسيا الوسطى من أمثال صحراء جوبي تبدو خصبة إذا قورنت بصحراء لوط.

فالحياة في الهضبة الإيرانية لا تـُتيسر إلا في الوديان التي تشتمل عليها سلاسل الجبال أو في الواحات، ولكنها ازدهرت أيضاً في السهول التي تقع خارج سلاسل الجبال أو على حافاتها الداخلية. وأهم هذه السهول سهل خوزستان الذي يقع في الجنوب الغربي (وكان يُطلق عليه قديماً سوزاينا)، وهذا السهل من الناحية الجغرافية امتداد لسهل العراق، وقد كان هذا السهل خلال العصور ما هو لا يسكن متمدنين أثروا في البو الذين كانوا يسكنون التلال المجاورة. ولما امتدت حدود الإمبراطورية الإيرانية غرب جبال زاغروس ازدهرت الحضارة

في هذه السهل من جديد، وكانت مدينة سوسا عاصمة سوزيانا القديمة، وأصبحت عاصمة للإمبراطورية، وقد ساعدها على بلوغ هذه المكانة موقعها الجغرافي الذي يسهل الاتصال منه بمدن العراق وآسيا الصغرى.

وهناك سهل خارجي آخر سبق أن أشرنا إليه وهو الواقع بين بحر قزوين وجبال البرز، وتجذب الجبال العالية هناك سحباً تؤدي إلى سقوط مقدار كبير من الأمطار على تلك السهل الساحلي الضيق الذي يمتاز بفرط خصوبته، ويمثل هذا السهل المنطقة الحارة من إيران، وتغطيه الغابات والمستنقعات والأحراش. وينمو هناك الأرز، والقطن، والشاي، والتبغ، وقصب السكر، والبرتقال، والليمون، والتوت، والتبن، والرمان، وفيه يتم إنتاج الغذاء لثلث سكان إيران.

ولكن هذه السهول الخارجية لعبت دوراً ثانوياً في تطور الحضارة الإيرانية؛ فقد ظهرت تلك الحضارة في الواحات المتناثرة بين سلاسل الجبال التي تحيط بالهضبة الإيرانية وتتمتع بقسط وافر من المطر.

ووسط الهضبة منطقة صحراوية إلا في بقاع طينية التربة، فمثل هذه المناطق وافرة الخصوبة ويمكن زراعتها بالري الصناعي. وعلى الرغم من مناخها القاسي الذي يمتاز بشدة الحرارة في الصيف وشدة البرودة في الشتاء فإن الأرض تغل حاصلات وافرة إذا استطاع الإنسان نقل الماء إليها. وقد شاع في إيران الري الصناعي منذ وقت بعيد. ففي أيام الأكمينيين كانت هناك سلسلة من القنوات تنقل الماء تحت الأرض، ويعمل اليوم آلاف من الرجال طول العام في حفر القنوات أو تطهيرها لنقل الماء إلى الأماكن التي يمكن أن يستخدم فيها، وقد ينقل الماء المتجمع في أسفل جبل مسافة تبلغ ثلاثين ميلاً لري بقعة من الأرض. ومن هذا الماء وكذلك من الأمطار الغزيرة التي تتساقط في جبال البرز وزاجروس أصبحت الحافة الداخلية لتلك الجبال وقد رصعت بواحات كثيرة. وقد كانت عواصم إيران منذ ظهرت فيها مملكة ميديا الأولى تقع في مواجهة الصحراء على الطرق الرئيسية التي تمتد إزاء الحافة الداخلية لسلسلتي جبال زاغروس والبرز، فمن الغرب إلى الشرق تقع على طريق التجارة الممتدة بإزاء جبال البرز مدينة إكباتنا (همدان)، وقزوين، وطهران، والري، ودامغان،

وهراة. أما الطريق الجنوبي فتقع عليه أصفهان، والري، واصطخر، وبيرسيبوليس Persepolis، وشيراز. وقد أثبتت الحفريات الجيولوجية أن هذا التجمع السكاني له أصل في عصور ما قبل التاريخ، فإن رجل إيران في العصر الحجري سكن هذه الأماكن عندما نزل من الجبال، وقد كشفت مواقع كانت مسكونة في العصر الحجري عند كاشان، وقم، والري، ودامغان.

وعلى الرغم من أن إيران دولة تعتمد أكبر الاعتماد على الزراعة والرعي فهي دولة غنية بمواردها المعدنية، وقد بدأ الاهتمام بهذه الثروة المعدنية في العصور الحديثة.

هذه الدولة التي تحيط بها الجبال الشاهقة من كل جانب لم تكن منعزلة عن العالم الخارجي في عصر من العصور؛ إذ يمكن النفاذ إليها من جميع الجهات: من سهول العراق، ومن روسيا، والهند، والخليج العربي. وكان لوقوعها بين آسيا الوسطى والبحر المتوسط وأوروبا أثره في أن ظلت على مدى العصور معبراً لطرق التجارة، وكان يمر بها طريق الحرير أقدم طرق التجارة. غير أن هذه الممرات التي تتخلل سلاسل الجبال المحيطة بها لم تكن في صالحها في جميع الأحوال، بل كانت طرقاً للغزوات المتكررة طوال عصور ضعفها، على الرغم من تلك الجبال الشاهقة التي تحيط بها.

## تاريخ إيران القديم

أول دولة توحد إيران تحت حكمها هي الدولة الأكمنية. وقد امتد حكمها من ٥٥٠ - ٣٣٠ ق.م، وقبل ظهور هذه الدولة كانت في الإقليم الغربي من إيران دولة قوية هي دولة الميديين، وهي دولة آرية خضع لحكمها الفُرس، وهم أيضاً من الجنس الآري. وكان الفُرس في القرن السابع قبل الميلاد يسكنون المنطقة التي تقع في الطرف الجنوبي لجبال زاغروس وشمال الخليج العربي وشرقه مباشرة. كانوا يسكنون الوديان التي تقع بين الجبال، ويحيون حياة مستقرة قائمة على الزراعة، وقد قبلوا أن يكونوا تحت ولاية أبناء عموماتهم الميديين الذين

كانوا يسيطرون على البلاد الواقعة في شمالهم الغربي، ثم جاء الوقت الذي نظمت أمورها فيه إحدى القبائل الفارسية التي كانت تقطن جبال عيلام، وأصبحت مملكة صغيرة اسمها أنشان. وفي نحو عام ٥٥٢ ق.م كان يحكم أنشان ملك فارسي يدعى قورش استطاع أن يوحد القبائل الفارسية تحت حكمه فجعل منهم أمة واحدة، وثار على الملك الميدي، واستطاع أن يهزمه بعد ثلاث سنوات، وبهذا جعل نفسه سيداً لإيران كلها. يعتبر قورش هذا مؤسساً للدولة الأكمنية، وأول ملك يوحد إيران تحت حكمه، ثم ينشئ في فترة قصيرة الإمبراطورية الفارسية. وقد فهم الأكمنيون معنى الدولة وحققوها.

وقد كانت هذه الإمبراطورية تختلف في طابعها عن نظيرتها في العالم القديم، الإمبراطورية الرومانية، فقد كانت الإمبراطورية الرومانية (وهي التي ظهرت بعد ذلك بعدة قرون) تحاول أن تطبع الشعوب المفتوحة بطابعها، ولكن الإمبراطورية الفارسية ضمت تحت سلطانها خليطاً من حضارات العالم القديم؛ فقد اجتمع تحت حكم ملوك الفرس: العراق، وسوريا، ومصر، وآسيا الصغرى، ومدن اليونان وجزائرها، ثم قسم من الهند. ولم يحاول ملوك الإمبراطورية الفارسية أن يطبعوا كل هؤلاء الناس بطابع واحد، وإنما أقروا النظم القائمة في تلك البلاد، وحافظوا على مظاهر مدنياتها.

كانت حيوية قورش مؤسس هذه الدولة من الأمور التي لفتت أنظار العالم إذ ذاك، فقد ظهر خطره للدول العظمى في ذلك الوقت، فعقدت بابل (كلديا)، ومصر، وليديا، (تحت حكم الملك كرويسس Kroesus في غرب آسيا الصغرى) حلفاً بينها، وشمل هذا الحلف إسبرطة في بلاد الإغريق. ولكن قورش استطاع أن يهزم هذا الحلف؛ إذ انقض على كرويسس ملك ليديا وصاحب فكرة إنشاء الحلف فانتصر عليه في مواقع متعددة، وسقطت ساردس Sardis عاصمة ليديا عام ٥٤٦ ق.م، ووقع كرويسس أسيراً في يدي قورش. وقد استعان قورش في حربه مع كرويسس بالجمال؛ ففرعت خيول ليديا حينما رأت تلك الحيوانات لأول مرة، وأحجمت عن التقدم، وولى قورش حاكماً فارسياً على ليديا، ثم بدأ

بمهاجمة المدن الإغريقية الغنية التي كانت واقعة على الساحل، ودعاها إلى التسليم، فرفض اليونانيون. وحينذاك تقدم قورش نحوها، وغزاها واحدة واحدة إلا مدينة ميليتوس (ملطة) التي سلمت له بدون حرب. وقد قسم قورش المدن اليونانية إلى ولايتين: الولاية الأيونية وألحقت بساردس عاصمة ليديا، ثم ولاية البحر الأسود وكانت تسمى الولاية البحرية. وقد ظلت هذه المدن اليونانية محور السياسة في عصر الأكمينيين، كما أنها أدت في آخر الأمر إلى حملة الإسكندر التي قضت على الدولة الأكمينية. وقد تمسك الأكمنيون بهذه المدن اليونانية التي أثرت من التجارة؛ لما كان في استقلالها من إظهار دولة كبيرة كالدولة الأكمينية بمظهر الضعف الذي يسمح بقيام مثل هذه المدن الصغيرة المستقلة، وكذلك لما كان لهذه المدن من قيمة عسكرية، ولحرص الأكمينيين على الاستعانة بسكان هذه المدن الأشداء في حروبهم، والاستفادة من تقدمهم الفني الصناعي، وقد كان لهذه المدن بالفعل شأن كبير في تطور تجارة الإمبراطورية. وقد تخلص الفرس باستيلائهم على تلك المدن ممن لو تركوهم لكانوا منافسين لهم في التجارة، وساعدهم على التخلص منها انقسام المدن اليونانية فيما بينها، وتفضيل بعض سكان تلك المدن الدخول ضمن نطاق الإمبراطورية الفارسية؛ لما ارتأوه من أن هذا يزيد في ازدهار تجارتهم، ويوسع مصادر أرباحهم. ولما انتهى قورش من إخضاع آسيا الصغرى عاد إلى الشرق فاستولى على بقية أقاليم إيران وعبر نهر جيحون، ووصل إلى نهر سيحون الذي أصبح الحد الشمالي الشرقي لإمبراطوريته، وهناك بنى المدن المحصنة للدفاع عن هذه المنطقة ضد هجمات البدو من سكان آسيا الوسطى.

ولما رجع من آسيا الوسطى عاد لمهاجمة الأقاليم الواقعة غرب إمبراطوريته فهاجم بابل التي سقطت أمام هجماته ولم تغنها حصونها الضخمة. وكان اليهود إذ ذاك منفين في بابل بعد أن دمر الملك البابلي بختنصر بيت المقدس وقادهم أسرى إلى بابل. وقد أسر قورش ملك بابل، ولكنه أحسن معاملته، وكانت تلك عادته مع الملوك الأسرى. ولما مات ملك بابل في العام التالي لسقوط عاصمته

(٥٣٨ ق.م) أعلن الحداد عليه في أنحاء الإمبراطورية الفارسية، واشترك قورش نفسه في هذا الحداد.

وقد قدم قورش نفسه للبابليين على أنه محرر لا فاتح، وأنه الوارث الشرعي لعرش بابل، ولتأكيد هذا الأمر سمي نفسه ملك بابل، وعظم إله البابليين. وكان انتصاره على بابل بالطبع انتصاراً على ممتلكاتها الأخرى وبخاصة سوريا فجاءه ملوك فينيقيا يعلنون ولاءهم، ويضعون سفنهم تحت تصرفه، وكان لهم أسطول يناظر أسطول المدن اليونانية مجتمعة. وفي أول عام لحكمه في بابل أصدر أمراً بالسماح لليهود بالعودة إلى بيت المقدس وإعادة بناء معبدهم فيها، كما أعاد إليهم الأواني الذهبية والفضية التي كان البابليون قد غنموها منهم، فخرج أربعون ألفاً من اليهود من بابل إلى بيت المقدس؛ ولهذا يطلق اليهود في التاريخ على قورش لقب «الراعي الصالح». وكانت سياسته هذه، إلى جانب ما قد يكون فيها من اتجاه إنساني، سياسة بعيدة النظر تهدف إلى تمهيد الطريق لغزو مصر، فليس من شك في أنه كان ينظر إلى فلسطين على أنها مرحلة من أهم مراحل الطريق للوصول إلى مصر.

وقامت حوادث في شرق الإمبراطورية اضطرت قورش إلى أن يعود لمحاربة البدو، فاتجه إلى الشرق بعد أن وضع ابنه قمبيز على رأس حملة لمهاجمة مصر، وقد قتل قورش في الحرب، وحمل رفاتة إلى بازارجاده حيث اتخذ عاصمته وأسس قصره، وكانت وفاته في عام ٥٣٠ أو ٥٢٩ ق.م. وبهذا نرى أن هذا الفتح العظيم لم يمت إلا وقد أصبح غرب آسيا بأسره في قبضته. وفي عام ٥٢٥ – أي بعد أربع سنوات من وفاة قورش – غزا قمبيز أرض مصر، فانتصر بذلك على آخر دولة قوية، وأصبحت حدود الإمبراطورية الفارسية تضم الشرق المتحضر كله من دلتا النيل جنوباً إلى البحر الإيجي شمالاً، متضمنة بلاد شرق البحر المتوسط ممتدة صوب الشرق إلى الهند، وكل هذا لم يستغرق سوى خمسة وعشرين عاماً بعد هزيمة الملك الميدي.

## قمبيز

كان أكبر عمل قام به قمبيز هو فتح مصر، وبينما كان في مصر يثبت حكمه فيها سمع أخباراً مقلقة عن الحال في إيران، فقرر العودة. وفي الطريق إلى بلاده تحقق ما سمعه من الأخبار، وأصبح من المؤكد أن جاوماتا المجوسي الذي يسمى أيضاً برديا الكاذب (\*) نادى نفسه ملكاً وريثاً للعرش بعد قورش. وقد قبلت أكثر أجزاء الإمبراطورية هذا الرجل إمبراطوراً عليها، وبخاصة بعد أن حَبَّب نفسه إليهم بأن رفع عنهم الضرائب لمدة ثلاثة أعوام، وحاول أن يقوم بإصلاحات دينية توافقهم، وقد أحرز هذا الرجل نجاحاً سريعاً. وفي ذلك الوقت مات قمبيز متأثراً بجراح أحدثها بنفسه، وليس من المعروف إن كان أقدم على الانتحار أو أنه جرح نفسه بعد فقد وعيه أثناء حالة من الحالات الصرع التي كانت تنتابه.

وقد بقي الجيش الذي كان يقوده قمبيز موالياً للأكمينيين، وسرعان ما نجح دارا في تولي قيادته. ودارا هذا الذي يُعرف بدارا الأكبر يُعد من أعظم ملوك التاريخ، فقد ظهرت كفاءته منذ البداية؛ إذ استطاع القبض على الثائر جاوماتا وإعدامه بعد شهرين من موت قمبيز. ولكن القضاء على جاوماتا لم يُعد النظام والاستقرار إلى سائر أنحاء الإمبراطورية، فظل دارا مشغولاً طيلة عامين بالقضاء على الثورات التي اضطرت في كل مكان. ولما تم له القضاء عليها التفت إلى تنظيم الإمبراطورية من جديد وتثبيت ملكه فيها، ثم امتدت فتوحاته شرقاً وغرباً فوصلت في الشرق إلى قندهار وبيشاور، وفي الغرب حاول غزو جنوب روسيا واليونان ففشل في غزوه لجنوب روسيا بسبب سوء الأحوال الجوية، وكذلك لم يستطع إحراز نصر حاسم على اليونانيين. وأخيراً نجح أهل أثينا في الانتصار عليه في موقعة ماراثون، وهي إحدى المواقع الفاصلة في التاريخ كله. وتعد موقعة ماراثون أهم فشل صانده دارا، ولكنه على كل

---

(\*) سبب تسميته برديا أنه كان قريب الشبه بأخ لقمبيز كان يحمل الاسم نفسه، وقد قتله قمبيز قبل خروجه لغزو مصر.



حال لا يعني أن الإمبراطورية الفارسية قد ضعفت، فهي كانت في ذلك الوقت في أوج قوتها، والجيش الذي هُزم في ماراثون جيش صغير لا يُقاس إلى ما كانت تستطيع الإمبراطورية أن تجنده في ذلك الوقت. وقد شجعت هزيمة ماراثون مصر على الثورة، فقامت بها ثورة كبيرة شغلت دارا عن الانتقام لهزيمته في ماراثون، ولكنه مات قبل أن ينفذ هذا الانتقام، وكذلك قبل أن يرى نهاية الثورة المصرية.

وسأترك الآن سرد حوادث التاريخ للتحدث عن مظاهر الحضارة الإيرانية أيام ازدهار الدولة الأكمينية.

## الإدارة

تبين لدارا أن السياسة التي سار عليها قورش مؤسس الإمبراطورية في إدارته لم تكن سياسة مجدية؛ فقد أثر قورش أن يترك الشعوب المغلوبة تحكم نفسها، ولكن هذه الثورات التي اشتعلت في أنحاء الإمبراطورية بعد موت قورش بمدة قليلة أقنعت دارا بأنه ليس من المستطاع ضمان ولاء الحكام غير الفُرس، وأن الفُرس وحدهم هم الذين يمكن الاعتماد عليهم والركون إلى ولائهم، فلا بد أن يولوا الحكم، وأن يعهد إليهم بإدارة شئون الإمبراطورية، فكان الفُرس وحدهم يحصلون على الأراضي الواسعة، ويعفون من دفع الضرائب، ثم كانوا بعد ذلك الجنس الوحيد الذي يعهد إليه بإدارة الإمبراطورية إلا في أحوال قليلة. وتذكرنا سيادة العنصر الفارسي في صدر الدورة الأكمينية بسيادة العنصر العربي أيام الدولة الأموية.

ولكن سياسة اختيار الحكام من بين الفُرس لم تتسم بالقمع واستخدام العنف؛ فقد كان الفُرس أقلية إذا قورنوا بالشعوب التي تغلبوا عليها. وإنما سلك دارا سياسة إدارية حكيمة؛ فترك كل شعب من الشعوب المغلوبة يحتفظ بلغته وطابعه وعاداته ودينه، وأن ينتفع بكل المزايا التي يمكن أن توفرها له الدولة الكبرى التي أصبح جزءًا منها.

ولتحقيق ذلك أخذ دارا في إدارة إمبراطوريته بنظام الولايات. ومن المحقق أن قورش وقمبيز من بعده قد أنشأ بعض الولايات التي يليها حاكم فارسي ينوب عن الملك، ولكن دارا جعل هذا النظام أساس حكم الإمبراطورية، وقسم أملاكه إلى ولايات كما أحكم نظام الحكم في تلك الولايات، فجعل على رأس كل ولاية والياً، وإلى جانب الوالي قائداً للفيلق العسكري المقيم في الولاية، وكان مسئولاً أمام الملك مباشرة شأنه شأن الوالي. وإلى جانب هذين المنصبين خلق منصبا ثالثاً يشغله جابي الضرائب. وحددت الضرائب التي تجبى من كل ولاية بأمر ملكي وفقاً لموارد المولاية، وكانت الضرائب تدفع بالمعادن الثمينة وكذلك كانت هناك ضرائب نوعية منها: الخيل، والماشية، والمواد الغذائية. وكانت هذه الضرائب التي تجبى تصرف على بلاط الملك الذي كان يضم آلاف الأشخاص، وكذلك تستخدم في الإنفاق على الجيوش. وقد كانت ولاية بابل وحدها تطعم جيوش الفُرس مدة ثلث العام. وإلى جانب الوالي كان هناك مراقب يراقب أعماله، ويقوم حلقة الاتصال بينه وبين الحكومة المركزية. ولم تقف رقابة الملك عند هذا الحد بل كان هناك مفتشون يعرفون بأذان الملك، وكان هؤلاء سلطة مستقلة، كما كانت تتبعهم قوات مسلحة، وكان هؤلاء الأذان أو العيون بعبارة أخرى يتنقلون في أنحاء الإمبراطورية، ويزورون الولاية زيارات مفاجئة، ويطلعون على إدارتهم للأمر.

كان دارا يهدف بنظامه هذا إلى أن يقيم دولة متحدة الأجزاء تشرف عليها حكومة مركزية. لقد ربطت الانتصارات العسكرية التي أحرزها قورش بين شعوب مختلفة وأراض متباعدة، ولكنها لم تنشئ فيها دولة موحدة بل في كثير من الأحيان ترك للشعوب المحكومة استقلالها الداخلي، فأراد دارا أن يدخل الوحدة على تلك الدولة، ولكن النجاح الذي أحرزه دارا في تلك السبيل لم يتعد الناحية الشكلية. وهنا يظهر لنا الفرق واضحاً بين عمل الإمبراطورية الفارسية وعمل الإمبراطورية الإسلامية بعد ذلك بستة قرون، فبينما لم ينجح الفُرس في إنشاء إمبراطورية موحدة الثقافة واللغة، نجح العرب في ذلك، وتركوا للتاريخ

أخبار الإمبراطورية الإسلامية المتحدة، وللواقع أثارها اللغوية والثقافية التي لا تزال قائمة حتى اليوم.

وقد اهتم دارا ببناء الطرق؛ وذلك لتوثيق الصلة بين عواصم الإمبراطورية ومراكزها المختلفة، فأنشأ شبكة من الطرق ظلت قائمة زمناً طويلاً بعد سقوط الإمبراطورية، وقد كان اهتمام الأكمينيين عظيماً بهذه الطرق بوصفها إحدى الضرورات الإدارية. وقد ساعدت هذه الطرق على ازدهار التجارة، وزيادة تداول البضائع بين أنحاء الإمبراطورية. وقد كشف علماء الآثار عن الطريق الذي كان يربط سوسا بأفسوس في آسيا الصغرى، وقد كان من الطرق الرئيسية ويبلغ طوله ١٦٧٧ ميلاً، وكان مقسماً إلى مائة وإحدى عشرة محطة بريدية، بكل منها خيول تتولى نقل أتباع الملك على طول الطريق. ويروي المؤرخون القدماء أن قوافل التجارة كانت تقطع هذا الطريق في تسعين يوماً، ولكن قوافل الملك كانت تقطعه في أسبوع. وكان هناك طريق يصل مصر بابل ثم إيران فأفغانستان ثم غرب الهند. وإلى جانب الطرق الرئيسية كانت هناك طرق فرعية وكان بعض هذه الطرق مرصوفاً، فنحن لا نزال نرى بقايا منها مرصوفة بالحجارة.

ولقد كان دارا ملكاً ذا كفاءة عظيمة من الناحية الإدارية، وكذلك من الناحية العسكرية، وكان الإسكندر الأكبر عظيم الإعجاب بقورش وبه، وحينما غزا إيران زار قبري هذين الملكين اللذين أسسا الإمبراطورية الفارسية، وقد رأى كتابات منقوشة على قبر دارا. ويروي سترابون أنها ترجمت بناء على رغبة الإسكندر فكان معناها : «لقد كنت صديقاً لأصدقائي، وقد تفوقت على غيري في ركوب الخيل والرمي بالنشاب، كما أجدت الصيد، واستطعت أن أعمل كل شيء». وأهم شيء في هذه العبارة هو قوله: لقد كنت صديقاً لأصدقائي؛ فالمعروف عن دارا أنه على الرغم من أنه قهر ملوكاً كثيرين فإنه كان يحترم الشعوب المغلوبة ويعاملها معاملة الأصدقاء، ولم يكن في مجاملته ضعيفاً فقد أطاعه جميع من في إمبراطوريته، وكانت إرادته هي العليا. ولما لم يكن من المستطاع أن تقوم دولة عظيمة كالدولة الأكمينية بدون قانون مكتوب فقد قام

دارا بوضع القوانين. وفي آثاره المتعددة التي تركها في بيستون، وبيرسيبوليس، وسوسا، ونقش رستم، وجد العلماء تشابهاً كبيراً بين بعض ما نقش على هذه الآثار وقانون حمورابي. وكانت هذه القوانين تكتب على الأحجار أو الألواح أو البردي وترسل إلى أنحاء الإمبراطورية. وقد وجد لوح في سوسا، ويشتمل هذا اللوح على مضمون النقوش التي أمر دارا بنفثها على قبره عند نقش رستم، وفيه يقول:

١ - «إن أهورا مزدا إله عظيم خلق هذه الأرض، وخلق من فوقها السماء، وخلق الإنسان وخلق له السعادة، وجعل دارا ملكاً، ملكاً واحداً للكثيرين، وسيداً واحداً للكثيرين.

٢ - أنا دارا الملك العظيم، ملك الملوك، ملك الممالك التي تشتمل على كل أصناف البشر، ملك هذه الأرض الطويلة العريضة، وابن هشتاسب، أكمني، فارسي، ابن فارسي، من سلالة أرية.

٣ - يقول دارا الملك: «هذه هي البلاد التي ملكتها خارج فارس، وحكمتها، وقد حمل إلي أهلها الجزية، ونفذوا كل ما قلت لهم، وعملوا بقانوني الذي منحهم الاستقرار (يلي ذلك تعداد الممالك)».

٤ - يقول دارا الملك: «لقد أصلحت كثيراً من الشرور. لقد كانت الأقاليم مضطربة، وكان الرجل يطعن أخاه، وقد استطعت أن أنفذ ما يلي بفضل أهورا مزدا: ألا يطعن المرء إنساناً آخر، وأن يبقى كل في مكانه. وقد خاف الناس قوانيني، فلم يعد القوي يطعن الضعيف أو يقضي عليه».

٥ - يقول دارا الملك: «بفضل أهورا مزدا أعدت كثيراً من المصنوعات التي نقلت من مواضعها إلى أماكنها الأصلية (يعني أعاد المنهوبات). وقد سقط حائط مدينة ... لقدمه، ولم يصلح من قبل فبنيت لها حائطاً سوف يحميها الآن وفي المستقبل».

٦ - يقول دارا الملك: «فليحفظني أهورا مزدا والآلهة، وليحفظوا بيتي الملكي، وكل ما نقش بأمرى».

وقد اهتم دارا اهتماماً عظيماً بالقضاء، وظلت قوانينه تطبق إلى ما بعد انتهاء عهد الإمبراطورية بزمان طويل. ويروي المؤرخ اليوناني هيرودوت أن قضاة الفُرس كانوا يولون مناصبهم مدى الحياة إلا إذا صدر منهم خطأ في تطبيق العدالة. وكان هؤلاء القضاة يفصلون في القضايا، ويفسرون قوانين الدولة، ويلجأ إليهم في كل المنازعات، ولكن بعض الشعوب المغلوبة حافظت على قوانينها إلى جانب قوانين دارا كما حدث في بابل. وقد أكثر دارا من تأكيد أهمية الصدق والعدالة، وسجل الكثير من ذلك في نقوشه التي تخلفت عن عصره، كما أن فكرة القومية واضحة فيما تخلف من تلك النقوش بصورة لم تكن معروفة من قبل في ممالك الشرق القديم.

«يقول دارا الملك: فليساعدي أهورا مزدا وآلهة البيت الملكي، وليحفظ أهورا مزدا هذه البلاد من جيوش الأعداء ومن الجوع ومن الكذب. لا أصاب الله هذه البلاد بجيش ولا بجوع ولا بالكذب. وإني لألتمس هذا نعمة من أهورا مزدا ونعمة من آلهة البيت الملكي. فلعل أهورا مزدا والآلهة ينعمون عليّ بها».

ولكن هذا الشعور القومي الفياض الذي تجلى في نقوش دارا لم ينف اهتمام الأكمينيين بالشعوب التي كانت واقعة تحت حكمهم. والظاهر أن اتجاه دارا القومي أثر في نفس الفُرس وتشبعت به أرواحهم. وقد لاحظ هذا هيرودوت المؤرخ اليوناني الذي يؤكد أنه لم يوجد فارسي يلتمس الخير من الله لنفسه، وإنما هو يلتمس للملك وللشعب الفارسي كله، وهو بالضرورة فرد من هذا الشعب.

وقد كانت مدة حكم دارا من ٥٢٢ – ٤٨٦ ق.م.

### الحياة الاقتصادية والاجتماعية

إن توحيد غرب آسيا تحت حكم التاج الأكميني، وتقسيم هذه الأراضي الواسعة إلى ولايات تدار تحت إشراف الحكومة المركزية، وخلق طرق برية وبحرية تصل أنحاء الإمبراطورية، ووضع نظام محكم لجباية الضرائب، ثم

انصباب الذهب في خزائن الحكومة، كل أولئك كانت عوامل دفعت الاقتصاد الإيراني إلى الأمام دفعة لم يسبق لها مثيل. وقد أدى العمل بالمكايل والموازين المحددة، واستخدم النقود إلى تنشيط التجارة الخارجية.

لقد بدأ ظهور العملة الفضية الصغيرة في القرن السابع قبل الميلاد، ولكن لم يوجد نظام نقدي يقوم على معادن متعددة من الذهب والفضة إلا في عهد كرويس ملك ليديا. وقد انتشر هذا النظام من ليديا إلى بقية أنحاء آسيا الصغرى. واقتبسه دارا فيما بعد.

وقد وجدت ألواح في برسيبوليس يشتمل بعضها على قوائم بأجور العمال الذين كانوا يعملون في إنشاء القصر الملكي هناك، وهذه القوائم تعطي صورة حية لفترة الانتقال التي أعقبت إدخال العملة في إيران. فقد كانت الأجور من قبل بالبضائع من لحم، وشعير، وقمح، ونبيذ، وغير ذلك. وفي وقت إكزرسيس خليفة دارا كانت الأجور يُدفع ثلثاها بالبضائع والثلث بالنقد، ولكن في أواخر عهد هذا الملك أصبح ثلث الأجور فقط يُدفع بالبضائع. وبهذا يكون استخدام النقد بدلا من البضائع في المعاملات قد استغرق إتمامه نحو نصف قرن، ولكن كانت هناك بعض معاملات نقدية صرفة منذ بدء إدخال نظام النقد.

وقد تم القيام بكثير من الأعمال العامة التي تزيد الإنتاج، وكان من أهم أعمال ملوك الأكمينيين حفر القنوات في باطن الأرض، وكان لهذه القنوات قيمة حيوية للهضبة الإيرانية، كما تم حفر قنوات في البقاع التي تخلو من الماء مثل صحراء سوريا وبعض أقاليم آسيا الوسطى، كما يبدو محققاً أن الفرس قاموا بتجفيف المستنقعات، إذ إن هذا كان معروفاً لليونان في ذلك الوقت. وتحسنت الزراعة نتيجة لتلك الحروب التي قامت بين إيران وغيرها من الدول؛ فتم تبادل النباتات بين الأقاليم، وكان دارا يهتم بهذا الأمر. وقد وصلنا خطاب كتبه إلى أحد عماله يشكره فيه على نقل أشجار الفاكهة من غرب الفرات وآسيا الصغرى وزراعتها في إيران. ولم يكن المقصود بهذا نفع إيران وحدها، ولكن نفع الشعوب الأخرى في الدولة؛ فقد عرفنا أن الأكمينيين حاولوا زراعة نوع من الكروم التي يحبونها

في دمشق، وقد أدخل الأكمينيون الفستق إلى حلب، كما أنهم أدخلوا السمسم إلى مصر، والأرز إلى العراق.

واستغل الأكمينيون الغابات، فاستخدموا الأخشاب في المباني الملكية، وبناء البيوت، وصناعة الزوارق وعربات القتال وعربات النقل والآلات، وأدوات القتال. وكانت آسيا الصغرى، وكريت، وقبرص، ولبنان، والهند من أهم مراكز تجارة الأخشاب، وكان في الدولة كفايتها من الأخشاب والمعادن.

فكانت الفضة والنحاس والحديد تستخرج من قبرص، والنحاس والفضة من آسيا الصغرى. وكانت هذه المعادن أيضاً توجد في فلسطين، وكان النحاس والحديد يستخرجان من لبنان وأعالي وادي دجلة والفرات، وكان الذهب والفضة يستخرجان من كرمان، وكانت سجستان معروفة بإنتاج القصدير، وجنوب القوقاز بالفضة والحديد، وكذلك الساحل الجنوبي للبحر الأسود.

وكذلك دب العمل في المحاجر لتلبية حاجة الدولة إلى إنشاء المباني العظيمة، وازدهرت كذلك صناعة الصيد، وكانت ذات أهمية عظيمة في العالم القديم؛ إذ إن كثيراً من الناس سواء منهم الغني والفقير كانوا يعيشون على الخبز والسمك وقليل من الزيت والنبيد. وكانت مصائد الخليج الفارسي ودجلة والفرات تصدر السمك المملح أو المجفف.

وكان الإنتاج الزراعي في الدولة يقوم على نظام الإقطاع حيث يعمل بفلاحة الأرض عبيد يباعون ويشترون معها، وكذلك كانت العبيد التي تؤسر في الحروب تستخدم في فلاحة الأرض، وكانت الزراعة أهم موارد الثروة في الدولة، ولم يكن هناك فلاحون يملكون أرضاً إلا في إقليم فارس، وهو موطن الدولة الحاكمة حيث كان الناس يعفون من الضرائب أيضاً، ولكن الزراعة بوجه عام كانت تعتمد على نظام الإقطاع، وكانت الحاصلات الزراعية هي القمح والشعير والكروم والزيتون، وكذلك كانت تربي الماشية، والأغنام، والماعز،

وكذلك دواب النقل، وهي الحمار، والبغل، والحصان، وكذلك كان النحل يربى، ويستخدم العسل فيما يستخدم فيه السكر.

وبدأت الصناعة تزدهر في المدن، وكذلك استمرت الصناعات التي كان يقوم بها العبيد في داخل الإقطاعات الزراعية. وكان من أروج الصناعات صناعة الملابس، ومنها الأحذية والأثاث. وكان بعض هذا الأثاث فاخرًا ليستخدمه الأغنياء، وكذلك صنعت أنية الذهب والفضة والبرنز التي كان يستخدمها الأغنياء أيضاً، وكان النساء يتزين بالحلي، ويستخدمن وسائل التجميل المختلفة، وفي بيوت الفقراء كانت تستخدم الأنية الفخارية بدلاً من الأنية المعدنية.

وبازدهار التجارة شاع الرخاء، وارتفع تبعاً لذلك مستوى معيشة أهل إيران، وقد كان تأسيس الإمبراطورية إيذاناً بدخول العالم في مرحلة جديدة من مراحل الازدهار الاقتصادي، وقام التبادل التجاري بين بلدان لم تكن بينها تجارة من قبل مثل بابل واليونان.

وقد كانت السلع التي يتجر بها من ذلك النوع الذي يستخدمه عامة الناس، وكانت السلع المتبادلة في الماضي سلعا لا يستخدمها إلا الأغنياء، وحين كثر الطلب على هذه السلع رخصت أثمانها وارتفعت أرباح الأموال لكثرة البيع.

وقد ساعد على ازدهار التجارة تمهيد الطرق التي كانت تربط أنحاء الإمبراطورية، واكتشاف الطرق البحرية؛ فقد كلف دارا أحد قادته البحريين بأن يقوم برحلة بحرية من مصب السند إلى وادي النيل، فقطع هذه الرحلة في عامين ونصف، ووصل بحار آخر إلى جبل طارق؛ وبهذا ازدادت الروابط وقويت العلاقات بين أجزاء الدولة عن طريق البر والبحر.

وازدهرت صناعة السفن فبنيت سفن تجوب البحار حمولتها بين ٢٠٠ و ٥٠٠ طن. أما السفن النهرية فكانت حمولتها بين ١٠٠ و ٢٠٠ طن. والخلاصة أن الارتباط الوثيق الذي تحقق بين تلك البقاع الشاسعة التي كانت تشغلها الإمبراطورية الإيرانية تحقق على هذا النطاق الواسع لأول مرة في عهد



الأكمينيين، وعرف نظام البنوك والتعامل عن طريقها، وخاصة بعد أن قلت أخطار الطرق.

### الدولة الأكمينية بعد دارا

وصلت الدولة الأكمينية إلى قمة مجدها في عصر دارا فبلغت أقصى درجة من القوة وازدهار الحضارة في إمبراطوريتها الواسعة، وقد عاشت الإمبراطورية ١٥٠ عاماً بعد دارا، ويرجع الفضل في استمرارها هذه الفترة الطويلة من الزمن إلى الأساس المتين الذي أرساه قورش والبناء الضخم الذي رفع قواعده دارا على هذا الأساس، وقد ظلت الإمبراطورية متماسكة، ولكنها لم تتجدد ولم تتطور، وما وَقَفُ التطور في دولة من الدولة إلا حكمٌ بالإعدام عليها. فقد أخفقت الإمبراطورية بعد دارا في تحقيق مزيد من التقدم، كما عجزت عن الدفاع عما خلفه لها المؤسسان العظيمان قورش ودارا؛ مما أدى إلى سقوطها في النهاية. وليس من شك في أنه قد مرت بالإمبراطورية بعد دارا فترات قصيرة من الرخاء بل التوسع أيضاً، كان السبب فيها يرجع إلى بعض الملوك البارزين الذين جلسوا على عرشها بعد دارا، والذين كانت لهم قدرة دبلوماسية فائقة تمثلت في حسن تصريف سياستهم الدولية. ولكن هذه الفترات القصيرة من التقدم كانت تزيد من خطر السقوط، فلم يعد الملك في إيران يقود الجيش بنفسه كما كان يصنع قورش ودارا، وذلك طوال القرن الأخير من حياة الدولة. وارتكزت المنافسات والمؤامرات والمشاحنات حول العرش، فكانت تحدث الاغتيالات بين أفراد الأسرة المالكة حين يلي ملك جديد عرش إيران. وقد كثرت إراقة دماء أبناء البيت المالكي إلى حد أنه حين مات الملك السابق لدارا الأخير – وهو ابن أرتخشتر الثالث – لم يكن هناك أحد يلي الملك من سلالة الأكمينيين إلا رجل واحد يمت إلى الأسرة بقرابة بعيدة هو دارا الثالث الذي سقطت إيران في عهده أمام ضربات الإسكندر.

لم يكن نجاح الإسكندر في القضاء على الدولة الأكمينية ناشئاً عن عبقريته العسكرية الفذة وحدها، ولا قوة جنوده، ولا اندفاع اليونانيين لتحرير أنفسهم من

سلطان الفرس، وإنما كان لهذا النجاح سند من ضعف الأمراء الأكمينيين الذين عملوا من جانبهم على تسهيل مهمة الإسكندر بأنانيتهم، وقصر نظرهم، وسوء سياستهم، وضعف وطنيتهم. فلم يكن يظهر على عرش إيران ملك قوي تبدو شجاعته وقوته، وتظهر تباشير البعث على يديه حتى يُغتال ويُقضى عليه وعلى أماله في مهدها، كما حدث مع قورش الأصغر، فلم يكن من ملوك الدولة من تحلى بصفات مؤسسي الدولة قورش ودارا. ولم يقوموا بأية محاولة لتقوية العلائق بين بلادهم الحاكمة والشعوب الأخرى التي كانت تتكون منها دولتهم، وإنما حاولوا تثبيت ملكهم في تلك البقاع عن طريق الرشوة وشراء الخيانة والفساد بالذهب. وكان ظاهر الإمبراطورية يوحى بتماسكها، ولكن الحقيقة هي أن عوامل التحلل كانت تعمل في داخلها. وقد ظلت تحافظ على كيانها بالذهب الذي كانت تدره عليها ممتلكاتها الواسعة طالما أنه لم يكن هناك خطر خارجي ذو شأن، ولكن العالم تولته الدهشة؛ إذ رأى الدولة تنهار حين سدد إليها الإسكندر أولى ضرباته. ولكن سقوط الدولة الفارسية لم يقض على العنصر الفارسي، فقد كان الفرس من قوتهم وحيويتهم ما مكنهم من المحافظة على خصائصهم الذاتية وبعث دولتهم من جديد في مستقبل السنين، على ما سوف نرى.

### خشيار شاي (اگزريس)

لقد عين دارا خشيار شاي ليخلفه على عرش إيران، وقد ولي الحكم بعد أن ظل اثني عشر عاماً والياً على بابل، وكان من أول الأعمال التي قام بها القضاء على الثورة التي بدأت في مصر أيام أبيه. ولقد كان خشيار شاي قاسياً في القضاء على هذه الثورة؛ مما أثار حقد المصريين، وجعلهم يتحينون الفرص للأخذ بثأرهم. وقد تصرف بنفس القسوة إزاء ثورة قامت في بابل، فهدم أسوار المدينة وحصونها، وحطم معابدها، وصهر تمثال الإله بل الذي كان مصنوعاً من الذهب. ومنذ ذلك التاريخ لم يعد يلقب نفسه ملك بابل، وإنما جعل لقبه مقتصرًا على ملك «الفرس والميديين»، ومنذ ذلك التاريخ لم يعد الملك يمنح ثقته إلا للشعب الحاكم في إيران.

وبعد أن أعاد خشيار شاي السلام إلى الإمبراطورية لم يبذل أي جهد للمضي في سياسة الحرب، فقد كانت ميوله تتجه إلى حياة الترف في القصور، وفضل أن يتجه بجهوده لبناء القصور وغيرها من المنشآت.

ولكن القدر لم يتح له ذلك، فقد وقع تحت تأثير الجماعة التي كانت تجنب إلى الحرب، واستجاب لدفعهم إياه في ذلك الاتجاه. وكانت هذه الجماعة تضم بينها المنفيين من أهل أثينا، وبهذا بعث خشيار شاي من جديد تلك القوة الحربية الهائلة التي أسسها أبوه، ولقد كوّن جيشه من ستة وأربعين شعباً، وجعل على رأس هذا الجيش تسعة وعشرين قائداً.

وكان هؤلاء القادة جميعاً من الفُرس. أما الميديون والبابليون فقد ولاهم مناصب ثانوية، وسار خشيار شاي على رأس هذا الجيش قاصداً بلاد اليونان، بعد أن قرر أن يقوم بهجومه عن طريق البر لا البحر. وقد أنشأ الفينيقيون جسراً من السفن عبر المضائق، ومر من فوقه جنود الملك خلال سبعة أيام متوالية، ولم يلق الملك أية مقاومة تُذكر من تسالي Thessaly ولا مقدونيا، كما خضع له القسم الشمالي من بلاد اليونان، فكان سكان هذه المقاطعات مضافاً إليها اليونان من سكان أفريقيا وآسيا يمثلون نصف العالم اليوناني، وقد خضع هذا النصف كله للملك الفارسي. ولقد بدأ الديموقراطيون من أهل أثينا يفكرون في إنهاء نزاعهم مع الملك الفارسي، لولا تحمس الوطنيين منهم الذين أنشئوا اتحاداً يونانياً بزعامة إسبرطة وكمنوا لملاقاة العدو عند ممر تيرموبيلاي Thermopylae. وهبت في ذلك الوقت عاصفة بددت الأسطول الفارسي الذي كان يؤيد هذه العمليات الحربية. وقد قام الجيش البري بالهجوم، ولكنه وجد نفسه أمام مقاومة بطولية أبداها ذلك الجيش اليوناني الصغير، ولقد وقعت معركة دموية بين الطرفين لم تكن حاسمة وكادت تنتهي في غير صالح الفُرس، ولكن الخيانة حولت هذه المعركة إلى نصر فارسي، فقد ترك سكان أتيكا Attica بلدتهم ففتحها الفُرس ثم استولوا على أثينا. وقد حاول بعض المكافحين أن يدافعوا عن مبنى الأكروبوليس، ولكن المقاومة لم تُجد، وانتهى الأمر بأن حل الدمار بأهل المدينة ومعابدها وديارها.

ولكنّ اليونانيين لم يفقدوا الأمل فركز أسطولهم دفاعه عند سلاميس وصمموا على الدفاع عن المضيق. وهناك أمام مرأى الملك العظيم الذي كان جالساً على عرشه فوق مرتفع من الأرض وحطم الأسطول اليوناني الأسطول الفارسي، كما فقد الملك ثلث قواته وذلك في عام ٤٨٠ ق.م. ولم تكن هذه الهزيمة في واقع الأمر ذات أهمية بالغة بالنسبة للفرس، فقد كانت لا تزال بأيديهم حتى ذلك الحين قوات كبيرة وكانت جيوش أعدائهم قليلة العدد ضئيلة بالنسبة لهم، كما أن الأقاليم التي فتحت من قبل كانت كلها لا تزال في أيديهم. ولكن خشيار شاي الذي لم يكن ممن يثبتون للقتال تأثر بتلك الهزيمة، وفقد اتزانة بسببها، فأعدم قائد الأسطول الفينيقي، وبذلك أغضب الفينيقيين الذين انسحبوا من الجيش وحذا حذوهم المصريون. وعاد الملك إلى آسيا تاركاً ماردونيوس Mardonius في اليونان على رأس ثلث جيشه. وقد غير هذا القائد من خطته فحاول أن يسلك سبيل المفاوضة فعرض على أثينا أن تحالفه لقاء الحكم الذاتي والحصول على تعويضات، ولكن عرضه هذا رفض فعاد إلى العمليات الحربية، وأغار على أتيكا وأثينا، وقبل انسحابه أحرق كل شيء لم يكن قد احترق في الحروب السابقة. وقد نجح الحلفاء اليونان في تكوين جيش تقدم بحذر نحو العدو، وتقابل الجيشان في بلاتيا (٤٧٩ ق.م.) وقد اشترك ماردونيوس بنفسه في القتال، وبقي جيشه بدون قائد فانسحب من الميدان. ولقد كان هذا نصراً عظيماً لليونانيين. ولكنه بالنسبة للفرس لم يكن يمثل هزيمة ساحقة؛ إذ إن القسم الأكبر من جيشهم كان لا يزال قابلاً في آسيا. ولسوء طالع الفرس هاجم الأسطول اليوناني ما بقي من سفن الأسطول الفارسي فهزمه في نفس اليوم التي جرت فيه تلك الهزيمة البرية، وبهذا تم النصر لليونانيين، وقد شجع هذا النصر اليوناني بعض الأيونيين فانشئوا اتحاداً مع الهلينيين، وبدأ هؤلاء معاً يتحولون من الدفاع إلى الهجوم، وفي النهاية أحرزوا نصراً جديداً على شواطئ نهر يورميدون Eurmedon (عام ٤٦٦ ق.م) وحرموا الفرس من كل ممتلكاتهم التي كانت واقعة خارج آسيا الصغرى، تلك التي كان قد فتحها لهم دارا. وهكذا كلف ضعف خشيار شاي

بلاده ثمنًا غاليًا، واستطاع الأوربيون اليونان أن يلقوا بالفُرس الآسيويين إلى خارج المضائق (التي تفصل آسيا عن أوروبا).

إن هذا النصر الذي أحرزه اليونان على تلك الإمبراطورية الضخمة ل يبدو مثار الدهشة، ولكن التأمل في الأسباب الكامنة وراءه قد يزيل عجبنا، فعلى الرغم من شجاعة الجندي الفارسي كان القادة ضعفاء مترددين. وقد كانت أخطاء الفُرس العسكرية بالسياسية هي السبب في تلك الهزائم الفارسية، كما أن جيوشهم لم تكن منظمة على أحسن الطرق، فقد كانت هذه الجيوش تنقسم إلى فرق لا على أساس الأسلحة التي تستخدمها كما هو الشأن في الجيوش الموحدة، وإنما كانت مقسمة بحسب البلاد التي جاءت منها، كما أن الأسطول الفارسي كان يضم قسماً من السفن الإيرانية، وقد مال الأيونيون في الوقت المناسب إلى أبناء عموماتهم من اليونان الذين هاجمهم الفُرس، كما أنه مما يلفت النظر ذلك الضعف والتردد الذي تجلى في أخلاق قادة الجيش ومستشاري الملك الذي كان هو نفسه رجلاً واهن العزم.

ولقد أحرزنت هذه الهزيمة خشيار شاي فلم يعد يفكر في الانتقام، بل إنه لم يبرح بعد ذلك عواصمه، ففي بيرسيبوليس وسوسا أكمل المنشآت التي لم تكتمل في عهد أبيه وشغل نفسه بإقامة المباني الشاهقة.

ولقد حاول بعض المؤرخين المحدثين أن يلتمسوا الأعذار لخشيار شاي وينسبوا ما علق به من سوء السمعة إلى أن المصادر اليونانية – وهي المصادر الوحيدة التي تروي لنا أخبار هذا الملك – ما كانت لتنصف محطم أثينا، وأنه قد يكون من الممكن أن هذه الهزائم التي مُني بها لم تظهر لمعاصريه كما هي الآن أمام أعيننا، ولكن هناك من الأدلة ما يثبت لنا أن الحرب التي قام بها أُرهِقَت بلاده، إذ إن البناء توقف عشر سنوات كاملة في بيرسيبوليس أيام ذلك الملك المولع بالبناء. وقد اكتشفت في الأيام الأخيرة نقوش لهذا الملك في بيرسيبوليس تصوره لنا بصورة جديدة، صورة الملك المتدين الذي لا تقتصر جهوده على حماية الدين وإنما ينهض للتبشير به.

ولقد وُفِّقَ بحق في القضاء على الثورات في مصر وبابل، وسحق شعبي هذين البلدين بقوته الهائلة. وكانت هذه سياسة خاطئة، إذ إن الشعوب المحكومة في ذلك الزمان ما كانت لترضخ للعسف والطغيان كما كانت الحال قبل ذلك، كما أن الفُرس الذين كانوا قد دخلوا التاريخ في زمن يُعد حديثاً بالنسبة إلى الأمم القديمة كمصر وبابل كان أجدر بهم وأجدى لهم لو استعانوا بأهل هذين البلدين العريقين في إدارة شئون إمبراطوريتهم، والانتفاع بما لديهم من تراث حضاري. وقد انتهى الأمر بهذا الملك إلى أن أحاط به أغوات القصر وسيطروا عليه حتى أُغتيل في قصره الشاهق (في عام ٤٦٥ ق.م).

### أردشير الأول ( أرتخشتر الأول )

بدأ عهد أردشير الأول بن خشيار شاي – وكان رجلاً ضعيف الشكيمة – بثورة قام بها أخوه حاكم بكتريا، ولكن هذه الثورة أخمدت سريعاً وأعقبها اغتيال جميع إخوة الملك، وثارت مصر من جديد وساندتها أثينا في ثورتها، وكانت تلك بحاجة إلى القمح ولم يكن من اليسير لها الحصول عليه من آسيا عبر المضائق. وقد فشلت قوة أرسلها الفُرس لإخضاع مصر، فأرسلوا إمدادات جديدة، واستطاعوا أن يقضوا على الثوار، وأن يحطموا الأسطول الأثيني في الدلتا. وقد نجح الفُرس عن طريق الرشوة في أن يوقعوا بين أثينا وإسبرطة، فكانت تلك ضربة قوية سدّت إلى أثينا التي كانت إذ ذاك في أوج قوتها، ولكن أثينا نجحت في إعادة علاقاتها بإسبرطة إلى ما كانت عليه، ودخلت الحليفتان الحرب ضد فارس وسدّتا إليها هزيمة بحرية في قبرص كان من نتائجها أن تحررت من قبضة الفُرس بعض المدن الأيونية، ولكننا نلاحظ أن الإمبراطورية الفارسية كانت قد أصيبت بالضعف وأصبح سلاحها لإحراز النصر استخدام الرشوة على نطاق واسع.

وقد كانت سياسة أردشير في بابل مشابهة في عمومها لسياسة آبائه؛ فعلى الرغم من سماحهم لرجال الدين المحليين أن يمارسوا شعائرهم، فإنهم شجعوا

العنصر الإيراني على احتلال البلاد، ووزع الملك الأرض على الفُرس، كما عين قضاة الفُرس وكاد يحول إدارة البلاد كلها إلى أيد فارسية. وازداد شأن المجوس في تلك البلاد، وأرهقت الضرائب سكان البلاد، وأصبحوا على استعداد للثورة في أية فرصة تواتيهم. ولقد قام حاكم سوريا بثورة زادت الأمور تعقيداً، وقد استطاع الملك أن يأسر هذا الحاكم، ولكنه تساهل في أمره وعفا عنه، كما فقدت الدولة أجزاء من أقاليمها الشرقية.

ولم تكن علامات التحلل قد ظهرت مجسمة حينذاك، ولكن كل ما حدث كان مقدمات وأدلة على ذلك. وبعد ذلك النصر الذي أحرزه الحلفاء اليونانيون، لم يعودوا ينظرون إلى الإمبراطورية الفارسية على أنها تلك العدو المهيب، وإنما نظروا إليها بشيء من الاستخفاف.

وقد سار أردشير على سياسة أبائه قورش ودارا في ملاينة اليهود، فأنن لعزرا أن يعود إلى فلسطين بألف وخمسمائة من العائلات اليهودية التي كانت في المنفى. وقد قام نزاع بين هؤلاء اليهود العائدين وأبناء دينهم الذين لم يكونوا قد هجروا فأرسل الملك ساقيه نحمياح لإزالة الخلاف بين اليهود، وأقام هذا الملك على مودته لليهود الذين بقوا على ولائهم للتاج الفارسي.

ولم يقدر أردشير جنوده بنفسه قط، وفي أواخر أيامه فقد اهتمامه بالعالم اليوناني وشئونه مما أفقد الإمبراطورية الكثير من هيبتها.

لقد بدأ بناء دارا يتحطم ببطء وبصورة غير محسوسة، ومع ذلك فقد شهد عصر أردشير توسعاً في العلاقات الثقافية بين فارس واليونان، وهذا يفسر لنا بعض ما طرأ على الفن من تطور في ذلك الوقت. وقام المؤرخون والعلماء اليونان برحلات في مصر وبابل وإيران، وعرفوا الشيء الكثير عن تاريخ الشرق وأديانه وعلومه. كان هذا هو الوقت الذي كتب فيه هيرودوت تاريخه. لقد أخذ العالمان في الاهتمام بتبادل المعارف، وأخذت أوروبا التي كانت إذ ذاك في كفاح مع آسيا تنهل مما تجمع لتلك من تراث علمي وفني خلال القرون.

## دارا الثاني

كان عصر هذا الملك متسماً بالمؤامرات والفساد، واستخدم فيه الذهب على نطاق واسع لإبعاد أثينا عن إسبرطة أثناء حرب البيلوبونيز. وقد ثار على الملك حاكم سارديس فساندت أثينا هذا الحاكم مما قرب بين إسبرطة والملك. وقد نجح الملك في إخماد هذه الثورة مستعيناً بجنود مرتزقة من اليونانيين. وعقد الملك حلفاً مع إسبرطة، وحارب أثينا، واستعاد سلطانه على عدد من المدن اليونانية مرغماً إياها على قبول فرق احتلال من جيشه ودفع الجزية عن سنوات مضت. وبعد قليل وقعت معاهدة اعترفت للملك بالسيادة على اليونانيين في آسيا، ففقدت بذلك إسبرطة مركزها الممتاز بين هؤلاء، وعوضت عن ذلك بالذهب.

وقامت ثورة في ميديا أعقبها ثورة في مصر، ولم يجرؤ الفُرس في هذه المرة على إيقاع عقوبات بالأهالي نظراً لما كان عليه هؤلاء من قابلية للانفجار.

نجحت إسبرطة بمعاونة الفُرس في إغلاق المضائق؛ مما حرّم أثينا من الحصول على القمح فاضطرت للتسليم، وهكذا استطاع الفُرس بالرشوة أن يحققوا نصراً جديداً.

وكانت الأسرة الملكية منقسمة على نفسها، وقد حاولت الملكة باريساتس أن تقوي ابنها قورش ضد الوريث الشرعي، فحصلت له على ولاية بضعة من الأقاليم الهامة وقيادة جميع جيوش الدولة في آسيا الصغرى، فجعلت هذا الأمير في موقف يغريه بالثورة إذا سنحت له الفرصة. أما الملك فقد أقام في عواصمه ولم يخرج للقتال مع جيوشه إلا في أواخر أيامه، ومات تاركاً عرشه لابنه الأكبر أردشير الثاني.

## أردشير الثاني

بدأت ولاية هذا الملك بمحاولة للاعتداء على حياته، فقد حاول أخوه قورش الذي سبق ذكره أن يطعنه بخنجر أثناء حفلة تتويجه في معبد بازار جاده. وقد شفعت باريساتس أم قورش عند الملك فعفا عن أخيه، بل إنه مضى إلى أكثر من



ذلك فسمح له بالتوجه إلى مقر ولايته حيث كانت كل جنود آسيا الصغرى تحت قيادته. وبعد قليل ثار قورش على أخيه، وخرج على رأس جيش قوي يبغى الاستيلاء على الملك، وكاد يحصل على النصر قرب بابل، ولكنه قُتل في اللحظة التي وجه فيها ضربة إلى أخيه الملك، وقد أمر الملك بتشويه جثة أخيه، ذلك الأمير الشاب الذي أشادت كل السجلات بشجاعته.

وسمح أردشير للعشرة الآلاف يوناني الذين كانوا في جيش أخيه المقتول بالعودة، وذلك بعد أن قتل قائدهم بإحدى الحيل، وقد عجز عن منع ذلك الجيش من التوجه إلى بلاد اليونان عبر أرمينيا.

ولم تعد قوة الجندي الإيراني هي العامل الفعّال في سياسة الدولة كما كان الحال أيام قورش ودارا، ولكن أصبح الذهب هو العامل الفعّال الذي برع رجال الملك في استخدامه، وقد أخذوا يصبونه في خزائن أثينا وإسبرطة، ويقدمونه رشوة لأي شخص يستطيع بمؤامراته أن يضعف عدوّاً، أو يحضره صاغراً أمام الملك.

ولقد ثارت مصر عند تولي هذا الملك وأعلنت استقلالها، وضعف الملك عن إعادة فتحها، وذلك على الرغم من إيراكه بأن الولاة في المناطق الغربية ما كانوا ليظلوا على تبعيتهم له لو نجحت مصر تماماً في انفصالها عن الدولة.

وكانت أثينا في ذلك الوقت قد ضعفت لكثرة الهزائم التي حاقت بها، ولكن إسبرطة التي شجعها انسحاب العشرة الآلاف ومسيرهم من قلب الدولة دون أن يستطيع الملك منعهم، شجعها ذلك على أن تنهض لمحاربة الدولة. وقد تقدم القائد الإسبرطي إجيسيلوس في آسيا الصغرى، وكان الولاة الفُرس هناك منقسمين على أنفسهم فلم يستطيعوا إيقافه. وفي هذه المرة انضمت أثينا إلى فارس واستدعي القائد الإسبرطي وهو في أوج نجاحه وانتصاراته إلى إسبرطة، وقد قال ذلك القائد ساخراً إنه انسحب أمام عشرة آلاف من رماة الفُرس الذين لم يكونوا جنوداً حقيقيين بل كانوا صورياً مطبوعة على نقود الملك العظيم، وقد كلف هذا العمل إسبرطة هزيمة كبيرة وقضى على مكانتها في أيونيا.

ولقد أدت الحروب المتوالية والصراع بين أثينا وإسبرطة – ذلك الصراع الذي كان ذهب الفُرس يعمل على إذكائه – إلى أن ضعفت كل من المدينتين الكبيرتين، وقد أعلن الملك من قلب فارس قيام السلام على أساس من سيطرة الدولة. كانت كل المدن الأيونية قد أصبحت في قبضته، أما المدن التي كانت تعارضه فقد أعلن أنه سيحاربها براً وبحراً. ولقد قرئ بيان الملك هذا على السفراء اليونان فأحنوا رءوسهم في حضرته؛ وبذلك تحقق لأردشير الثاني بوسائله الدبلوماسية واستخدامه الرشوة لإغراء خصومه والإيقاع بينهم ما لم يتحقق لدارا الأكبر ولا الخشيار شاي بجيوشهم الجرارة.

لقد أصبح الأيونيون مرة ثانية تحت سلطان الملك، وانتهت قوة أثينا وسلطان إسبرطة. ولقد فرض الفُرس على المدن الأيونية ضرائبهم التي فرضتها عليهم من قبل أثينا وإسبرطة أيام امتداد سلطانهما على المدن اليونانية، ذلك الذي وقع باسم تحرير اليونانيين.

وبدخول المدن الأيونية من جديد ضمن نطاق الدولة الفارسية عاد لها نشاطها التجاري مما أعاد لها الرخاء.

ولكن سياسة الملك البارعة لم تقف عند هذا الحد، فقد استطاع أن يبعث الصراع القديم بين أثينا وإسبرطة، ف وقعت بينهما حرب تخللها سلام قصير، ثم استؤنفت من جديد، وكانت هذه حركة منهكة لقوى كل من المدينتين. وعندما أوقفت المدينتان الحرب هبت طيبة لقتال عدوتيهما القديمتين: (أثينا، وإسبرطة) يؤيدها في ذلك أردشير. وعلى الرغم من اتحاد المدينتين للدفاع فقد هزمتا؛ وهكذا استطاع الملك الفارسي أردشير الثاني أن يمزق الوحدة اليونانية، ولم يعد لأي من مدن اليونان قدرة على إعادة الوحدة إلى البلاد وإقرار الأمن والسلام.

وفي هذا الوقت الذي ظهرت فيه قوة أردشير وقد حملت نفوذ الفُرس إلى ما وراء المضائق في أوروبا قامت في القسم الغربي من الإمبراطورية متاعب خطيرة تمثلت في ثورة الولاة، فقد أصبحت عيون الملك وأذانه في عهد الأكمينيين المتأخرين لا تؤدي وظيفتها، ونحن نذكر كيف كانت تراقب الولاة وتسيطر عليهم أيام دارا الأكبر.

كانت الأحوال الداخلية في الإمبراطورية توحى بسوء العاقبة، فقد كانت الضرائب عالية، وقد أدت إلى ثورة الأهالي. فمصر التي كانت قد تحررت من نير الفرس منذ تولي أردشير لم يعد فتحها، وقد أرسلت الدولة حملات عدة ولكنها جميعاً باءت بالفشل. وبدأت أجزاء الإمبراطورية تتفكك؛ فقد تبع مصر في مسلكها قسم من قبرص، ثم أعلنت فينيقيا وسوريا استقلالهما، كما قامت الثورات في كل البلاد التي كانت واقعة شرقي نهر الفرات. لقد تعقد الموقف بصورة عامة وكان الخطر عاماً، ولم تكن الوحدة الإمبراطورية وحدها في خطر، وإنما كانت حياة الإمبراطور نفسه عرضة للخطر.

وقد عقد الولاة الثائرون حلفاً بينهم وأصدروا نقودهم باسمهم، وكان إصدار النقود حتى ذلك الحين من حق الملك وحده. وقد أدت ثورة الأقاليم الغربية من الإمبراطورية، واستقلال مصر إلى حرمان الملك من نصف إيراداته. ورأى ذلك الملك – الذي حقق الكثير من النجاح في اليونان – عرشه يهتز في مهب الرياح. وكان الظاهر قبل ذلك بوقت قصير أن الإمبراطورية قد استعادت وحدتها، ولكن ذلك لم يكن يمثل حقيقة الحال، فإن الدولة كانت على شفا التفكك والانحلال ولقد تحالفت مصر مع إسبرطة ومع الولاة الثائرين وهاجمت الملك، وتقدمت جيوشها بقيادة الفرعون تاخوس إلى سوريا في حين عبر داتامس Datames أحد الولاة الثائرين نهر الفرات. وبلغ الموقف من الخطورة حداً بعيداً، فتولى أردشير بنفسه قيادة الجيش بعد أن عجز ابنه أوخُس Ochus عن وقف جنود اليونان المرتزقة الذين كانوا في خدمة الثوار. وقد بدا إذ ذاك أن الإمبراطورية قد دنت نهايتها، ولكنها نجت في آخر الأمر نتيجة لانتهيار مصر، التي قامت بها ثورة ضد الفرعون تاخوس، فترك حلفاءه واستسلم، وكذلك استسلم الولاة الثائرون نتيجة لظروف مختلفة؛ فمنهم من خان ابنه وقتله، ومنهم من اغتيل. وهكذا انتهى الخطر الذي هدد الإمبراطورية، ولكن الاضطرابات كانت لا تزال في البلاد عند موت أردشير، كما انتشرت عصابات السلب والنهب نتيجة لضعف السلطان الحكومي. لم يصف المؤرخون هذا الملك بالعدل ولا الكرم ولا الرحمة، وإنما وصفوه بالغدر والتعطش للدماء ووقوعه تحت

تأثير أمه، وقد حاول طوال مدة حكمه الطويل أن يحافظ على ممتلكات الدولة، ولكن هذا الهدف كان فوق طاقته.

### أردشير الثالث

لقد بدا أن القدر أراد أن يقدم لفارس فرصة أخيرة للخلاص من ضعفها وتحللها؛ إذ جاء إلى عرشها هذا الملك الذي كان يتمتع بإرادة قوية وعزم أكيد وبراعة في الحكم، على الرغم من قسوته وطغيانه ووحشيته. لقد اقترن ارتقاؤه للعرش بقتل جميع إخوانه وأخواته الذين بلغ عددهم بضع عشرات. لقد أخمدت ثورات الولاة بقوة، وأنذر أثينا – التي كانت تؤيد بعضهم – بالحرب فسحبت جيوشها، ووجه الملك جهده لاستعادة غزو مصر، ولكن محاولته الأولى فشلت، وتحالفت صيدا مع مصر وثارَت، فأحرق الملك المدينة وسكانها وتركها أطلالا. وأرسل حملة إلى مصر معززة بفرق من المرتزقة نجحت في مهمتها نجاحًا تامًا، وفر فرعون إلى أثينا، واستولى الملك على المدن، وهدم أسوارها، ونهب معابدها. وهكذا شاع الاستقرار من جديد في أنحاء الإمبراطورية، وبدأت أقوى منها في أي وقت مر عليها منذ أيام دارا.

لقد كان بعث فارس على هذا النحو ضربة قوية لبلاد اليونان، وقبل ذلك بزمان قام في بلاد اليونان زعماء نوو نزعة وطنية مثل إيسوكراتس Isocrates دعوا اليونانيين إلى الاتحاد في صراعهم مع الفُرس، وبدءوا يُدخلون نغمة جديدة على دعوتهم. ففي نظرهم لم يكن اليونانيون هم من جاءوا من سلالة يونانية فحسب، بل إنهم عدوا من اليونانيين من شاركوا اليونانيين في حضارتهم. ولقد نقل هؤلاء دعوتهم من الحث على الدفاع عن المدن اليونانية – التي كانت كل منها تشكل حكومة قائمة بذاتها – إلى الدعوة للدفاع عن حضارة اليونان ومبادئهم.

ولكن اليونان التي كانت الحروب قد أنهكتها لم يبق لها من القوة ما يمكنها من تحقيق الوحدة التي كانت ضرورية لتحقيق مثل هذه الأهداف.

لقد كان الأكمنيون أول من حقق الوحدة الإيرانية، كما أنهم أول من حقق الوحدة بين بلاد الشرق التي كانت في ذلك الحين تمثل العالم المتمدن الذي ارتبطت أجزاؤه في ظل حكمهم وسيطرتهم السياسية بروابط أوثق. ولقد نجحت الإمبراطورية الفارسية – برغم اختلاف الأجناس واللغات – وحققت حضارة كانت ذات أثر بعيد في التاريخ القديم.

ولم يكن هذا التعدد في الجنس واللغة بين سكان الإمبراطورية علامة من علامات ضعفها، فإن الإمبراطوريات الكبيرة اصطبغت بنفس الصبغة، وكانت روما أيضاً متعددة العناصر والشعوب. وكان الفُرس ذوي كفاءة في إدارة دولتهم كما كانوا موفقين في ميادين الاقتصاد والتجارة. ولقد أثبت البحث الحديث أن الأقاليم النائية التي أدركها التوسع الفارسي تأثرت تأثراً كبيراً، فخوارزم وغيرها من الأقاليم الشرقية نعمت بثلاثة قرون ونصف قرن من السلام والاستقرار، وكان هذا أمراً نادر الوقوع في تلك الأقاليم. وفي أثناء هذه الفترة تطورت فيها الزراعة وحياة المدينة، كما أن الوحدات الواقعة في جنوبي مصر استخدمت طريقة الأنفاق المائية لري الأرض. وقد تجاوز الفن الإيراني حدود إيران فرأينا أثره في مصر وقبرص وعلى شواطئ البحر الأسود وعند السينيين Scythians، وقد اهتم الأكمنيون بالعلوم وبخاصة الفلك.

واستخدم الأكمنيون لغة سامية هي الآرامية وجعلوها لغة رسمية للدولة كما استخدموا حروفها، وقد أدخلوا هذه الحروف إلى الهند وهناك بتأثيرها ظهرت الحروف الخاروشتية أقدم حروف ظهرت في الهند. وفي الهند أيضاً ظهرت آثار الفن الأكمني وبخاصة في ميدان العمارة؛ فقد بيّنت الحفائر التي أجريت في بتنا Patna أن القصور التي بنيت في عصر أسرة موريا Maurya كانت على طراز قصور بيرسيبوليس. ومن المعتقد أنه قد نشأ في وادي الهندوس لغة تشبه الكردية جمعت بين سكان هذا الوادي وجيرانهم الغزاة الأكمنيين.

إن الوحدة اليونانية تحققت – على الرغم من اليونانيين – على يد المقدونيين. لقد كان هؤلاء يمثلون شعباً قوياً من أصل غير يوناني ولكنه مثقف بثقافة اليونان. ومنذ عام ٣٦٠ ق.م وجه فيليب المقدوني جهوده ليضيف إلى ملكه الأقاليم الواقعة شمال البيلوبونيز: تراقيا وتساليا، وأصبح الشخصية المتحكمة بين اليونانيين كما أصبح يعتبر القائد الذي ينتظر أن يقود الصراع ضد آسيا.

ولقد كان فيليب حذراً، فإنه حين رأى أربشير يستعيد فتح مصر فضل أن يخدع عدوه، فبدأ بمفاوضة فارس، تلك التي كانت في ذلك الوقت تخمد كل الثورات التي قامت ضدها حتى في قبرص. وفي أثينا كان ديموستين يعارض سياسة مقدونيا بقوة، ويرى أن سبيل الخلاص أمام بلاده في التحالف مع ملك الفرس. وعندما لامه بعضهم على خيانة اليونانيين الأسويين أجاب بقوله: «وهل نحن حقاً مهتمون بهؤلاء الإغريق الأسويين، أو ليس كل قائد عسكري يبحث عن منفعة الخاصة؟» ولقد أرسل وفد أثيني إلى سوسا وعقد حلف. كان هذا الحلف خطراً على مقدونيا فأرسل الملك جيشاً أخرج فيليب من بيرينتوس؛ ولذلك فقد قرر فيليب أن يقضي على اليونان ولو بالقوة. ولقد ظفر بنصر حاسم على أثينا وحلفائها بمعاونة ابنه الإسكندر، وقضى على استقلال اليونان عام ٣٣٨ ق.م. وفي العام نفسه مات أربشير مسموماً، وكان قتله ضربة كبرى للإمبراطورية التي لم تعيش طويلاً بعده.

إن من الخطأ أن تقتصر في نظرتنا إلى الدولة الكمينية على أنها دولة كانت كل أعمالها مقتصرة على الغزو والسيطرة على الشعوب. لقد كان العالم أيام الأكمينيين منقسماً إلى معسكرين: المعسكر الفارسي، والمعسكر اليوناني، وكان كل من هذين المعسكرين يعمل على نشر حضارته في العالم. وكان الفرس متسامحين في الدين، كما كانوا أميل إلى التوحيد؛ ولذلك فقد سهلوا إقامة اليهود في دولتهم وعاملوهم بتسامح، كما أن دين الفرس أثر في غيره من الأديان، وهناك أبحاث كثيرة تتحدث عن علاقات الزرادشتية بغيرها من الأديان ومنها اليهودية والمسيحية.

## نهاية الأكمينيين وقيام إمبراطورية الإسكندر

أغتيل أرتشختر (أردشير الثالث) الملك الأكمني في وقت كانت فيه قوة أخرى قد بدأت في الظهور على مسرح التاريخ، تلك هي مقدونيا. فقد استطاع فيليب بعد أن وحد المدن اليونانية في مواجهة الفرس أن يجند جيشاً قوياً مؤيداً بالأسطول اليوناني. وفي الوقت الذي ظهرت فيه هذه القوة كانت فارس تدين بالولاء لحاكم ضعيف هو ابن الملك المقتول، وكان العوبة في أيدي الخصيان الأقوياء، ولكن سرعان ما سقط فيليب صريعاً بخنجر مختال. وهناك من المؤرخين من ربط هذا الاغتيال ببلاط الملك الفارسي في سوسا. وقد خلفه على العرش ابنه الإسكندر ذلك الشاب العبقرى المتحمس الذي تابع أعمال والده بكل ما كان له من حماس الشباب. وقد مات الملك الجالس على العرش الأكمني مسموماً فخلفه دارا الثالث (وهو الأخير أيضاً). وقد كان دارا هذا شجاعاً ولكن الظروف لم تعد مساعدة، فقد ووجه لأول مرة في تاريخ الإمبراطورية الفارسية باتحاد اليونان، ذلك الاتحاد الذي كان على رأسه تلك العبقرية العسكرية التي كان يمثلها الإسكندر وجنوده المقدونيون الأشداء. وقد أخطأ دارا إذ زدرى شأن الإسكندر الشاب ولم يحسن تقدير قوة عدوه. وقد قام الصراع بينهما وظلت المواقع تتوالى على تلك البقعة الشاسعة من الأرض الممتدة بين مدن اليونان ومقدونيا عبر آسيا الصغرى حتى إيران نفسها. كانت الإمبراطورية الفارسية لا تزال تملك كل مواردها الوافرة وممتلكاتها الشاسعة، ولكنها منيت ببعض الهزائم الجزئية من آن لآخر بعد موت دارا الأكبر، وهذه الهزائم قللت بعض الشيء من هيبتها، وأظهرتها بمظهر الضعف في بعض الأحيان. وقد كانت الإمبراطورية الفارسية تعتمد على عبقرية بعض القواد المرتزقة اليونان في غزواتها الحربية، ولكن هؤلاء القواد كانوا لا يملكون حرية العمل؛ لأن كل واحد منهم كان يخضع لرئيس أعلى من نبلاء الفرس الذين لم يكونوا في الغالب نوي مؤهلات عسكرية عالية، وكذلك كان إخلاص هؤلاء القادة الغرباء للإمبراطورية الفارسية موضع شك.

وكان مفكرو اليونان في ذلك الوقت منقسمين إلى فريقين؛ كان فريق منهم يرى أن خضوع مدن اليونان في آسيا لملك الفُرس عار يجب محوه. فإذا لم يستطع اليونان أنفسهم الاتحاد لتحرير إخوانهم في آسيا، فلماذا لا يترك هذا الأمر لمقدونيا، تلك التي كانت خاضعة للثقافة اليونانية والفكر اليوناني؟ لا بد إذن من استخلاص آسيا الصغرى من يد الفُرس حيث يستطيع اليونان المرتزقة أن يستقروا، وتصبح مدنها المزدهرة أسواقاً لتجارة اليونان.

أما الفريق الآخر من مفكري اليونان فلم يكن يرى في الفُرس مسيطرين ظالمين؛ فقد كانت مدن اليونان الآسيوية مزدهرة، ولم ينلها من المتاعب في مدة ملك الفُرس الطويلة مقدار ما عانتها في فترة التحرير القصيرة حين قام الإسكندر بانتزاعها من الفُرس بعيداً عن بلادهم، وسلطانه عليهم لا يمكن أن يقاس به سلطان المقدونيين القساة؛ فقد كانت فكرة الانتقام من الفُرس بأيدي المقدونيين، واستبدال الفُرس بسلالة جدد هم المقدونيون فكرة لا تنال قبولا عند أنصار هذا الاتجاه. لقد كان ملوك الفُرس بالنسبة لهم يقومون بمنزلة الحكم بين المدن اليونانية المتنازعة ويوجدون بينها نوعاً من توازن القوى. ولهذا وجد من فلاسفة اليونان في ذلك العصر من فضل وجود حاكم قوي يسيطر على الدولة على ترك أمور الدولة للجماهير تسيطر عليها بعقليتها غير المتزنة.

كانت مقدونيا وهي بلاد زراعية تشبه من بعض الوجوه إقليم فارس، ذلك الإقليم الذي بدأت منه الدولة الأكمينية، فقد كان من سكان مقدونيا ينقسمون إلى قبائل وبطون (فروع للقبائل)، وكان المجتمع فيها يقوم على مجموعة من كبار الملاك يعيش في أراضيهم فلاحون أحرار. وكان يرأس الجميع ملك له عليهم سلطان ديني وقانوني وعسكري. وقد قام فيليب أبو الإسكندر بإعادة تنظيم البلاد فوحد الشعب حول العرش وقوي بذلك سلطة الملك. فقد كان أكبر عمل قام به خلق جيش متحد من المقدونيين الأحرار وكونَ منهم المشاة في جيشه من غير أن ينشأ عن ذلك فصم العرى التي تصل أفراد هذا الجيش بقبائلهم، كما كَوّن النبلاء فرسان الجيش. فعند قيام الحرب أصبح الجيش جيش الملك يقوده ضباط ولاهم الملك بعد أن كان الجيش يتكون من جموع على رأس كل منها نبيل ينضم



بعضها إلى بعض لتكوين الجيش. وحين ولي الإسكندر بعد أبيه فيليب كانت النبلاء ووراءها الشعب على استعداد لأن تتبع هذا البطل الشاب لتحقيق فتوحاته الباهرة.

لقد كثر الحديث بين المؤرخين عن غزوات الإسكندر، وكثرت إشاراتهم إليها على أنها غزوات تهدف إلى مثل عليا روحية إلى جانب الفتح والسيطرة، وكثير تشبيههم لها بالحروب الصليبية. والواقع أنه كان هناك شيء من الشبه. فالصليبيون هبوا لمحاربة المسلمين مندفعين أو متظاهرين بالاندفاع وراء أمل ديني هو تحرير الأراضي المقدسة، ولكن وراء هذا الأمل الديني كان هناك أمل دنيوي اقتصادي، هو رغبة بارونات فرنسا في الغزو، ورغبة الجمهوريات الإيطالية في التوسع التجاري. وكان الإسكندر هو القائد الوحيد بين قادة اليونان الذي جعل تحقيق الوحدة اليونانية هدفاً له ومضى ليحققها جاعلاً من جيوشه أداة لتحرير اليونانيين. أما نبلاء مقدونيا فقد كانوا يحلمون بالغزو على أنه وسيلة لبسط سيطرتهم، ومصدر للغنائم الوافرة. أما اليونانيون فكان منهم من يحلم بمد تجارتهم إلى أسواق الشرق الغنية.

كان الإسكندر مدركاً للخلافات التي تفرق بين اليونانيين، ولكنه مضى بعزم لإكمال ما بدأه أبوه، وجعل نفسه مطالباً بثأر اليونانيين على الرغم منهم. وقد وجه إنذاراً شديداً لهؤلاء اليونانيون الذين استطاع الفرس اكتسابهم إلى جانبهم، وعامل بالعنف كل من ظفر به ممن لم يظهروا الولاء لهذا الاتحاد المقدوني اليوناني الذي جعل الإسكندر نفسه ممثلاً له حتى يضمن ولاء الجميع ويؤمن مؤخرة جيشه حين يتقدم لحرب العدو.

وقد كانت ثمرة اتحاده باليونانيين سبعة آلاف مقاتل وأسطول أثيني ضعيف لم يلبث أن سرّحه لقلّة المال في يده. على كل حال يمكن القول بأن هذا الرجل الذي كرّس نفسه للدفاع عن اليونان لم يلق من اليونانيين سوى تأييد ضئيل.

عبر الإسكندر الدردنيل بجيشه الصغير الذي كان أكثره من المقدونيين، وكان معه عدد من العلماء والمؤرخين والجغرافيين وعلماء النبات، فبدأت بذلك الحرب ضد آسيا.

ولم يهتم دارا بهذه الحملة، وبلغ من استهتاره بها أن أمر بالقبض على الإسكندر وإحضاره إلى عاصمته سوسا (السوس)، وأرسل جيشاً من الجنود المحليين وبعض فرسان الفُرس ومرتزة اليونان لإيقافه. وقد كان رأي أحد القادة اليونانيين الذين كانوا يعملون في الجيش الفارسي أن ينسحب الجيش الفارسي إلى داخل البلاد؛ حتى يتبعه الإسكندر؛ فتبقى أمامه الأرض الخشنة تضنيه في تقدمه، ولكن لم يعمل برأيه. وقد دارت موقعة عنيفة بين الجيشين عند بلدة جرانيكوس كاد الإسكندر يُقتل فيها ولكن جيش الفُرس مُني بالهزيمة، ولم يهتم الإسكندر بتعقب فرسان الفُرس، ولكنه أحاط بالجنود المرتزة اليونانيين، فذبّحهم المقدونيون واحداً واحداً عقاباً لهم على خيانتهم لليونان. وبهذه الموقعة أصبح الطريق مفتوحاً إلى آسيا الصغرى، وتقدم الإسكندر في هذا الإقليم، فاستولى على مدن اليونان الواحدة بعد الأخرى. وكلما استولى على إحدى المدائن أعلن تحريرها من سلطان الفُرس. وقاومته إحدى مدن اليونان وهي مدينة هاليكارناسوس Halicarnassus، وأرادت أن تبقى خاضعة للفُرس، فأحرقها في أثناء حصاره لها. وحاول الأسطول الفارسي أن يقطع على الإسكندر خط الرجعة إلى قواعده في مقدونيا، ولكنه فشل. وبهذا تم للإسكندر غزو آسيا الصغرى، ونظمها على طريق الفُرس، فجعل على كل إقليم والياً وقائداً للجيش وجابياً للضرائب.

واخترق الإسكندر بعد ذلك بلاد كيليكيا، والتقى جيوش دارا عند مدينة إسوس Issus، وهنا أخطأ الملك الفارسي للمرة الثانية؛ فبدلاً من أن يبقى في مكانه حتى يصل إليه الإسكندر بعد سفر منهك تقدم دارا ليقابله، ولم يستطع جيش الفُرس أن يقابل هجوم جنود الإسكندر، ولما رأى دارا جيوشه تترنح من وقع الهجوم العنيف ترك القتال وفر، وتقدم أحد قواد الإسكندر واسمه بارمينيو Parminio بسرعة فاستولى على دمشق، وهناك وجد قافلة ملكية بها أمتعة أسرة دارا، وكذلك أمه وزوجه وبنوه، فوقعوا جميعاً في أيدي جنود الإسكندر الذي عاملهم بما يتفق ومكانتهم، واستولى المقدونيون على غنائم كثيرة، كما قبضوا

على سفراء أثينا وإسبرطة وطيبة الذين جاءوا للتفاوض والاتفاق مع الفُرس، وهذا يبين كيف أن اليونانيين لم يكونوا يحفلون كثيراً بسياسة الإسكندر.

وهكذا حقق الإسكندر آمال فيليب؛ فقد حرر مدن اليونان وآسيا الصغرى، فاستولى على القسم الغربي من الإمبراطورية الفارسية.

ولم يتابع الإسكندر بعد ذلك دارا، وإنما فضل تأمين مؤخرة جيشه، وتأجيل غزو الأجزاء الشرقية من الإمبراطورية الفارسية. وقد سلمت له المدن الفينيقية واحدة إثر أخرى. وبينما كان يستولي على مدينة ماراثوس Marathos أرسل إليه دارا خطاباً يعرض عليه فيه عقد معاهدة للصدّاقة والوفاق، ويطلب إطلاق سراح أسرته مقابل مبلغ كبير من المال. وقد رفض الإسكندر هذا العرض ودعا دارا إلى الاعتراف بسيادته، وأعاد دارا الكرة، فانتهاز فرصة مقاومة إحدى المدن الفينيقية لغزو الإسكندر، وأرسل إليه يدعوّه إلى الصلح، ويعرض عليه مبلغاً كبيراً من المال لقاء تسريح أسرته، كما عرض التنازل للإسكندر عن قسم كبير من إمبراطوريته وتزويجه ابنته، ولكن الإسكندر رفض تلك الدعوة التي تقدم بها دارا برغم أن أصحابه دعوه إلى قبولها. إن الإسكندر كان يهدف إلى تأسيس ملك واحد ينتظم الدنيا بأسرها، لا مكان فيه لملكين.

وبعد وقوف شهرين، أمام أسوار غزة، استطاع الاستيلاء عليها، وتقدم بعد ذلك إلى مصر، حيث قابله المصريون بابتهاج، ولم يبدوا أية مقاومة له. وهناك أسس الإسكندر بعد ذلك مدينة الإسكندرية التي أصبح لها شأن عظيم في تجارة العالم وثقافته، وزار الإسكندر بعد ذلك معبد آمون حيث أعلن الإله آمون أنه ابنه، وألقيت لى سمعه نبوءة مؤداها أنه سوف يمتلك العالم، وقد جعله اعتراف الإله آمون به حاكماً قانونياً للبلاد. وأعاد الإسكندر تنظيم البلاد، ووضع قسماً كبيراً من إدارتها في أيدي المصريين، ولكنه في الوقت نفسه أبقى المقدونيين على رأس الجيش، واتجه بعد ذلك إلى العراق، فعبر الفرات ودجلة، ولم يحاول دارا الدفاع عن أي من هذين النهرين، واستعد دارا ليقف وقفة أخيرة للدفاع عن بلاده، وجمع أكبر جيش كان في استطاعته جمعه، ولكنه مع ذلك حاول القيام

للمرة الثالثة بعقد اتفاق ودي مع الإسكندر قبل وقوع القتال. وكان دارا حزيناً لوفاة زوجه التي ماتت في أسر الإسكندر، وكذلك لفراق أمه وأبنائه. وكان ما عرضه دارا يتلخص في أن يصبح نهر الفرات حدًا بين دولة دارا ودولة الإسكندر. وعرض إبقاء ابنه رهينة عند الإسكندر، وأن يدفع مبلغاً كبيراً من المال لقاء تحرير أمه وابنتيه، وأن يزوج الإسكندر إحدى بناته. ولكن الإسكندر كرر رفضه للاتفاق مع دارا. والتقى الجيشان في جاوجميلا Gaugamela بالقرب من أربيل الواقعة في تلال آشور، وذلك في عام ٣٣١ ق.م. وكان الجيش الإيراني مقسماً إلى وحدات يمثل كل منها إقليمًا من أقاليم الدولة الإيرانية، ولم يكن لدى الإيرانيين خبرة بالطرق الجديدة التي استحدثت في فن القتال، وبخاصة في عهد فيليب وابنه الإسكندر، ولم تجد عرباتهم ولا أفيالهم شيئاً، ووقعت بهم الهزيمة على الرغم من المقاومة الباسلة والشجاعة التي أبدتها نبلاء إيران، وفر دارا من الميدان إلى إكباتنا (همدان الآن)، ولكن فراره لم ينه القتال، بل استمرت المقاومة حتى مضى ربح طويل من الليل، ولكن الحرب على كل حال انتهت، وقد استغرق القضاء على كل حركات المقاومة في أنحاء الإمبراطورية بضع سنين أخرى، ولكن منذ هذه الموقعة اعترف قسم كبير من هذه الإمبراطورية بسلطان الإسكندر، ودان لملكه، وعد فرار دارا من القتال نزولاً عن عرشه، وهكذا فتح العراق أبوابه للإسكندر، فدخل بابل دخول الظافرين، فألقيت عليه الأزهار. وقد أبقى الوالي الفارسي على ولايتها، وسلمت سوسا عاصمة الدولة بدون مقاومة. وجد الإسكندر في القصر الملكي كنزاً كبيراً. وأنزل الإسكندر آل دارا في هذا القصر، وأبقى والي سوسا الفارسي في منصبه، ولكنه ولى على حصنها قائداً مقدونيا، وكذلك عين خازناً للمال من بني قومه، وبدأ الإسكندر في ذلك الوقت يدرك أنه من المحال حكم مثل هذه الإمبراطورية الواسعة بحفنة من المقدونيين، وبدأ له ضرورة الاستعانة بالفرس. وقد بدا له أن مزج الأجناس المختلفة في الجيش يمهد السبيل لتوحيد الأجناس في إمبراطورية واحدة؛ ولهذا فقد أمر بتجنيد فرقة من الفرس تتكون من ثلاثة آلاف من الشباب الإيراني، وأمر بأن يدرّب هؤلاء على فنون القتال الغربية.

وعندما ترك الإسكندر سوسا واجه إيران نفسها، تلك البلاد الجبلية التي كان يسكنها شعب حاكم يستمتع بمزايا عديدة. وكان من الممكن أن يقابل بمقاومة شديدة ولكن لم يكن هناك اتحاد بين أقاليم إيران المختلفة، كما أن الإسكندر كان له من خلقه، وسلوكه، وشخصيته، وشهرته ما جعله يؤلف حوله أكثرية الفُرس. ووصل الإسكندر إلى بيرسيبوليس العاصمة الثانية للدولة الأكمينية، فوجد كنزاً آخر، وقد أقام الإسكندر في بيرسيبوليس أربعة أشهر، أرسل في أثناءها حملات صغيرة لإخضاع سكان الجبال، وزار قبر قورش، وأمر بالمحافظة عليه، وقبل أن يغادر بيرسيبوليس بقليل وقع فيها حريق هائل أبادها. وقد اختلف المؤرخون في تعليل هذا الحادث فذهب البعض إلى أنه انتقام لحرق أثينا على يد خشيار شاي، وقال بعضهم إنه عمل يرمز إلى القضاء على عظمة الأكمينيين، وقال آخرون إنه لم يحدث عن قصد، وإنما وقع قضاء وقدرًا نتيجة لإهمال بعض جنود الملك أثناء ساعة من ساعات السكر والطرب التي كان يقضيها الإسكندر وصبحه ومن معهم من النساء اللاتي كن يتبعن الجيش إلى كل مكان. ولعل الرأي الأخير أصح الآراء؛ فقد كان الإسكندر في ذلك الوقت قد أصبح مالكا لهذه المدينة وغيرها من المدن الإيرانية، فلماذا يحرق شيئا هو ملك له، كما أنه لم يعرف عنه إحراق مدينة مفتوحة على كثرة ما فتح من المدن. لقد كان الإسكندر يحترم البيت المالكي الإيراني، ولو أراد الانتقام منه أو القضاء على مظهر عظمته لكان إحراق سوسا أقرب إلى تحقيق ذلك؛ لأنها كانت العاصمة الكبرى المعروفة في أنحاء العالم المتمدن، كما أن الإسكندر قرب نفسه إلى الإيرانيين باعتزاه الزواج من ابنة دارا، وكذلك بمحافظته على احترام البيت المالكي الإيراني، وعلى رأسه دارا الثالث الذي نال قاتله عقوبة قاسية على يد الإسكندر. فقد علم الإسكندر أن والي بكتريا قد أسر الملك دارا، وأنه كان يتوجه به إلى المشرق، فتابع الإسكندر هذا الوالي حتى أدركه بالقرب من دامغان، وهناك وجد دارا قد فارق الحياة بطعنات خنجر تابعه القديم والي بكتريا. ويروى أن

الإسكندر غطى القتل بقبائه الملكي، وأرسله إلى أمه في سوسا، وهكذا مضى على الإسكندر في هذه الغزوات أربعة أعوام ونصف عام. وقد عد أتباعه ما وصل إليه حتى ذلك الوقت تحقيقاً لجميع أهدافه، ولكن الإسكندر ألقى فيهم خطاباً دعاهم إلى متابعة السير، فانضموا إلى جانبه. وفي هذا الوقت بدأ الإسكندر يدخل على حياته مظاهر الأبهة الشرقية، ويرتدي اللون الأرجواني الذي كان يرتديه الملوك الأكمنيون، واستمر الإسكندر في السير شرقاً وأخذ يحتل أقاليم إيران الشرقية، معاقباً من قاومه من الولاة، مبقياً على من لم تبد منه مقاومة، وكان حيثما سار يبني مدائن جديدة، وقضى عامين في تأمين الحدود الشرقية لملكه الواسع؛ فقضى على ثورات الصغد، كما لقي بعض المتاعب من أتباعه القدامى الذين أحفظ صدورهم ازدياد عدد الشرقيين في حاشيته. وتزوج الإسكندر روكسانا ابنة زعيم إيراني ولاه الإسكندر على بكتريا، وواصل الزحف حتى نهر سيحون؛ أي إلى آخر العالم الإيراني، وهناك بني سلسلة من القلاع، وإسكندرية أخرى تُعرف اليوم بمدينة خوجند.

وفي ربيع ٣٢٧ ق.م عبر الإسكندر إقليم هندوكش، ودخل الهند، وتقدم بها حتى نهر الهندوس، وكان هذا النهر آخر حدود الإمبراطورية الفارسية، فعبره الإسكندر، وأخذ في التقدم، ولكن أتباعه المقدونيون أخطروه بأنهم لن يتبعوه في الغزو إلى أي مدى بعد ذلك. وقد قضى الإسكندر على مقاومة الهنود، وسار إلى الجنوب في وادي الهندوس، وبنى أسطولاً، ثم عهد إلى الأميرال نيركوس بالوصول من هناك إلى الخليج العربي. وقسم الإسكندر جيشه بعد ذلك إلى فريقين: فريق يعود بطريق أراكوسيا في داخل البر، وفريق آخر يتبع الساحل، ويحافظ على اتصاله بالأسطول. وبعد سير منهك طويل التقى الجيشان عند موقع بندر عباس الحالية على خليج عمان، ووالى الجيش السير إلى الري، ثم وصل إلى سوسا في ربيع ٣٢٤ ق.م.

كان قد مضى على إقامة الإسكندر الأول في سوسا خمسة أعوام، وفي أثنائها قوي في نفسه العزم على توحيد العالمين، وقد جعلته الثورة التي قام بها أتباعه القدامى في الهند شديد العزم على متابعة هذه السياسة، واستعرض نبلاء الفُرس، وزاد في عددهم، وتزوج ابنة دارا ستاتريا Statira، وزوج ابنة دارا الأخرى لأحد قواده، كما زوج أربعة وعشرين من رؤساء جيشه، وعشرة آلاف جندي يوناني بنساء فارسيات.

ترك الإسكندر بعد ذلك سوسا قاصداً إكباتنا (همدان)، ومن هناك ذهب إلى بابل وكانت هذه آخر جولاته، وفي بابل مرض ومات.

وقد قضى الإسكندر الأشهر الأخيرة من حياته في تنظيم إمبراطوريته، فحافظ على نظام المقاطعات أو الولايات الذي سار عليه الأكمنيون في حكم إمبراطوريتهم، ولكنه أدخل على هذا النظام مبادئ إنسانية أوسع، وقد عمل على إبعاد خطر استقلال الولاة بولاياتهم عن الحكومة المركزية بأن جعل إلى جانب الحاكم الفارسي قائداً عسكرياً من المقدونيين، وقد كان الإسكندر عالماً بكل النظم الإدارية التي اتبعها الأكمنيون في الحكم. وقد بينت له الظروف التي مر بها ضرورة اعتماده في الحكم وإدارة الدولة على الشعوب المفتوحة، وهي سياسة لم يحرص الأكمنيون على اتباعها. وكان اليونانيون والمقدونيون يعجبون كيف أن ملكهم يسوي بينهم وبين الإيرانيين، ولكن ولاء الإيرانيين أكسبهم ثقة الإسكندر، كما أن معارضة أتباعه له زادت من رغبته في الاعتماد على هؤلاء الناس، فكان يحرص على أن يحكم لصالح الفُرس، وصالح المقدونيين واليونان على السواء. وقد أدخل الإسكندر في النهاية مبدأ تأليه نفسه، والظاهر أن المصلحة السياسية رفعتَه إلى اتخاذ تلك الخطوة؛ فقد حكم بلادا كانت تؤله فيها الملوك، ففي مصر كان الملك يعد من سلالة إلهية، وقد رأينا كيف نال الإسكندر اعتراف الإله آمون بأن ابنه، وكذلك كان الملك في فارس يُعد ظلاً لله على الأرض، كما أدخل الإسكندر نظام البلاط الأكمني الذي كان يقضي بسجود من يدخل إلى

حضرة الملك، وكان هذا التقليد موافقاً لما تعودت عليه شعوب الشرق في ذلك الزمان.

وحين وصل الإسكندر إلى الهند، كان ربع جيشه فقط من المقدونيين، أما البقية الباقية فكانت من أنحاء أخرى من الإمبراطورية الفارسية. فقد اقتضت الضرورات الإدارية والعسكرية إشراك العنصر الفارسي، وكان الإسكندر ينظر إلى هذا التعاون لا على أنه خضوع من المهزومين لإرادة الفاتح، وإنما على أنه تعاون بين أكفاء، وهذا يفسر لنا مسلك الإيرانيين وشعورهم نحو حاكمهم الجديد، فإنهم لم يشعروا بأنهم أمة مغلوبة يحكمها أجنبي، وإنما ظلوا سادة لبلادهم. وليؤكد لديهم هذه الحقيقة؛ فتح الباب أمامهم للدخول ضمن دائرة أصحابه المقربين. وكان من صحب الإسكندر عدد غير قليل من نبلاء الفُرس، كما تلقى ثلاثون ألفاً من شباب الفُرس العلم على يد أساتذة يونان، تعلموا من الأساتذة اللغة اليونانية والفنون العسكرية، وانضم جنود من الفُرس إلى جيش المشاة. لقد حنق اليونانيون والمقدونيون لما رأوه من تقريب الإسكندر لأبناء الشرق، وقاموا ببعض الثورات، ولكن هذه الثورات لم تؤثر في اتجاه الإسكندر لتوحيد العالم، فمضى ينشئ المدن والمستعمرات لا لتقيم بها الجيوش وتخفيف الثوار فحسب، وإنما لتخلق حضارة يمتزج فيها الشرق بالغرب، وينعم بها أهل الشرق وأهل الغرب على السواء.

لقد ربط الإسكندر بين الشرق والغرب، وحقق الحلم الذي كان يحلم به الأكمنيون، وقد ساعد هذا التوحيد على زيادة الرخاء في أرجاء هذه الدول الواسعة، ولكن لم يكن من الممكن أن تؤتي هذه السياسة ثمارها خلال حياة الإسكندر القصيرة، ولكن الرجل عمل بإخلاص لتلك السياسة، فاهتم بالمواصلات كما صنع الأكمنيون من قبل، وعرفنا عنه الاهتمام بإنشاء الطرق، واكتشاف الطرق البحرية، كما صنع دارا الأكبر. ولم يعرف عن الإسكندر الاهتمام بحيازة الكنوز، وإنما كان يأمر بتحويل ما يجده من كنوز في البلاد التي



يفتحها إلى عملات فضية، وقضى بذلك على النظام الذي كان متبعاً أيام حكم الأكمينيين، والذي كان يتيح صدور عملة إمبراطورية وعملات أخرى محلية. ولما أصبحت عملة الإسكندر هي العملة الوحيدة المستخدمة في كل أرجاء إمبراطوريته الواسعة، فقد تحقق نوع من الارتباط الاقتصادي الوثيق بين هذه الأرجاء. وكان الإسكندر كريماً فأغدق عطاياء على كثيرين من أتباعه، وأغنى أفراد جيشه، فانتقل الثراء بذلك إلى أنحاء مختلفة من دولته، ووجد اليونان فرصاً جديدة أتاحت لهم في هذه الإمبراطورية الواسعة الجديدة بعد أن كانت الحروب قد أفقرتهم، فهاجر كثيرون منهم إلى الخارج يبحثون عن العمل. وقد أقام أكثر اليونانيين المهاجرين في مدن أنشأها المقدونيون ليقم بها المحاربون القدماء أو الجرحى من القوات المحاربة، وقد حضر التجار اليونانيون إلى هذه البلاد فوجدوا عملاء كثيرين من اليونانيين والمقدونيين، وكذلك من الإيرانيين الذين تأثروا بالإغريق، وساروا على نهجهم في الحياة. وازدهرت التجارة، وساعدت الطرق والقنوات على سهولة المواصلات، ووصول البضائع إلى أماكن لم تكن تصل إليها من قبل، ولاح في الأفق أن هذه الوحدة بين اليونانيين والإيرانيين مقضي لها بالدوام، وأن هذه الوحدة التي سادت في ظل من السلام والأمن سوف تكون مصدر رخاء لشعوب الإمبراطورية، ولكن موت الإسكندر غير مجرى الحوادث، وقاد العالم إلى مصائر أخرى.

## السلوقيون

لم تعيش الإمبراطورية التي أنشأها الإسكندر بعد وفاته، واختفت فكرة الوحدة التي دعا إليها الإسكندر وحارب لتحقيقها، وغرق العالم بعد وفاته في حروب طاحنة بين أتباعه، دامت أربعين عاماً، وحاول رؤساء الجيش أن يصلوا إلى حكم الممالك ونسي أمل الإسكندر الذي كان يهدف إليه، وهو تحقيق الوحدة بين الشعوب، وإزالة الفرقة بينها. وبعد واقعة أبسوس التي جرت في عام ٣٠١ ق.م. انقسمت دولة الإسكندر إلى ثلاث ممالك: مملكة مقدونيا، ومملكة البطالسة في

مصر، ومملكة السلوقيين في آسيا. كان سيلوقس مؤسس هذه الدولة من أقرب أتباع الإسكندر وأكثرهم تشبعاً بأرائه، كما أنه كان خبيراً بالعالم الإيراني، فقد تزوج سيدة إيرانية، كما ولاه الإسكندر جيش الفرسان المكون من نبلاء الفرس، وقد حاول أن يسير في ملكه على سياسة الإسكندر بخلق دولة متحدة من الإيرانيين والمقدونيين. وأنشأ مدينة سيلوقيا على نهر دجلة، ومدينة أنطاكية بسوريا، وجعل سيلوقيا مركزاً للقسم الشرقي من دولته وأنطاكية مركزاً للقسم الغربي. وقد ظل خلفاؤه ينظرون بأمل إلى المستقبل طالما كانت العاصمة الشرقية سيلوقيا في أيديهم، ولكن دولة جديدة ظهرت في إقليم بارثيا بإيران تعرف بدولة البارثيين استولت على سيلوقيا بعد قرن ونصف، فلم يبق من إمبراطورية السلوقيين سوى سوريا، ولم تلبث هذه أن وقعت تحت سلطان روما.

**دولة البارثيين:** نشأت دولة البارثيين من قبيلة بارني Parni إحدى قبائل البدو التي كانت تعيش في المراعي الممتدة بين بحر قزوين وبحر آرال. كان هؤلاء الناس فرساناً ومحاربين أشداء، ووصفهم الكتاب القدماء بأن أقصى سعادتهم كانت في الموت أثناء القتال. أما الموت لأسباب طبيعية فكان يُعد عاراً لديهم، والظاهر أن هذه الدولة بدأت في الظهور نحو ٢٥٠ ق.م، وقد قامت بين البارثيين وبين السلوقيين منازعات وحروب انتهت بانتصار البارثيين، وأصبحت دولتهم تمتد في عهد ميتريداتس Mithridates المتوفى سنة ١٣٧ ق.م. من نهر الفرات إلى هراة (الواقعة في أفغانستان الآن). وعلى الرغم من أن دولة البارثيين كانت دولة إيرانية إلا أنها كانت متأثرة بالحضارة اليونانية، والثقافة اليونانية، وكانت في أنحاء هذه الدولة مدن يونانية تنتقل منها آثار اليونان الثقافية والاجتماعية إلى أنحاء أخرى.

وقد دارت بين هذه الدولة وبين الدولة الرومانية – التي كانت في ذلك الوقت دولة فتية – منازعات وحروب كثيرة، ولكن لم تستطع إحداها القضاء على الأخرى، وكانت أرمينا أهم المناطق التي كثر تنازع الدولتين عليها.

## الساسانيون

كان إقليم فارس موطن انبعاث الحضارة الإيرانية من جديد في القرن الثالث الميلادي، فقد أقام الساسانيون في ذلك القرن دولة إيرانية الطابع ذات دين قومي هو الدين الزرديشتي، وكذلك أقاموا حكومة مركزية قوية استطاعت أن تكبح جماح الحكام الإقطاعيين، كما جندوا جيشاً قوياً مدرباً، وأنشئوا نظاماً إدارياً محكماً، وبظهور الدولة الساسانية على مسرح التاريخ أصبح العالم في ذلك الوقت تتنازع قوتان هما: روما، وإيران.

لقد كان الساسانيون يحاولون أن ينفذوا سياسة خارجية أساسها القوة والمحافظة على دولتهم؛ ولذلك فقد وقعوا في حروب كثيرة، فكانوا يحاربون الرومان في الغرب، والكوشيين والأفثاليين في الشرق، ثم قبائل البدو في الشمال. وقد ظلت الحروب قائمة بينهم وبين الدول المجاورة من أن لآخر، خلال مدة دولتهم التي تزيد على أربعة قرون. وقد أنهكت هذه الحروب المتوالية قوى الدولة، وزادت من ضعفها الخلافات الداخلية. فهناك الحكام الإقطاعيون الذين كانوا يتربصون بالدولة الدوائر لاسترداد سلطاتهم التي قضت عليها السلطة المركزية القوية، ثم هناك بعد ذلك القادة العسكريون الذين تنازعوا السلطان فيما بينهم، حين ضعف الملوك، وكذلك المؤتمرات التي كانت تحاك حول العرش، ثم الظلم الذي انتشر وأدى إلى قيام ثورة شيوعية أريقَت فيها الدماء، وزلزل كيان المجتمع الإيراني. وقد سهلت هذه الأمور مهمة العرب الذين ظهروا على مسرح التاريخ، بعد أن وحد الإسلام بينهم، فسدوا إلى دولة الفرس ضربة قضت عليها.

كان ساسان جد هذه الأسرة ساندنا من سدة معبد الإلهة أناهيتا Anahita، في اصطخر، وقد ورث ابنه بابك وظيفته هذه، وتزوج ابنة أحد الأمراء المحليين، ثم غلبه على الإمارة، وذلك في عام ٢٠٨ ميلادية، فلم يعترف الملك البارثي بعمله هذا، ورفض الموافقة على أن يخلفه ابنه شابور في هذه الإمارة، ف وقعت  
الفرقة بين الأمير وملكه.

وعندما مات بابك كان ابنه أردشير قائداً عسكرياً في بلدة دارابجر د Darabgerd، وهي إحدى مدن إقليم فارس، وقد رفض الاعتراف بأخيه شابور أميراً، وكانت تقع الحرب بينهما، ولكن شابور مات فخلا الجو لأردشير الذي بدأ يخضع الحكام الإقطاعيين في إقليم فارس حتى دان له الإقليم كله، ثم امتد نفوذه بعد ذلك خارج الإقليم إلى أصفهان وكرمان. وفي هذه اللحظة دعر الملك البارثي ارتبانوس الخامس Artabanus للنجاح الذي أحرزه أردشير، وأمر ملك الأهواز بأن يحاربه، ولكن أردشير انتصر على ملك الأهواز، ثم هزم جيش الملك البارثي في ثلاث وقائع متتالية، وأخيراً قتل الملك البارثي في الموقعة النهائية التي جرت بينه وبين أردشير في سوسيانا، وذلك في عام ٢٢٤م، وأصبح الطريق مفتوحاً أمام أردشير للتقدم إلى طيسفون (المدائن)، وهناك توج ملكاً بعد عامين، أي في عام ٢٢٦م. وقد تم ذلك بعد خمسة قرون ونصف من هزيمة الأكمينيين على يد الإسكندر. وقد ذكر الساسانيون أنهم من سلالة الأكمينيين، فكان ظهورهم بعثاً للقومية الإيرانية، والحضارة الإيرانية التي كان الأكمنيون أول ممثل لها على مسرح التاريخ.

ولم تكن هزيمة الملك البارثي ارتبانوس الخامس نهاية لمتاعب أردشير، فقد نهض لمقاومة عدد من الملوك تحالفوا عليه، وكان منهم ملك أرمينا والملك الكوشي، ومعهما حلفاء آخرون، ومن وراء الجميع روما. ولكن أردشير استطاع أن يهزم هذا الحلف، فانسحب الجميع من الميدان إلا ملك أرمينا الذي قاوم عشر سنوات ثم لحقت به الهزيمة؛ وبهذا أصبح ملك أردشير يمتد من الفرات إلى مرو وهرات وسجستان. وبعد أن انتهى من القضاء على الاضطرابات في داخل بلاده، التفت إلى حدوده يقويها ويحصنها. وقد أدى هذا إلى الصدام مع الرومان، ولكن أردشير خرج من هذا الصدام ظافراً بقلعتي حران ونصيبين.

ولقد دام ملك أردشير نحو ١٥ عاماً استطاع في خلالها أن يقضي على أعدائه الواحد بعد الآخر، وأن يبني الإمبراطورية الإيرانية من جديد. وكان أعظم عمل قام به توحيد الجيش، فأصبح بذلك أداة قوية لتحقيق سياسته، وقد

أشرك معه في الحكم ابنه شابور، كما أن الروايات تشير إلى كثرة اعتماده على ابنه قبل أن يموت ببضع سنوات.

وقد ورث شابور من أبيه دولة بقي فيها كثير من نظم البارثيين، وفي مقدمتها نظام الإقطاع، ولكن الساسانيون نظموا هذا الإقطاع، وذلك بأن أخضعوه لقدر كبير من الإدارة المركزية، وقد قامت هذه الدولة على دعامتين قويتين هما: الجيش المنظم، والإدارة الحازمة.

وقد وجه شابور اهتمامه إلى الشئون الخارجية منذ بدء حكمه. لقد ظهرت الدولة الكوشية مصدر خطر سياسي واقتصادي بالنسبة للدولة الجديدة. وقد تقدم شابور لمحاربتها، يحدوه الأمل في تأمين حدوده الشرقية، وكذلك الاستيلاء على الثروات التي تراكمت في هذه الدولة نتيجة لازدهار تجارتها الخارجية. وقد نجح شابور في إيقاع الهزيمة بالأسرة الكوشية، ووصل في غزواته إلى سمرقند وطشقند. وكان من نتائج هذا الغزو القضاء على الأسرة الكوشية، وإضافة قسم كبير من أملاكها إلى الدولة الساسانية، وإحلال أسرة موالية للفرس محل هذه الأسرة المغلوبة.

وبعد أن تم لشابور انتصاره في الشرق، اتجه إلى الغرب، ف وقعت بينه وبين الروم حروب انتهت باستيلائه على جزيرة كبيرة<sup>(١)</sup>، وضم العراق وأرمينيا إلى أملاكه، وكان ذلك في عام ٢٤٤م. وبعد خمسة عشر عاماً من هذا التاريخ استؤنفت الحرب بين الفُرس والروم، وانتصر الفُرس انتصاراً باهراً بجوار الرها، ووقع الإمبراطور فاليريان أسيراً في قبضة شابور، وكذلك أسر ألوف من الرومان، سيقوا إلى النفي في إيران حيث استقروا في مدن بنيت على طريقة المعسكرات الرومانية، وذلك في عام ٢٦٠م. وقد أمد هؤلاء الإمبراطورية بالاختصاصيين والمعماريين والمهندسين والفنيين الذين استخدموا على نطاق واسع

---

(١) تعويضات حرب.

في الأعمال العامة، وبخاصة بناء الجسور، والقناطر، والطرق التي سببت رخاء عظيمًا لإقليم خوزستان الغني، ومن العجيب أن بعض بقايا هذه المنشآت لا يزال يستخدم حتى اليوم.

وإلى جانب فتوحاته العسكرية فإن شاپور أكمل ما بدأه أبوه من تنظيم داخلي للإمبراطورية. ولقد كان واسع الاهتمام بالمعارف؛ ولذلك فقد أمر بترجمة كثير من المؤلفات اليونانية والهندية التي تتعلق بمختلف مسائل العلم كالطب والفلك والفلسفة. ولما كان هذا الإمبراطور منشئاً لدولة واسعة فقد اهتم اهتماماً كبيراً بماني وديانته. وكان ماني هذا داعيةً أسيوياً، ظهر في إيران بمذهب جديد اقتبست عناصره من الزردشتية، والمسيحية، والبوذية، وكان يهدف بدينه إلى توحيد العالم في ظل دين واحد. وقد اهتم شاپور بهذا الدين وقرب ماني وأيده، ولكن دعوة ماني بما اشتملت عليه من حث على الزهد، وتغيير للناس من الاهتمام بالمادة، واعتبارها شراً لا بد من التخلص منه، جعلت هذا الدين عاجزاً عن الوفاء بحاجة دولة عظيمة، تقوم على أساس دنيوي مكين؛ ولهذا فقد انعكس الحال بالنسبة لماني بعد وفاة شاپور، (٢٧٢م)، حيث اضطهد ثم قُتل أيام حكم بهرام الأول.

لسنا نعرف الكثير عن حكم ابني شاپور هرمز الأول وبهرام الأول. وفي عهد بهرام الثاني (٢٧٦ – ٢٩٣م) وقعت حرب جديدة بين إيران وروما، كما وقعت في الوقت نفسه ثورة في شرق الإمبراطورية؛ ذلك لأن أخا الملك الذي كان حاكماً لإقليم سجستان حاول الاستيلاء على الملك، وقد أيدته في ثورته الأمير الكوشي الذي حاول أيضاً أن يستعيد استقلاله عندما أحس بضعف الدولة الحاكمة. وهكذا أصبح بهرام الثاني مهدداً من جهتين. وكان الخطر على تاجه هو أهم الأخطار، ولكي يتفرع لمواجهة هذا الخطر؛ عقد صلحاً مع روما، وتنازل لها بمقتضى هذا الصلح عن شمال العراق وأرمينية. أما بهرام الثالث، فقد حكم بضعة أشهر ثم خلعه عن عرشه نرسه أحد أبناء شاپور الأول. ولم يفتح عهد هذا الملك افتتاحاً سعيداً، فقد انتهت الحرب بينه وبين روما بكارثة،

ووقع كل أفراد أسرته أسارى في أيدي الأعداء، كما حدث لدارا الثالث. وقد اضطر إلى توقيع صلح أفقد إيران بعض الأقاليم الواقعة إلى شرق نهر دجلة، ولم يسبق لروما أن أحرزت مثل هذه المكاسب من إيران؛ ولذلك فقد قنعت بهذا النجاح، وظلت مبتعدة عن الحرب أربعين عاماً، ولم تعد لإيران القوة الكافية لتقاوم بقوة السلاح انبعاث المملكة الكوشية، وإنما حاولت أن تبعد هذا الخطر عن طريق المصاهرة، فتزوج هرمز الثاني ابن نرسه (٣٠٢ - ٣٠٩) من أميرة كوشية، وكانت هذه المصاهرة تعبيراً عن مودة الكوشيين للساسانيين.

وقد أدى موت هرمز الثاني إلى ترك العرش لشاب صغير هو سابور الثاني الذي حكم سبعين عاماً، وكان في عهده الطويل ما يماثل عهدي جديده أردشير وسابور الأول، ففي أيام حدائته وجد الكوشيون الفرصة سانحة لمهاجمة الإمبراطورية؛ وذلك لما كانت تعانيه إيران من ضعف وتفكك فاستعادت الدولة الكوشية قوتها السابقة، بل قامت بغارات على إيران أفقدتها بعض الأقاليم التابعة لها، ولكن عندما بلغ سابور الثاني أشده تبع سمييه سابور الأول، وقام بمحاربة الكوشيين، وقضى على إمبراطوريتهم، وجعلها إقليماً تابعاً لإيران، ثم عهد بحكمها إلى ملوك اختارهم من بين الأمراء الساسانيين الذين كانوا يقيمون في بلخ. ولقد أعقب النصر العسكري توسع ثقافي، وسرعان ما انتشر الفن الساساني شرقاً، وذلك من خلال الباب الذي فتحته أمامه الجيوش المظفرة، وقد وصل هذا الفن في امتداده إلى تركستان الصينية، بل إلى الصين نفسها.

وبعد أن أمّن نفسه في الشرق اتجه سابور إلى الغرب، وكان هدفه من وراء ذلك أن يقضي على الاتفاقيتين المهيمنتين اللتين عقدهما سلفاه: بهرام الثاني، ونرسه مع الرومان. وقد فقدت إيران بمقتضاهما أكثر أقاليمها الغربية. وقد طالبت الحروب وامتدت، وكان النصر في أول الأمر للرومان، ولكنه تحول إلى الإيرانيين، وقد توقفت الحروب قليلاً عندما وقعت غارات قام بها البدو على الأقاليم الشرقية من الدولة، وانتهت حملات سابور على البدو بالاتفاق معهم على أن يقيموا على أرض الكوشيين كحلفاء، ويتعهدوا بإمداد الملك بجنود يعاونونه

في حربه مع روما. وقد حاول الرومان الاتفاق مع الفُرس، ولكن الإيرانيين رفضوا وتجددت الحرب، وقد نجح سابور آخر الأمر في الاستيلاء على أرمينية، وسلك سابور تجاهها نفس السبيل الذي سلكه تجاه بلاد الكوشيين، فولى عليها حاكماً عسكرياً من الإيرانيين.

وبدأ عهد جديد من الصراع بين روما وإيران، وذلك باعتناق قسطنطين الأكبر، وكذلك أرمينية، للديانة المسيحية، فقد أدى هذا إلى إيجاد علائق وثيقة بين أرمينية وبيزنطة، وذلك على الرغم من أن بعض نبلاء أرمينية حاولوا أن يحافظوا على علاقات وثيقة مع إيران التي كانت حضارتها قد أثرت في بلادهم تأثيراً عميقاً، وقد أصبحت أرمينية، وهي التي كانت محور الصراع بين روما وإيران، أصبحت وقد انقسم سكانها إلى قسمين: قسم يؤيد روما، والآخر يؤيد إيران. ولم تفلح سياسة سابور في أن تهدئ من حدة ذلك الصراع، وعندما أصبحت المسيحية هي الدين الرسمي للإمبراطورية الرومانية أصبح ولاء الرعايا المسيحيين في الإمبراطورية الإيرانية موضع شك بالنسبة للفرس، وكثيراً ما اضطهد المسيحيون، وأريق دمائهم خلال السنوات التي تلت من حكم الإمبراطور الفارسي.

وفي القرن الذي تلا وفاة سابور الثاني وقعت منازعات قوية بين العرش الذي جلس عليه حكام ضعفاء والحكام الإقطاعيين الذين تحالفوا مع رجال الدين الزردشتي الأقوياء. وعلى الرغم من أن الملوك الأقوياء قد حاولوا من قبل القضاء على ما كان يتمتع به هؤلاء الأمراء الإقطاعيون ورجال الدين من سلطات، فإن هؤلاء قد استطاعوا استعادة سلطانهم، بل وسعوا نفوذهم، وأصبحت بعض المناصب الكبيرة التي تولوها وراثية في أسرهم. وقد أضعف هؤلاء من سلطة الملوك بمعارضتهم القوية المنظمة لهم، وفي النهاية لم يعد للملك الحق في أن يعين خليفته، كما كان الحال أيام الساسانيين الأقوياء، وبذلك أصبحت إيران مملكة يختار ملكها من بين أفراد الأسرة الساسانية؛ مما فتح السبيل أمام الانقسامات الداخلية التي جعلت منها شيعاً وأحزاباً ينضم كل منها إلى أحد المطالبين بالعرش.



لقد بدأت قوة النبلاء تظهر أيام أردشير الثاني، وتوطدت أيام سابور الثالث وبهرام الرابع. وكان من الصدف أن قوة هؤلاء النبلاء قد زادت في وقت أرادت فيه أن تحل مشكلة أرمينيا، فقد حاولت إيران أن تتفق مع روما بتقسيم أرمينية (عام ٣٨٤)، وحصلت إيران على السيادة على أربعة أخماس هذه البلاد، وولي حكمها ملك أرميني، ولكن لم يدم الحكم الوطني في أرمينية طويلاً؛ إذ إنها أصبحت في عام ٤٢٨ إقليماً يديره الموظفون الساسانيون، وهذا ما حدث للمنطقة التي اعترف لروما بالسيادة عليها. وقد كانت معاملة المسيحيين أيام هؤلاء الملوك الثلاثة تتسم بالتسامح أو تتجه إلى التسامح، على العكس مما كان عليه الحال أيام سابور الثاني، ولكن سياسة إيران في تلك المسألة كانت على أية حال بحسب الموقف الخارجي، وشخصية الأمير الحاكم؛ ولهذا فقد حدث تغير كبير في معاملة المسيحيين أيام حكم يزدجرد الأول؛ فلقد كان هذا الملك متزوجاً من يهودية، وأظهر من العطف على النصارى ما جعلهم يسمونه بالملك المسيحي، وجمع لهم مجلساً، وولى جاثليق في سلوقيا، وخمسة من رجال الدين أصغر رتبة من الجاثليق في خمس مدن إقليمية. وقد سمح بحرية انتقال رجال الدين خلال البلاد، ولكن النصارى لم يحسنوا استخدام هذه الحقوق، واتهموا حينذاك بالعدوان على بعض معابد الزردشتيين وموابختهم، وإزاء ذلك اضطر الملك إلى أن يغير سياسته نحو النصارى.

بيد أن الصدام الأول كان بين إيران والدولة الجديدة التي ظهرت في الشرق وهي مملكة الافثالين وقد وقع في أيام يزدجرد الأول. فبعد أن أقام هؤلاء في بلاد الكوشيين بإذن من سابور الثاني بوصفهم حلفاء له، نجحوا في طرد الكوشيين، وكونوا مملكة قوية في أوائل القرن الخامس، وانتهزوا فرصة الضعف الإيراني ليتوسعوا على جانبي إقليم هندوكش مهددين بذلك الهند.

وعند موت يزدجرد الأول قام صراع عنيف بين أبنائه على وراثة العرش، وقد فاز بالعرش من بين هؤلاء بهرام الخامس (٤٢١ - ٤٣٨م)، وذلك بفضل المساعدة العسكرية التي تلقاها من أمير الحيرة، تلك الإمارة العربية غربي

الفرات التي كانت خاضعة للنفوذ الساساني. وكان هذا الأمير قد تربى هناك، وقد كان تدخل الأجانب في شئون الدولة على هذا النحو سابقة تكررت فيما بعد، وأدت إلى انهيار الدولة في نهاية الأمر. وكان بهرام الخامس أشهر الملوك الساسانيين، وقد تركزت شهرته حول براعته في الصيد والشعر والموسيقى. وتحدثت الأساطير كثيراً عن براعته في الشعر، وذكر بعضها أنه أول من نظم الشعر الفارسي. وقد ظلت سيرته موضوعاً محبوباً إلى قلوب فناني إيران خلال العصور حتى بعد سقوط الدولة الساسانية.

وقد تجنب هذا الملك الصدام مع الأمراء الإقطاعيين، وذلك بالتنازل عن حقوق الملكية إزاءهم، أما في الخارج فقد حارب الأقباليين، وأوقف أطماعهم في التوسع، ولكنه لم يوفق في حرب صغيرة وقعت بينه وبين بيزنطة. وكانت العودة إلى اضطهاد المسيحيين سبباً في هذه الحرب التي انتهت باتفاق على منحهم حرية العبادة. وقد حلت مشكلة المسيحيين في عهده حلاً حاسماً، وذلك بأن دعا الجاثليق إلى عقد مجمع للمسيحيين الإيرانيين أعلن فيه انفصال الكنيسة المسيحية في إيران عن كنيسة بيزنطة، وبذلك لم يعد الملك الفارسي ينظر إلى المسيحيين الإيرانيين كمتأمرين على عرشه لصالح بيزنطة.

وجاء من بعد بهرام الخامس يزجرد الثاني (٤٣٨ – ٤٥٩) الشهير بالأثيم، وقد نجح المسيحيون كثيراً في اكتساب ثقة هذا الملك الذي أظهر اهتماماً بمسائل الدين، ودرس الأديان التي كانت منتشرة في إيران، ولكن هذا الملك ظل زردشتياً مخلصاً، وفي النهاية اضطهد اليهود، والنصارى. وقد أدت محاولته لتحويل أرمينيا من المسيحية على الزردشتية إلى قيام ثورة هائلة حينما كان الملك مشغولاً بحرب الأقباليين، وهزم الجيش الإيراني في أرمينيا، فأقبل إليها يزجرد، ودخلها وهزمها وجردها من قانتها، وذلك بنقله أباء الأسر ورجال الدين إلى إيران.

وجاء من بعده فيروز (٤٥٩ – ٤٨٤) فساءت حالة الإمبراطورية في عهده، ولقد افترست المجاعة المدن والقرى سنوات عدة مما اضطر الملك إلى رفع

الضرائب، وتوزيع القمح، كما مزقت الخلافات الدينية وحدة البلاد. كان الملك يضطهد اليهود في حين انقسم النصارى إلى نساطرة (وهم الذين يعتقدون بطبيعتين اتحدتا في شخص المسيح). وأدت الحرب التي قام بها هذا الملك ضد الأقباليين إلى ما يشبه الكارثة، وقد هُزم هذا الملك وأسر، ولم يسترد حريته إلا بعد أن رفع دية كبيرة، وقد ترك ابنه قباذ رهينة عندهم على حين عمل هو على جمع الدية بفرض ضرائب، ولجأ إلى روما لمساعدته.

ولقد كانت سياسة بيزنطة تجاه فارس في ذلك الوقت تهدف إلى الإبقاء على شيء من قوة فارس؛ ذلك لأنه كان من الصعب عليها الاحتفاظ بممتلكاتها في الشرق إذا ضعفت فارس أمام هجمات المتبربرين من الشرق. كانت فارس تمثل حاجزا بين هؤلاء وممتلكات الدولة البيزنطية، وكذلك فإن الروايات البيزنطية تذكر أن الإمبراطور زينو قد دفع للأقباليين الفدية التي طلبوها لإطلاق سراح فيروز. وكانت فارس تهاجم بلاد ما بين النهرين عندما تشعر بقوتها، ولكنها كانت تكف عن ذلك الهجوم حينما تشغل بغارات المتبربرين في الشرق؛ ولذلك فقد كان من المهم للدولة البيزنطية أن تبقى فارس، لكن بشرط ألا تكون قوية تستطيع تسديد الضربات إليها. فإذا قويت وخلصت من المشكلات في وقت من الأوقات عملت بيزنطة على إضعافها بتسديد بعض الضربات إليها. وقد هدأت الأمور بين الأقباليين والفُرس بضع سنوات أعنت فيروز على إعادة تنظيم مالية البلاد. فلما شعر بشيء من القوة عزم على مهاجمة الأقباليين، وعلى الرغم من نصحه بالعدول عن ذلك أصر على القيام بالهجوم، ونفذه فعلا في عام ٤٨٤، فهُزم وقُتل في المعركة.

وبعد موت فيروز، أصبح الأقباليون هم القوة المسيطرة على إيران بعد أن كانوا من قبل يمثلون قوة خاضعة للنفوذ الإيراني. ولم يقتصر الأمر على فرضهم جزية كبيرة كان يحصل عليها ملك الأقباليين من إيران، وإنما تعدى ذلك إلى تدخلهم في الشؤون الداخلية للبلاد، وبخاصة فيما يتعلق بولاية العرش؛

إذ كثيراً ما كانوا يساندون أحد المطالبين بالعرش ضد الآخرين، ويسيطرون عليه حين يصل إلى حكم إيران، وقد دامت هذه الحالة نصف قرن بعد وفاة فيروز، حكم خلاله أربعة ملوك.

ولي الملك بلاش (٤٨٤ - ٤٨٨)، بعد فيروز، ولم يلبث في الملك إلا أربع سنوات ثم خلفه قباد، ولما كان قباد هذا قد قضى شبابه عند الأقباليين، فيمكننا أن نستنتج من ذلك أنهم هم الذين أعانوه على ولاية العرش، وذلك في عام (٤٨٨).

وقد كانت الحرب الفاشلة التي قام بها فيروز سبباً من الأسباب التي أشاعت الاضطرابات في البلاد. كانت المجاعات المتوالية وهزائم فيروز مما جعل الدولة على شفا الإفلاس، وكانت الدويلات التابعة لها ثائرة، وحدودها معرضة لهجمات البدو. وكان الهون البيض يغيرون على حدودها الشمالية، والأقباليون يتقاضون منها الجزية المالية، في حين كانت خزانة الدولة خالية. وقد حاول قباد إن يستعين بالدولة البيزنطية، فوالى إرسال السفراء إلى القسطنطينية، ولكن ذلك لم يجده نفعاً. وكان عليه أن يختار في الجبهة الداخلية بين تأييد النبلاء وعامة الشعب الذين تابعوا مزدك في دعوته التي كانت ذات طابع ديني واجتماعي. وقد ساند قباد مزدك محاولاً بذلك أن يضعف سلطة النبلاء، ويكتسب العامة إلى جانبه.

كانت دعوة مزدك دينية تشتمل على عقائد عن خلق العالم وطبيعته وعن الحياة الأخرى. وقد استمدت هذه العقائد من دعوة ماني، كما أنها دعت أتباعها إلى الابتعاد عن العنف وتجنب الحقد على الغير. أما دعوتها الاجتماعية فكانت تتلخص في وجوب تقسيم الممتلكات الدنيوية بين الناس بالتساوي، وعدم الاختصاص بالنساء. وقد كانت هذه الدعوة ثورة بالنسبة لإيران التي لاحظنا كيف أنها كانت تقوم الحياة فيها على نظام الطبقات، ذلك النظام الذي كان قائماً على الأسرة، وعلى المال، والإقطاع. وقد تحدث البعض عن حركة مزدك هذه ووصفها بأنها الشيوعية الإيرانية، ولكن هذه الدعوة كانت قائمة على الدين، وعلى الاعتقادات الدينية السابقة، فبينها وبين الشيوعية الحديثة فرق شاسع.

ولعل هذه الثورة كانت احتجاجاً من الفقراء والعبيد – الذين تحرروا بعض الشيء – على ذلك الإقطاع الذي كانت تعيش فيه إيران، واحتجاجاً على حریم النبلاء الذي كان يضم الكثير من النساء.

لقد أيد قباز هذه الدعوة، وسن قوانين جديدة تتعلق بالوضع الجديد للنساء في ظل هذه الحركة، ولكن مؤامرة قامت ضده أقصته عن العرش، وانتهت به إلى السجن، وقد أنقذ من الموت، ولجأ إلى الأفتاليين، ثم عاد إلى إيران ومعه جيش أفتالي، ونجح في إقصاء أخيه جامسب عن العرش، واسترد الملك، وقد اضطر بعد عودته إلى إيران على هذا النحو أن يبقى على ولائه للأفتاليين، ويدفع لهم الجزية، كما يدفع مرتبات جنودهم الذين ظلوا في خدمته.

وقد والى أتباع مزدك ثورتهم، وأحدثوا ألواناً من العنف والعدوان، مختصين أملاك النبلاء، معتدين على النساء. وعندما عاد قباز إلى عرشه كان له موقف آخر من قانتهم، فلم يظهر تحمسه لهم، وكان من بينهم بعض النبلاء الذين أظهروا إيمانهم بهذه الحركة وتبنوها. ولما عارض هؤلاء في تعيين ابنه كسرى (خسرو) وريثاً لعرشه، قرر أن يقطع صلته بهم وتأييده لهم. وعقدت مناظرة بين المزدكيين من جانب والزرادشتيين والمسيحيين من جانب آخر، وقد غلب المزدكيون، وقبض عليهم وقتلوا، وأحرقت كتبهم، ولكن هذا لم يكن يعني نهايتهم، فقد أخذوا يظهرون من جديد خلال عصور التاريخ، وكثرت الفرق التي اعتنقت مذهبهم في إيران أيام العباسيين. ولم تمض هذه الدعوة من غير أن تؤثر في اتجاه قباز إلى الإصلاحات الاجتماعية، وتخفيف الظلم عن الفقراء. ولم يتح له أن يحقق شيئاً من ذلك؛ لأن الموت لم يمله طويلاً، ولكن خليفته أنوشروان حاول أن ينهض بذلك. وفي أيام قباز أصبح المذهب النسطوري هو المذهب المسيحي الوحيد الشائع في إيران، كما أن الكنيسة المسيحية في إيران سمحت للقساوسة بالزواج، واستطاعت بذلك أن تواجه حملات الزردشتيين الذين كانوا دائماً يحاربون هذه الرهينة.

وفي عصر كسرى الأول (أنوشروان) ٥٣١-٥٧٩ تم النصر للعرش على النبلاء، بعد أن أضعفهم الصراع مع عامة الشعب. لقد بلغت قوة العرش الساساني أيام هذا الملك أقصى درجات قوتها، وأيده الجميع، واعترفوا بسلطانه، بما في ذلك رجال الدين. وكان من أول ما قام به من أعمال إعادته الممتلكات - التي اعتصبت أيام الثورة المزدكية - إلى أصحابها، وسنه القوانين التي صححت أوضاع النساء والأطفال الذين اختطفوا من بيوت النبلاء أثناء هذه الثورة. وقد تولت الدولة تعليم هؤلاء الأطفال، وأصبحوا بمرور الوقت يمثلون أرستقراطية مرتبطة بالعرش بطريقة أخرى تخالف ما كان من صلة بين النبلاء القدماء والعرش.

وقام أنوشروان بإصلاحات في الريف الإيراني، فأعاد بناء القرى والطرق والجسور، وطهر القنوات، وزود القرى بالماشية التي كانت تنقصها، وأصلح كسرى النظام الضرائبي وذلك بمسح الأراضي، وتقدير الضرائب على إيراداتها الفعلية، مع مراعاة حالة المحصول ونوعه. أما الضرائب على الأفراد فقد عدلت أيضاً بحيث تتناسب مع الطبقة التي كان ينتمي إليها الفرد، ومنزلته في هذه الطبقة. وعلى الجملة فقد حاول هذا الملك أن يدخل شيئاً من العدالة في نظامه الضرائبي الذي كانت تعتمد عليه الدولة في الحصول على الإيرادات اللازمة لتصريف شئونها في الداخل والخارج، ولتنفق على الحروب.

وقد أدخل كسرى إصلاحات على الجيش أيضاً، فعين له أربعة من القادة قسم الجيش بينهم وذلك بدلاً من قائد واحد. وفرض على الناس الخدمة العسكرية، كما خلق طبقة من الفلاحين المحاربين، ونهض بوسائل الدفاع عن الدولة، وذلك بإسكان قبائل موالية على حدودها، كما بنى التحصينات لبحر قزوین؛ وذلك ليحمي سهل جرجان الذي يمثل نقطة الضعف في الحواجز الطبيعية التي تتمثل في الجبال المحيطة بإيران.

وقد وقع كسرى اتفاقاً على السلام الدائم مع بيزنطة، ولكنه على الرغم من ذلك أغار على سوريا في عام ٥٤٠، واستولى على أنطاكية وحرقها، ونقل

أهلها إلى مدينة جديدة صممت على غرار أنطاكية، وبنيت بالقرب من طيسفون. وعقد الصلح بعد ذلك فكان من شروطه دفع جزية مالية كبيرة لقاء إرجاع الحدود الغربية بين الدولتين إلى ما كانت عليه، كما مُنح المسيحيون الحرية الدينية بمقتضى هذا الاتفاق. وفي هذا العام نفسه أحس كسرى بقوته أمام الأفتاليين، فرفض دفع الجزية التي كانوا قد فرضوها على إيران، وكان هؤلاء قد أصبحوا حينذاك غير قادرين على فرض إرادتهم على إيران، وبعد ذلك بعشرين عاماً عقد كسرى اتفاقاً مع الأتراك الغربيين، ثم هاجم الأفتاليين وقضى على قوتهم، وقسمت أملاكهم بين القوتين الحليفين؛ وبذلك وصلت حدود إيران الشرقية إلى نهر جيحون. وفي الشمال صدّ كسرى هجوم الهون البيض، أما في الجنوب فقد أضيفت اليمن إلى الإمبراطورية. وقد أدى خوف بيزنطة من اتساع دولة الفُرس وازدياد قوتها إلى أن عملت على تكوين الأحلاف ضدها، فاتصلت بالأتراك الغربيين وبالعرب وبالحبشة. وقام صدام في أرمينية بين فارس وبيزنطة برهن على قوة الفُرس، وما لبث كسرى أن أغار على بلاد ما بين النهرين وحرّبها. وبينما كانت مفاوضات الصلح جارية، مات كسرى بعد أن حكم خمسين عاماً وقد علا صيت هذا الملك في التاريخ الشرقي، واشتهر بمحبته للعدل، وحرصه على الرعية. ويمكن أن يعتبر عصره قمّة لما وصل إليه العصر الساساني في كل النواحي؛ فقد تحققت في هذا العصر أعظم الانتصارات السياسية والعسكرية، كما ازدهرت فيه حضارة الإيرانيين، وعلومهم، وأدابهم.

ولي بعده ابنه هرمزد الرابع ( ٥٧٩ - ٥٩٠ ).

توالت بعد ذلك الأحداث في الأعوام الباقية من حكم الدولة الساسانية، وكان من أهم هذه الأحداث الصراع بين الفُرس والروم في عصر إمبراطور الروم هرقل، وملك الفُرس خسرو برويز، وتعاقب على عرش إيران بعد برويز ملك ضعاف، وأخذت الدولة تزداد ضعفاً وانهياراً، وفي النهاية قضى عليها العرب بعد ما تم لهم غزوها في عام ٦٥٢م.

وسوف نتوقف هنا عن سرد حوادث التاريخ؛ لننتقل إلى الحديث عن نظم الفُرس في العصر الساساني.

## التنظيم والإدارة والجيش

نستطيع أن نحصل على فكرة واضحة عن التنظيم الاجتماعي للدولة الساسانية من مصادر ترجع إلى أوائل العصر الساساني. لقد نظم المجتمع في نظام هرمي جامد يتكون من عدة طبقات، ولم يكن من الممكن الانتقال من طبقة إلى طبقة أخرى. كان الملك على رأس هذا النظام، وجاءت وراءه أربع طبقات تزداد عددياً كلما اقتربنا من القاعدة.

**الطبقة الأولى** كانت تتكون من الحكام الدائرين في فلك الدولة الإيرانية. هؤلاء الذين سمح لهم بالاحتفاظ باستقلالهم نظير اعترافهم بسيادة إيران. وكان من ضمن هؤلاء أمراء الأسرة المالكة الذين عهد إليهم بحكم الأقاليم الكبرى مثل: سجستان، وكرمان، أو حكم الأقاليم المفتوحة التي ألحقت بالدولة كبلاد الكوشيين. هذه الأسر المستقلة قد قلَّ عددها بصورة واضحة عنه في أيام البارثيين الذين سماهم العرب ملوك الطوائف؛ لأن الحكم في أيامهم قام على حكام إقطاعيين. كان هؤلاء الأمراء التابعون ملزمين بتقديم الجنود للدولة وكذلك بحماية أقاليمهم؛ وبذلك كانوا يكونون قوات الدفاع التي تحرس حدود الإمبراطورية.

**الطبقة الثانية** التي تلي هؤلاء تتكون من رؤساء الأسر السبع. ووجود أسر سبع لها مثل هذه الأهمية تقليد يرجع إلى العصر الأكميني، ظل سارياً خلال العصر الساساني، وقد ورث الساسانيون هذا النظام الإقطاعي من البارثيين مباشرة، فإن قوة النبلاء في أيام هؤلاء قد حرمت العرش من الاستقرار السياسي، وعلى الرغم من أن الساسانيين قد قبلوا هذا النظام الإقطاعي فإنهم عملوا جهدهم على إضعاف سلطة النبلاء، ولقد نجحوا في ذلك في أول الأمر، فضعفت سلطة النبلاء أيام حكم الملوك الأول، وظلت كذلك حتى وفاة سابور الثاني، ولكنها عادت فقويت من جديد خلال فترة الضعف والاضطراب التي دامت ١٢٥ عاماً حتى ولي الحكم كسرى الأول (أنو شروان) فهذا الملك وابنه هرمزد الرابع يمثلان آخر ملكين عظيمين في هذه الدولة، وقد استطاعا إخضاع



النبلاء لسلطانهم. وقد كان كفاح هؤلاء النبلاء من أجل استرجاع سلطانهم من أكبر الأسباب التي أدت إلى ضعف الدولة وانحلالها وسقوطها في نهاية الأمر. ولسنا نعرف الكثير عن سلطات رؤساء هذه الأسر السبعة، ولكن من المحقق أنهم كانوا نوي سلطان على أقاليم كاملة، وكان الفلاحون يؤدون لهم ضرائب إلى جانب تلك التي كانوا يؤدونها للملك. وكان هؤلاء النبلاء ملزمين بأن يقدموا الجنود للملك إذا دعت الضرورة إلى ذلك، وقد كان هذا شأنهم أيام البارثيين. وكان بعض هذه الأسر يتوارث بعض المناصب المدنية أو العسكرية، ولكن الأمر لم يستمر على وتيرة واحدة بالنسبة لاحتفاظ الأسر بالمناصب، خلال القرون الأربعة التي حكمتها الدولة الساسانية.

**الطبقة الثالثة** بعد ذلك هي طبقة الكبراء والعظماء، وقد كانت وظيفة هؤلاء أن يواجهوا نفوذ أبناء الأسر السبع ويوقفوا طغيانهم. وكانت هذه الطبقة تتكون من كبار موظفي الدولة، والوزراء، ورؤساء الإدارات، وموظفي البلاط. وكان نمو هذه الطبقة وتطورها عاملاً على إدخال عنصر جديد في المجتمع، وقد استطاع الساسانيون باعتمادهم عليهم وعلى الجيش أن ينظموا الدولة ويمنحوها قوة لم تكن لها أيام البارثيين.

والطبقة الرابعة طبقة الرجال الأحرار الذين كانوا يمتلكون الأرض القليلة أو يرأسون القرى، وهؤلاء كانوا يمثلون حلقة الاتصال بين الفلاحين وممثلي الحكومة المركزية، وكانوا أيضاً مسئولين أمام الحكومة عن جميع الضرائب من الفلاحين.

وقد كان الفلاحون يمثلون السواد الأعظم من الأمة، وهؤلاء كانوا أحراراً من الناحية النظرية، إلا أنهم في الواقع كانوا في حالة استعباد، مرتبطين بالأرض، وكانوا يباعون معها، فكانت الأرض أو القرية تباع بمن عليها من فلاحين.

هذه هي طبقات الشعب.

ولكن الحكومة الساسانية كانت ذات نظام إداري هرمي أيضاً. كان على قمة هذا النظام كبير الوزراء (بزرگ فرماندار)، وقد كان هذا الموظف صاحب

السلطة الكاملة، يمارسها تحت إشراف الملك، وكان ينوب عن الملك في غيابه، كما كان مسئولاً عن سياسة الدولة وعلاقاتها الخارجية مع الدول الأخرى، وكذلك توقيع المعاهدات والأحلاف. وكانت قيادة الجيش تسند إليه أحياناً، كما كان يرأس الوزارات (وكانت تسمى بالدواوين) التي كان يديرها ككتاب ذوو خبرة في كتابة التقارير، وإعداد المعاهدات، وتحرير الرسائل الرسمية. وكانت الدواوين ذات اختصاصات مختلفة، فمنها ديوان للمحفوظات والرسائل، وديوان للتوظيف والتشريف؛ أي لاختيار الموظفين، ومنح الرتب، وديوان للقضاء، وديوان للحرب، وديوان للمالية، وكان هذا الديوان الأخير أهم الدواوين، كان يرأسه مدير الضرائب الذي كان يعمل تحت إمرته جيش من الصيارفة وجباة الضرائب.

وكان القسم الأكبر من الضرائب يحصل في بلد زراعي كإيران من الخراج الذي يفرض على الأراضي الزراعية، تضاف إليه الضرائب التي تفرض على الأفراد. ولكن جباية الضرائب في الدول القديمة كانت دائماً تتسم بالظلم، ويصحبها الشيء الكثير من الجور على الأهالي؛ مما كان يسبب اضطرابات وثورات.

وكان الملك أحياناً يحاول أن يخفف الأعباء عن الأهالي بإلغاء ما عليهم من ضرائب متأخرة، أو بالعمل على إصلاح طرق التحصيل.

ولقد كان الملك هو القاضي الأكبر، وكان الفرد يستطيع أن يلجأ إليه إذا لم ينل العدالة في جهة أخرى. وكان للإيرانيين في ذلك الوقت اهتمام بالعدالة وإعجاب بها، وكان القاضي العادل ذا مكانة عالية بينهم. وعلى الرغم من أنه كان هناك ديوان للقضاء، فقد كان رجال الدين هم الذين يفصلون في القضايا؛ ذلك لأن القوانين والأخلاق كانت مرتبطة بالدين ارتباطاً شديداً.

وبينما كان رجال الدين هم الذين يفصلون في القضايا داخل المدن، كان الرؤساء أو ملاك الأرض المحليون هم الذين يفصلون في القضايا داخل القرى. ولسنا ندري هل كان لتلك البلاد قانون مكتوم أم لا، ولكن الكتابات الزرشتية

على أية حال تتضمن فصولاً خاصة بالقوانين، نص فيها على الجرائم التي ترتكب ضد الملك، أو ضد الدولة أو ضد الجار. وكان التعذيب، والامتحان بالآلام لإثبات البراءة أموراً شائعة حينذاك. ولو صحت الكتابات التي تركها شهداء النصارى، لكنا ندرك منها كيف أن الحكام إذ ذاك افْتَنُوا في ضروب التعذيب والامتحان.

وقد ظلت الإدارة الداخلية للبلاد مبنية على تقسيمها إلى أقاليم أو وحدات إدارية، كان يحكمها موظفون كبار، يختارون من بين أعضاء الأسرة المالكة أو النبلاء، وفي أواخر أيام الأسرة كانوا يختارون من بين قادة الجيش أحياناً. ولم تكن حدود هذه الأقاليم محددة تحديداً دقيقاً، وإنما كانت هناك حدود مفتعلة، كانت تسبب سوء الإدارة في كثير من الأحيان، وكانت الأقاليم مقسمة إلى مراكز أو وحدات إدارية أصغر، لكل منها حاكم، وكان كل مركز مقسماً أيضاً إلى وحدات أصغر، يحكمها أشرف صغار كان رؤساء القرى تابعين لهم، وقد بقي هذا النظام متبعاً أيام الحكم العربي لإيران، ولا تزال بقايا منه باقية حتى يومنا هذا. ويرجع هذا النظام في جوهره إلى أيام البارثيين، حين كان الأشرف يشتركون في الحكم مع السلطة العليا في البلاد، ولكن الساسانيين يرجع إليهم الفضل في خلق حكومة ذات موظفين إداريين كانوا يمثلون حلقة الاتصال بين السلطة المركزية وحكام الأقاليم. لقد قامت الإمبراطورية الساسانية على أنقاض دولة كانت منقسمة إلى عدد من الأقاليم المستقلة التي انفرد بحكم كل منها أمير أو ملك، فكان توحيدها في ظل نظام مركزي موحد هو مصدر عظمة الدولة.

وكذلك كان البلاط الملكي منظماً على تلك الطريقة الطبقية. كان موظفو البلاط منقسمين إلى طوائف ثلاث بحسب أسرهم ووظائفهم، وكان أمراء الأسرة المالكة، وفرسان الحاشية الملكية، أعلى هؤلاء الموظفين رتبة، وكان البلاط يتضمن أيضاً موسيقيين ومهرجين، وكان الموسيقيون أيضاً منقسمين بحسب الآلات التي يعزفون عليها، كما كانت لهم أهميتهم الكبرى في حياة البلاط.

وقد كان للبلاط نفقات كثيرة؛ إذ إنه كان يتكون من آلاف الأفراد، وكانت نفقات الإدارة والجيش والأعمال العامة تقوم بها الضرائب المختلفة، وكذلك الإيرادات التي كانت تتجمع من الأراضي التابعة للملك، ومن المناجم، وكذلك من الإيرادات الجمركية، تلك التي تمثل قسطاً كبيراً من إيرادات الدولة؛ وذلك لازدياد النشاط التجاري حينذاك، وكذلك كانت غنائم الحرب تغذي خزانة الدولة من حين إلى حين، وكان التصرف في هذه الأمور من حق الملك، وكان من بين الملوك من دفعته حكمته إلى إنفاق الأموال في شئون تهم رعيته، ولكن كان منهم من أولع باختزانه، وقد بقي الكنز الذي وقع في أيدي العرب عند فتحهم المدائن ذكرى أكثر في ترديداتها كتب التاريخ.

وظلت قيادة الجيش خلال القرون الثلاثة الأولى من حكم الدولة الساسانية تحت إمرة قائد أعلى من أمراء الأسرة المالكة، وكان هذا النصب وراثياً، ولكن كسرى الأول غير هذا النظام، وذلك بأن عهد بقيادة الجيش إلى أربعة من القادة فرقهم على جهات الإمبراطورية الأربع: (الشمال، والجنوب، والشرق، والغرب). وجعل لكل قائد نائباً، وكان الهدف من وراء ذلك أن يجعل السيطرة على الجيش في يد رجل واحد، ولكن هذا الإجراء كان له أثر ضار بعد عصر كسرى؛ إذ إن هؤلاء القادة لعبوا دوراً فعالاً في إضعاف الدولة.

وكان الجيش أيام الساسانيين، كما كان في عصر البارثيين، مبنياً على الفرسان المسلحين تسليحاً ثقيلاً، وهؤلاء كانوا في العادة من كبار النبلاء، ويلي هؤلاء فريق آخر من الفرسان، يتكون من صغار الأشراف، وكانوا مسلحين بالقسي والرماح. وبعد هذه الفرق السريعة تجيء فرق الفيلة، وهذه لم تكن تستخدم أيام البارثيين، ومن بعد الفيلة يجيء المشاة في المؤخرة، وهم حشود من الفلاحين لم يكونوا مسلحين تسليحاً جيداً، ولا كانت لهم قيمة من الناحية العسكرية، وكانت هناك دول كثيرة خاضعة لنفوذ الفرس تقع على حدود إيران، وهذه كانت تقدم لهم فرقاً عسكرية مساعدة. ومنذ أوائل عصر الأكمينيين كان لفرسان هذه الفرق المساعدة شهرة عظيمة في القتال، وكانت هذه الفرق أيام

الساسانيين تتكون من رجال ينتمون إلى شعوب مختلفة، وكان الفرسان الأرمن ذوي مكانة عظيمة في الجيش الساساني.

وكان الجيش مقسماً إلى فرق تنقسم بدورها إلى فيالق، ولم يكن البارثيون يعرفون حرب الحصار، ولكن الساسانيين أتقنوا ذلك الفن، وأصبحوا فيه نظراء للرومان، وكان الدفاع عن الحدود يتم بإنشاء مستعمرات عسكرية من مجموعات من الناس ينقلون من بلادهم الأصلية ويُعهد إليهم بذلك. ومما ارتبط اسمه بتطبيق هذه السياسة كسرى الأول، وعلى هذا فقد كانت الإمبراطورية محاطة بدويلات واقعة تحت نفوذها، يقف من ورائها الجيش الإيراني.

والظاهر أن الفن العسكري كان موضوعاً لكتابات كثيرة، ولكن هذه الكتابات لم تصل إلينا، وإنما اطلعنا عليها اطلاعاً غير مباشر في مصادر نقلت عنها، وكان من هذه الكتابات ما تعلق باستخدام سلاح الفرسان، والهجوم على العدو، واختيار مكانه وزمانه، وباستخدام الأسلحة المختلفة، إلى غير ذلك. وقد ثبت لدى المؤرخين المحدثين أن الفُرس في العصر الساساني لم يكنوا أقل من الرومان خبرة بفنون القتال.

## أديان الفُرس القدماء

ننتقل الآن إلى ناحية أخرى من نواحي البحث، ألا وهي دراسة العقائد الفارسية قبل الإسلام.

مُنشئ الدين الفارسي القديم هو زردشت، ودراسة دينه مسألة ذات أهمية لدارسي تاريخ الفُرس وأدبهم قبل الإسلام وبعده، فحياة الأمة سلسلة متصلة الحلقات يرتبط فيها الحاضر بالماضي. كما أن لهذه الدراسة أهمية كبيرة؛ لأن الدين الزردشتي وغيره من مذاهب الفُرس القدماء أثر في المجتمع الإسلامي، وكان سبباً في ظهور فرق دينية، كما كان لهذا الدين صلات باليهودية والمسيحية جعلت المهتمين بدراسة هذين الدينين يهتمون بدراسة دين زردشت. وإلى جانب هذا، فإن دراسة هذه الديانة لها قيمتها من الناحية العقلية البحتة، فإن هذا الدين المغرق في القدم يشتمل على عقائد، وشعائر، وتشريع، وكلها جوانب تستحق البحث والاهتمام. وقد تحدث اليونان القدماء كثيراً عما امتاز به الدين الفارسي القديم من نزعات روحية مثالية. فاهتمامنا بدراسة هذا الدين يرجع إلى ما له من قيمة تاريخية، ولما لدراسته من فائدة من الناحية العقلية البحتة.

وقد أطلق على الدين الفارسي القديم أسماء عدة منها المزدية نسبة إلى أهوارا مزدا، وهو اسم الله في هذا الدين، وأطلق عليه أتباعه فيما بعد «به دين» أي الدين القيم، وقد أطلق على هذا الدين أيضاً المجوسية، والدين البارسي، والدين الثنوي، وعبادة النيران.

وأحسن أسماء هذا الدين وأصوبها هو الزردشتية نسبة إلى مؤسس هذه الديانة زردشت، كما يسمى دين يوزا بالبونية، ودين ماني بالمانوية، وهكذا. كما

والثنوية، وعبادة النيران أسماء بعضها خاطئ، وبعضها أسماء قد أطلقت على هذا الدين بعد موت زردشت بفترة طويلة.

والدين الزردشتي دين جاء به فرد، فهو مطبوع بطابعه وتفكيره، ولكنه مع ذلك لا يخلو من عناصر قديمة دخلت هذا الدين، كما لا يخلو غيره من الأديان من عناصر سابقة على ظهوره.

ويمكننا أن نتبين في تاريخ الدين الفارسي ثلاث مراحل:

(١) الأصول الأربعة (الهندية الأوربية) لهذا الدين، وترجع إلى ما قبل ظهور زردشت.

(٢) الجانب الإيراني لهذا الدين، وهو الذي تمثلته تعاليم زردشت.

(٣) العناصر الغربية التي دخلت هذا الدين بعد زمان زردشت.

وأهم خصائص هذا الدين هي:

الاعتقاد بنوع من التثنية المؤقتة، تلك التي تتمثل في الحرب بين إله الخير (أهورا مزدا) أو أرمزد Ormazd وبين الشيطان Anra Mainyu (أهرمن) وبين ملكيهما، ولكن هذه الحرب تنتهي بانتهاء هذا العالم ويسود بعد ذلك الخير وعالم الخير. ويعتقد هذا الدين بالبعث وب حياة أخرى بعد البعث، وهناك بعد ذلك عقائد عن نشأة العالم وطبيعته واعتقاد بملائكة وشياطين، واعتقاد عن الحياة الأخرى ما يجري فيها.

ولهذه الديانة جانب آخر هو عبادة الطبيعة والعناصر الطبيعية، يضاف إليها تأليه الشمس والقمر والنجوم، وتعظيم النار والأرض والماء، والحرص على طهارة تلك العناصر، والأجسام الميتة عندهم أهم مصادر التلوث. وهذه العقائد التي تتصل بعبادة الأجرام الطبيعية، وتقديس عناصر الطبيعة ترجع إلى الدين الآري القديم، فهي بقايا من هذا الدين علقت بدين زردشت، وأصبحت عند أتباعه جزءاً منه.

ويمتاز الدين الزردشتي بعد ذلك بالحرص الشديد على نقاء الجسم، والعناية بالحيوانات النافعة، والزراعة، وبيع الشعائر والطقوس التي يمارسها أتباعه.

وسوف نتحدث بشيء من التفصيل عن هذه الموضوعات المختلفة.

وأظن أن أحسن طريقة نبدأ بها دراستنا لهذا الموضوع هي تحديد المراحل المختلفة التي مر بها.

لقد مر الدين الإيراني بمراحل ثلاث هي:

أولاً – العصر السابق لظهور زردشت.

ثانياً – عصر زردشت.

ثالثاً – العصور التالية لعصر زردشت وقد تطور فيها الدين الإيراني.

ولا نستطيع القول إن هناك حدوداً فاصلة بين هذه العصور، فقد بقي في دين زردشت بقايا من العقائد الإيرانية التي كان يدين بها الإيرانيون قبل زمانه. أما التطور الذي حدث لهذا الدين بعد زردشت فهو لم يمح معالمه، وإنما أضيف إلى ما جاء به زردشت أو غير في مفهوم بعض ما جاء به، وسوف نبين ذلك.

وقد تأثر الدين الزردشتي في مراحله تلك بالأحداث السياسية تأثراً كبيراً إلى حد أننا يمكننا أن نميز العصور التاريخية التي مرت به على النحو الآتي :

(١) العصر الآري – الهندي الأوروبي – السابق على زردشت.

(٢) عصر ميديا وبكتريا وهو الذي تمثل لنا الجائات<sup>(١)</sup> ما بقي لنا منه.

(٣) عصر الأكمني (٥٥٩ – ٣٣٠ ق.م).

(٤) هزيمة الزردشتية واضمحلالها بسبب غزو الإسكندر، وحكم السلوقيين الذي استمر من ٣٣٠ – ٢٥٠ ق.م.

(٥) عصر البارثيين وهو من العصور المظلمة التي مر بها هذا الدين، وقد استمر من ٢٥٠ ق.م إلى ٢٢٦ م.

---

(١) الجائات هي أقدم قسم في كتاب الأستا.



(٦) العصر الساساني وفيه بعثت الديانة الزردشتية وازدهرت وظلت مزدهرة أربعة قرون.

(٧) الفتح الإسلامي لإيران عام ٦٥١م، وما أصاب الزردشتية من جرائه ومصيرها بعد هذا الفتح.

### دين الفُرس قبل زردشت

ما العقائد التي يشتمل عليها هذا الدين ؟ ليست لدينا معلومات وافية عنه، ولكننا نستطيع أن نعرف شيئاً عن طبيعته بقراءة الأُفستا<sup>(١)</sup>، وبالرجوع إلى ما قاله المؤرخون اليونان عن دين الفُرس.

ففي الأُفستا نرى دعوة حارة إلى نبد السحر والتطير وعبادة الشياطين، وفي الأُفستا نرى بقايا من عبادة الأجرام الطبيعية كالشمس والقمر والنجوم، وفي الأُفستا نرى تعظيماً لعناصر الطبيعة من ماء ونار وتراب، وكل هذه بقايا من الدين الآري القديم الذي كان قائماً على عبادة الأجرام الطبيعية، وتقديس عناصر الطبيعة.

وقد روى المؤرخ اليوناني هيرودوت أيضاً أن الفُرس كانوا يعبدون الشمس والقمر والأرض والنار والماء والنجوم منذ أقدم الأزمنة (ح ١ ص ١٣١). وقد قال المؤرخون المسلمون الذين تحدثوا عن زردشت ودينه إن أتباعه يعبدون الشمس، والقمر، والنجوم، ويقدسون عناصر الطبيعة، وهذا يدل على أن تلك البقايا الآرية قد لازمت هذا الدين طوال العصور، وليس هذا بغريب، فأكثر المصلحين الدينيين لم يستطيعوا أن يقضوا قضاءً تاماً على العقائد التي كان يعتقد بها أقوامهم قبل زمان ظهورهم. فكان المصلح الديني يستبقي بعض العقائد السائدة، وهذا بالطبع كان يساعد على نجاح دعوته؛ إذ إن المخالفة التامة الكاملة لما يعتقد به الناس وقت الدعوة تجعل مهمة النبي أو المصلح الديني عسيرة بل مستحيلة.

---

(١) الأُفستا هي الكتاب الديني المنسوب إلى زردشت، ويسمى بالعربية «الأبستاق» في بعض الأحيان.

وقد قال المؤرخ اليوناني أجاثياس Agthias نقلاً عن مصادر سابقة لزمانه: إن الفُرس كانوا يدينون بآلهة اليونان قبل ظهور زردشت، وإن كانوا قد سمو هذه الآلهة بأسماء غير تلك التي أطلقها عليها اليونان. ولعل سبب الاتفاق الذي أشار إليه ذلك المؤرخ اليوناني هو أن هذه الشعوب قد ورثت عقائد متشابهة من الدين الآري القديم، واحتفظت بها بعد أن تفرقت إلى شعوب مختلفة من هندية، وإيرانية، وأوروبية.

والخلاصة أن مصادرنا لا تعطينا صورة دقيقة للحياة الدينية في إيران قبل وقت زردشت، ولا نستطيع أن نقطع بشيء أكثر من أن في دين زردشت بقايا من الدين الآري القديم تتمثل في تقديس الأجرام الطبيعية، وتقديس عناصر الطبيعة، كما أن به دعوة حارة إلى نبذ السحر وعبادة الشياطين، وإلى ترك أمور أخرى مرتبطة بمعتقدات القوم قبل زمانه.

**زردشت :** والآن ننتقل إلى الشخصية المهمة في تاريخ الدين الفارسي، شخصية النبي زردشت أو الحكيم زردشت، ثم نتبع ذلك الحديث عن دينه. وأهم المصادر التي نستمد منها معرفتنا بهذا الموضوع هي: ١- كتاب الأُفستَا، والكتابات البهلوية (أي المكتوبة باللغة البهلوية، لغة الدولة الساسانية) التي كتبها الزردشتيون فيما بعد، وكذلك النقوش الإيرانية القديمة. ٢ - ما كتبه الساميون من سريان وعرب عن زردشت ودينه. ٣ - ما كتبه اليونان والرومان عن هذا الموضوع، وبعض ما كتبوه مبني على مشاهداتهم الشخصية. ٤ - الإشارات إلى دين الفُرس في العهدين القديم والجديد، وفي الآثار القديمة لبابل وآشور. ٥- الكتابات الهندية القديمة، وهذه لا تقدم معلومات عن دين زردشت، ولكن للهنود قربي وثيقة بالإيرانيين؛ إذ يرجعون معاً إلى أصل واحد. وتساعد القيدا الهندية مساعدة فعالة في فهم المراحل الأولى للدين الآري، تلك التي ترجع إلى ما قبل انفصال الهنود والإيرانيين. ولكن هذه المصادر لم تحل لنا كل مشكلة من مشاكل البحث، بل لا تزال هناك أسئلة يكاد يكون من المستحيل أن نجيب عليها الآن، ولكن البحث قد واصل إلى كثير من النتائج التي يمكن اعتبارها نتائج صحيحة.

**حياة زردشت :** يعتبر زردشت المؤسس الحقيقي للدين الفارسي القديم، فشخصيته وتعاليمه قد صبغت هذا الدين بصبغة قوية ميزته عن غيره من الأديان الآرية. وقد أظهر بعض العلماء شكاً في وجود زردشت، ولكن البحث أثبت أن زردشت شخصية تاريخية، وأنه حكيم من أكبر الحكماء الذين ظهوروا في الشرق القديم. وتمثله لنا الجئات رجلاً قوي الشخصية، يعلم، ويعظ، ويؤثر في كل من يتصل به. أما الأجزاء المتأخرة من الأوستا فتضفي عليه لونا من التقديس والتعظيم يكاد يخفي معالم شخصيته الحقيقية. وقد كانت الأوستا الأصلية تشتمل على فصل عن حياة زردشت، ولكن هذا الفصل قد فقد وقد حفظت أجزاء من الكتابات الدينية البهلوية. أما العصر الذي ظهر فيه زردشت فقد كان موضعاً لخلاف كثير.

فقد ذهب الكتاب القدماء من اليونان واللاتين إلى أنه ظهر عام ٦٠٠ ق.م، وإن كان قد يفهم مما قاله بعضهم أنه ظهر بعد ذلك. أما الروايات الزردشتية والكتابات البهلوية فتقول بظهوره بين القرنين السابع والسادس قبل الميلاد. وقد اختلف الباحثون المحدثون في تحديد هذا التاريخ، وتوصل أحدهم، وهو الأستاذ West إلى القول بأن زرادشت عاش من عام ٦٦٠ إلى عام ٥٨٣ ق.م، ولقي تحديده هذا قبولاً من أعلام الباحثين، ومنهم وليامز جاكسون Williams Jackson العالم الأمريكي الذي اهتم كثيراً بهذا الموضوع.

وقد سبق أن ذكرنا أن حياة زردشت كانت موضوعاً لفصل من فصول الأوستا. وقد ضاع هذا الفصل، ولكن معلومات كثيرة منقولة عنه حفظت باللغة البهلوية، اسم أبيه پورشاسبا (پورشاسب). وقد تحدثت الكتابات البهلوية عن العجائب التي ظهرت حينما ولد زردشت، كما تحدثت عن محاولة السحرة قتله في طفولته، ولكن هذه المحاولات لم تنجح وكبر الطفل. ونقرأ في الأوستا أن الطبيعة ابتهجت بمقدم زردشت، فالأشجار تهتز، والأنهار تنساب رقراقاً عذبة. أما الشيطان وأتباعه من الجن فقد فروا هاربين إلى باطن الأرض. وحين ولد زردشت ضحك ولم يبك كما يفعل الأطفال ساعة يولدون.

ولما بلغ سن العشرين انقطع عن الناس وخلا بنفسه يتفكر ويتأمل، وحين بلغ الثلاثين نزل عليه الوحي وبدأت نبوته. ويظل زردشت يدعو الناس إلى دينه ويعرضه على الأمراء المختلفين فلا يؤمن به أحد. وبعد عشر سنوات من قيامه بالدعوة يفلح في أن يجتذب تابعاً واحداً. ويكاد اليأس يدب في نفس زردشت لهذا الإخفاق الكبير لولا أن أهورا مزدا يأمره بأن يذهب إلى بلاط الملك گشتاسب ملك إيران في ذلك الوقت. وهناك يقضي زردشت عامين محاولاً إقناع هذا الملك، وبعد تعب شديد يفلح في إقناعه بعد أن يظهر أمامه بعض المعجزات. وهناك يؤمن به الملك وأسرته وحاشيته وأتباعه نحو ٦١٨ ق.م، وبناءً على تاريخ وست West، ويتلو ذلك انتشار الدين في إيران، وفي جزء من توران (بلاد الترك التي كانت على الحدود الشرقية لإيران)، ثم نسمع عن انتشار هذا الدين في أجزاء من الهند وآسيا الصغرى)، ويظهر أن دين زردشت قد انتشر عن طريق الفتح خارج إيران، فهناك روايات تنبئ بذلك، بل تنبئ بأن زردشت نفسه قد قُتل في إحدى هذه الحروب الدينية، بالغاً من العمر سبعة وسبعين عاماً.

### تعاليم الزردشتية

اتفق الباحثون على أن الفُرس قد بلغوا مرحلة دينية ما قبل أن يظهر زردشت، فليس من المعقول أن يظهر دين متطور كالزردشتية من غير أن تسبقه مراحل من التطور الديني كما بينا من قبل.

وعلى العكس من ذلك نعرف الكثير عن تعاليم زردشت وسنقدم هنا دراسة موجزة لهذه التعاليم.

وأهم خصائص دين زردشت هي الثنائية؛ أي الاعتقاد بوجود قوتين تسيطران على هذا العالم: قوة الخير وقوة الشر، أو إله الخير والشيطان. وقد نادى بعض أعلام الباحثين في القرن الماضي وأوائل هذا القرن بأن دين زردشت دين توحيد. وأول من قال بذلك المستشرق الألماني هاوج Haug الذي يؤكد أن دراسة الجائزات – وهي الجزء الوحيد من الأُستا الذي يمكن أن ينسب إلى

زردشت نفسه – تقنعنا بأن زردشت لم يجعل الشيطان ندًا للإله، كما يفهم من النصوص المتأخرة من كتاب الأوستا .

نظرية الإله والشيطان كما يفهما هاوج من الجاثات هي أن الله واحد لا شريك له، وأن سبنتا مينيو Spenta Mainyu الروح الطيب، وأنرا مينيو Anra Mainyu الشيطان ليسا إلا صفتين من صفات الله يخلق بهما الأضداد من خير وشر، ونور وظلام، وصحة ومرض، ونصرة ونبول، وما إلى ذلك. وقد تحمس البارسيون المحدثون – وهم أتباع زردشت الذين يقيمون بغرب الهند في الوقت الحاضر – تحمس هؤلاء لهذه النظرية، وعملوا على ترويجها، منادين بأن دينهم دين توحيد، واتخذوا من هذه الدعوى سلاحاً يواجهون به نشاط المبشرين المسيحيين الذين كانوا يصفون الدين الزردشتي بأنه دين شرك يدعو إلى الاعتقاد بوجود إلهين.

على أن هذه النظرية لم تصادف قبولا من جميع الباحثين الذين يرى القسم الأكبر منهم أن التثنوية هي أهم خصائص دين زردشت، فالمفهوم من تعاليمهم أن العالم منقسم إلى قسمين كبيرين بينهما هوة واسعة، وعلى جانبي هذه الهوة تقوم مملكة النور ومملكة الظلام، أي عالم الخير وعالم الشر، وهناك في ذلك النور اللانهائي يقيم الله، وفي ذلك الظلام اللانهائي يقيم الشيطان.

وعالم الدنيا من خلق الله، ولكن الشيطان يفسد هذا الخلق ويتلفه، ولولا هذا لكان عالمنا الدنيوي عالماً خيراً؛ لأنه من خلق إله الخير (أهورا مزدا). إن هذا العالم الدنيوي هو نقطة الاحتكاك بين الخير والشر ومسرح الحرب بينهما، ومحور هذا العالم هو الإنسان.

وبرغم ما يؤكدّه الدين الزردشتي من الاعتقاد بسلطة الشيطان في هذا العالم، وقدرته على أن يفسد ما يخلق الله من خير، فهو يؤمن بأن الشيطان في النهاية سينهزم، وسيختفي إلى الأبد، وبذلك تسود مملكة النور، وهنا تقوم القيامة ويبعث الناس، ويكافأ الخير، ويعاقب المذنب.

## نظرية الخير والشر في دين زردشت

إن نظرية الخير والشر في دين زردشت هي المحور الذي تدور عليه تعاليمه، ولقد دافع المجوس عن عقيدتهم طوال العصور، وقالوا بأنها الحل الوحيد لمشكلة الشر في العالم.

إن هذا العالم مليء بالأمراض والآفات. فمن الذي خلق هذه الآفات؟ وما غرضه من ذلك؟ وفي هذا العالم قد نجد الرجل الصالح شقياً قليل الحظ، ونجد الطالح سعيداً منعماً ظافراً من الدنيا بكل ما يريد.

يري الدين الزردشتي أن خالق كل خير في العالم هو الله، وأن خالق كل شر فيه هو الشيطان. الشيطان يخلق الجرائم الضارة ليفسد بها ما يضيفه الله على خلقه من صحة وسلامة. وينفي الزردشتيون أن يكون الله خالق هذه الآفات؛ لأنه لا يمكن أن يصدر الشر عنه، فهذا يتنافى مع ما اتصف به من إرادة الخير المطلق، فالألوهية منزهة عن الشر بطبيعتها، ولا قدرة لإله الخير على فعل الشر.

هذه النظرية – وإن حلت إلى حد ما مشكلة الشر، وحاولت أن توجد لها تفسيراً – أدت في الوقت ذاته إلى الاعتقاد بأن هناك من يستطيع منازعة الخالق في ملكه، كما أنها أدت إلى لون من الشرك؛ إذ إن العقيدة الزردشتية تشرك الشيطان مع الله في الخلق. وقد سخر أحد متكلمي الإسلام من هذه العقيدة فقال: إنه بناء على هذه النظرية يكون الشيطان أقوى من الله سبحانه وتعالى؛ لأن هذا العالم يغلب عليه الشر، ويقل فيه الخير.

وتحدثت الزردشتية عن موقف الإنسان من هذا الصراع بين الخير والشر، فذهبت إلى أن الإنسان حر الإرادة، يفعل ما يشاء، وأنه كلما فعل الخير ساعد على انتصار قوى الخير، وكلما فعل الشر أعان بذلك قوى الشر. وزردشت يدعو الإنسان إلى فعل الخير حتى يعجل بانتصار قوى الخير على قوى الشر، وشعار دينه من الناحية الخلقية: فكر خير، وقول خير، وعمل خير.

وتؤمن الزردشتية بالبعث، وكذلك بالحساب، ويكون حساب الإنسان يوم البعث منوطاً بما قدمه في الدنيا من خير أو شر. ومن هنا ظهر بين المسلمين الحديث المشهور الذي ينسب إلى الرسول – عليه السلام – قوله: «القدرية مجوس هذه الأمة». فالقدرية – وهي الفرقة الإسلامية التي أمنت بحرية إرادة الإنسان وقدرته على خلق أفعاله – قد شبهوا بالمجوس. وهذا الحديث يتقبل تفسيراً آخر، وهو أن القدرية يشبهون المجوس بجعلهم الإنسان قادراً على خلق الأفعال، فهم يشركون الإنسان مع الله في الخلق، كما فعل المجوس حين جعلوا الشيطان شريكاً لله في الخلق.

إلى جانب الله والشيطان يعتقد الدين الزردشتي بوجود عدد كبير من الملائكة يمثلون جنود الله، لكل منهم عمل خاص من أعمال الخير. تقابل هؤلاء مجموعة من الشياطين، لكل منهم عمل خاص من أعمال الشر، ويمثلون جنود الشيطان الأكبر.

## مملكة النور

تميز الديانة الزردشتية تمييزاً واضحاً بين قوى الخير وقوى الشر. فالخير، والنور، والعالم العلوي تشن حرباً لا تنتهي على الظلام والشر والجحيم. وفي الديانة الزردشتية إيضاح واف لجيش الخير، ووصف متعدد الصور. لكن جيش الشر لا يلقى من الزردشتية مثل هذا التفصيل والوضوح.

ويتقابل جيش الخير وجيش الشر، ولكل منهما قائد يواجه الآخر، كما أن كل جيش منهما يتكون من فرق، لكل منها ما يواجهها ويضادها في الجيش الآخر.

ولقد نجح الفرس القدماء في تصوير معبودهم بصفات روحية مثالية. ولفت هذا أنظار المؤرخين اليونانيين، فتحدث به هيرودوت ومن جاء بعده من المؤرخين.

وفي الدين الزردشتي – كما ذكرنا – بقايا من عبادة الأجرام الطبيعية شاعت عندهم قبل عصر زردشت، ولكن الفرس أضفوا على تلك المعتقدات كثيراً من

روحانيتهم، فكان مما لفت أنظار اليونان أن الفُرس لم يتخذوا آلهة من الأحجار أو التماثيل، ولقد جاء وقت صور فيه الفُرس بعض معبوداتهم، كما صوروا إلههم أهورا مزدا، ولكن هذا التصوير لم يكن للعبادة بقدر ما كان عملاً فنيًا، له مثل في بعض هياكل الديانات التي يحتفل أهلها بالفن، ويعنون بالنحت والتصوير.

يتكون جيش الخير – كما ذكرنا – من إله الخير، ومن عدد كبير من الملائكة والأرواح الطيبة، وليس جميع الملائكة من مرتبة واحدة، فهناك ملائكة كبار، وآخرون أدنى منزلة منهم.

### أهورا مزدا أو أورمزد ، إله الإيرانيين القدماء

وهو كما ذكرنا قائد جيش الخير، وهو الحاكم المطلق في عالم الخير والحقيقة والنور، ومعنى كلمة «أهورا مزدا» «الإله الحكيم». وأهم صفاته العلم والحكمة. أهورا مزدا كائن روحي رفيع ويتضح هذا في صفاته وأعماله. ومن هذه الصفات أنه كله حكمة، وعلم، وخير، وصواب لا يتغير، ولا يخدع، ولا يُخدع. وهو حارس يقظ يحمي ويبقي، يكافئ ويعاقب، وهو أب لكل شيء حسن، وخالفه. وهو بوجه خاص خالق النور والبقرة، وعرشه في السماء في عالم النور الخالد، وحضرته تمتاز بالعظمة والجلال، وحوله عدد من الملائكة يتلقون أوامره وينفذونها، وأهورا مزدا هو الكائن الخالد الذي كان ويكون وسوف يدوم أبداً. والخلاصة أنه ليس في الأديان التي ظهرت بين الشعوب الآرية في التاريخ القديم إله يمتاز بتلك الروحية السامية التي أضفاها الفُرس القدماء على إلههم أهورا مزدا.

### الملائكة الكبار (Amesha Spentas)

يقف أمام عرش أهورا مزدا عدد من الملائكة الكبار، يتلقون أوامره وينفذونها، وقد تبدو صورة أهورا مزدا وحوله الملائكة في الدين الزردشتي شبيهة بملك شرقي قديم يحيط به وزراءه، وحاشيته، وكبار رجال دولته،



وهؤلاء الملائكة الكبار شبيهون بالوزراء. والاسم الإيراني الذي أطلق عليهم يعني الكائنات المقدسة الخالدة. وعدد هؤلاء الملائكة الكبار الذين يمثلون أمام أهورا مزدا ستة، وأوصاف هؤلاء تجعل منهم أنصاف آلهة، وتتكون من أهورا مزدا ومنهم قيادة مملكة النور.

هؤلاء الملائكة ليسوا كائنات حسية، وإنما هم أسماء تعبر عن مُثُل أو تصور فضائل مجردة مطلقة. وهذه الفضائل هي: الفكر الخير، والصواب الأعظم، والملك أو الكون المرتجى، والتقوى الخيرة، والصحة المنجية، والخلود.

ونقرأ أسماء هؤلاء الملائكة في أناشيد الجاثات، وهم يذكرون في الجاثات بالترتيب الذي ذكرناهم به. وكل الصفات التي تضيفها الكتابات الدينية على هذه الملائكة – التي لا تعدو أن تكون رمزا لمعان مجردة – تناسب طبيعتها النقية، وكيانها الذي لا يعدو أن يكون من قبيل الرمز.

أما عن أصل هذه الملائكة ووظيفتها، فلا بد أن نذكر أن أهورا مزدا هو أبوها وخالقها، وقد أوجدها لتعاونه في عمله. وكل ما لها من قوة خالقة أو منظمة يلائم وضعها بوصفها عمالا عند الله الذي يمضي إرادته ومشيئته عن طريق هذه الملائكة، ويكل إليها رعاية كثير من العناصر في الدنيا. فالفكر الخير موكل برعاية الحيوانات النافعة، والصواب المطلق موكل برعاية النهار، والملك المرتجى موكل برعاية المعادن، وأما التقوى الخيرة فهي إلهة الأرض، والصحة المنجية موكلة برعاية الماء، وأما الخلود فموكل برعاية النبات. وهذه العقيدة التي تجعل لكل موجود راعيا عقيدة قديمة سابقة للجاثات بغير شك، ولكن لم نعرف حتى الآن الصلات المحددة بين هذه المعاني التي ترمز إليها الملائكة والعناصر أو الموجودات التي تنسب إليها رعايتها.

ويضرع الزردشتيون إلى هذه الملائكة في صلواتهم، ويروي «لينكرت» وغيره من كتب الزردشتيين أن هذه الملائكة ظهرت أمام الملك گشتاسب، وعاونت على إقناعه بالدين الزردشتي. وقد وصف في بعض الكتابات

الزردشتية بأنها تمتطي خيولا عجيبة، وليس هذا بغريب، فقد صور أهورا مزدا على بعض الصخور الساسانية ممطياً جواذاً، وتجلس هذه الملائكة الكبار على عروش من الذهب في الجنة، وهي جميعها جديرة عندهم بالعبادة. ويخصص لكل من هذه الملائكة شهر لتعظيمه، كما أن لكل منها يوماً مقدساً، كما أن لكل من هذه الملائكة نوعاً من الزهور يناسبه ويُهدى إليه. فالياسمين مثلاً يُهدى لملك الفكر الخير، ولكل من هذه الملائكة شيطان يعارضه، ولكن كل ملك منها سوف ينتصر على الشيطان الذي يعارضه حينما تقوم القيامة ويقع الحساب.

## الملائكة الآخرون

ويعرف هؤلاء باليزاتات Yazatas، ويمثلون الطبقة التالية للملائكة الكبار في مملكة السماء، ومعنى كلمة «يزاتا» الكائن المعبود، ومهمة هؤلاء الملائكة أن ينقلوا أوامر الله إلى الناس، وأن ينفذوا إرادته. وعدد هؤلاء الملائكة (اليزاتات) كبير، فهناك فصل في الأڤستا (اليشت السادس) يذكر أنهم مئات بل آلاف. ويروي يوناني معاصر عن الفرس أنهم كانوا يعتقدون بأن الهواء مملوء بالأرواح.

وليست هذه الملائكة كلها متساوية في أهميتها، فبعضها له أهميته واعتباره عندهم أكثر من غيره. هذا البعض هو الذي ينسب إليه يوم من أيام الشهر أو الذي ينسب إليه فصل أو موسم أو الذي تدخل عبادته ضمن شعائره.

وتنقسم هذه الملائكة (اليزاتات) إلى فريقين: فريق سماوي، وفريق أرضي. وعلى رأس الفريق السماوي إله الخير أهورا مزدا الذي يوصف أحياناً بأنه اليزاتا الأعظم، وعلى رأس الفريق الأرضي زردشت، وكلمة يزاتا هي أصل كلمة «إيزد» في الفارسية الإسلامية ومعناها «الله». فبعض هذه الملائكة يحرس الشمس، والقمر، والنجوم، والسماء، والأرض، والهواء، والنار، والماء. وبعضها رموز لأفكار مجردة مثل: النصر، والبركة، والحقيقة، والاستقامة والسلام، والقوة، وما إلى ذلك.

## الأرواح الخيرة : Fravashis

هذه الأرواح (الفرافاشات) جيش كبير، والمفرد من هذه الأرواح يمثل عند الزردشتيين عنصراً روحياً في تكوين الإنسان. فكلمة «فرافاشا» تعني ملكاً حارساً أو راعياً، وكان هذا الملك في السماء قبل أن يولد الإنسان، وقد خلق أهورا مزدا كل الكائنات الروحية قبل الكائنات المادية، وظلت مقيمة في حالتها الروحية البحتة حتى خلق أهورا مزدا العالم المادي، وعند موت الإنسان تتحد الروح بنفسه؛ ولهذا فإن نفوس الموتى تعد أرواحاً من هذا النوع.

ويرجع الاعتقاد بوجود جيش من الأرواح إلى ما قبل عصر زردشت؛ إذ إن الميديين القدماء كانوا يعتقدون بوجود مثل هذه الأرواح.

يعتقد الزردشتيون أن هذه الأرواح تعاون أهورا مزدا، كما تعاون البشر في محاربة البشر، وتحرس كل ما هو نافع مفيد في هذه الدنيا.

وتدخل هذه الأرواح ضمن عبادات الزردشتيين، فهم يقدسون الشهر الأول من السنة تعظيماً لها، ويعظمونها أيضاً في اليوم التاسع عشر من كل شهر، وفي الأيام العشرة الأخيرة من السنة.

هذه الأرواح تعتبر ضمن الملائكة المعروفين باليزادات.

وهناك بعد ذلك ملائكة آخرون، ومن أمثلتهم الملك الذي يرمز إلى شجرة الهوما Hooma والشراب الذي يستخرج منها، وهو شراب مسكر يقول الزردشتيون بأن من شرب منه في الدنيا يخلد بعد البعث.

وعدد الملائكة المعروفين باليزادات – سواء منهم من كان سماوياً أو أرضياً- يبلغ الآلاف، ومنهم من يرتبط في العمل بأحد الملائكة الكبار، كما أن كل يزاتا له مجموعة من الملائكة أقل مكانة منه، تأتمر بأمره، وتعاونه في النهوض بواجباته، والكثرة الغالبة من هذه الكائنات الروحية رموز للفضائل.

## كائنات خرافية

إلى جانب الملائكة هناك كائنات خرافية خيرة تضمها مملكة السماء، وهذه الكائنات بقايا من معتقدات قديمة بقيت عالقة بدين زردشت.

فمن هذه الكائنات حمار ضخّم الجسم ذو أرجل ثلاث، يقف وسط بحر فورو كاشا Vouru Kasha، وهذا الحمار يعاون في حسن إدارة العالم.

وهناك بعد ذلك الثور هذياش (النقي الطاهر) الذي سوف يصنع شراب الآخرة من ذهنه ممزوجاً بعصارة شجرة الهوما، وهذا الثور كائن عجيب نصفه ثور، ونصفه إنسان.

ومن هذه الكائنات أيضاً الطيور الخرافية مثل «سيمرغ» ذلك الطائر الذي يجلس فوق شجرة الشفاء، ويجعلها تنثر بذورها على الأرض.

وهكذا ينتهي حديثنا عن مملكة السماء في الدين الزردشتي، وقد ذكرنا فيها عقيدة إله الخير، والملائكة الكبار، والملائكة الأخرى، ثم بعض الكائنات الأسطورية التي نسب إليها بعض الأعمال الخيرة، وتشتمل الأقسنا على تفصيلات واسعة لهذه العقائد.

وأهم خاصية تمتاز بها هذه المعتقدات الفارسية القديمة هي تلك النزعة الروحية المثالية التي جعلتهم يقدسون الفضائل الصفات الكريمة، ويتخذون رموزاً لها يعدونها ملائكة جديرة بالعبادة والتعظيم، أو يصورونها كائنات روحية يقيمون لها الطقوس الدينية، ويبتهلون إليها، أو يتوصلون بها إلى الله.

## مملكة الظلام

قلنا إن الدين الزردشتي يؤمن بقوة الشر في العالم، فالشر والخطأ يقفان في مواجهة الخير والصواب، وقوى الظلام والجحيم تحارب على الدوام قوى النور والسماء، وهذه الحرب ستظل مستمرة الأوار حتى تنتهي بانتصار الخير والنور.

وأكثر أسماء الشياطين ذيو عاً في الأقسنا Daéva، وهي التي تطورت في الفارسية إلى ديو بمعنى شيطان. وهذه الكلمة هي ذات الكلمة السنسكريتية

Deva ، ولكن معناها في السنسكريتية « إله ». وهذه ظاهرة غريبة جعلت بعض الباحثين يقولون بأن هذا المدلول السيئ لكلمة Daéva نشأ منذ انفصل العنصر الإيراني عن العنصر الجنس الآري المشترك فبدأت آلهة الهند تعد شياطين عند الإيرانيين.

وأما الكلمة التي تطلق على الشر في الأوستا فهي Druj ومعناها الكذبة، وهذه الكلمة أصبحت تطلق في النصوص الزردشتية المتأخرة على جماعة من إناث الشياطين، وهناك أوصاف كثيرة وتسميات توصف بها الكائنات الشريرة.

ويقول المؤرخ اليوناني بلوتارخ Plutarch إن أهورا مزدا خلق أربعة وعشرين إلهاً فخلق الشيطان Ahriman عدداً يقابلهم من الأرواح الشريرة. ولكن هذا العدد الذي يشير إليه بلوتارخ قليل بالنسبة لما ذكر في الأوستا والنصوص الدينية المتأخرة من الشياطين الذين يكونون جيشاً كبيراً. وهذه الشياطين الكثيرة ليست مرتبة ترتيباً محكماً على طريقة جنود مملكة السماء. إن الشياطين أكثر عدداً من الملائكة، ولكن الملائكة أقوى من الشياطين. وكذلك لم توصف الشياطين بوضوح كما وصفت الملائكة في الكتابات الزردشتية. وبعض هؤلاء لا يعدو أن يكون أسماء، فأشخاصهم غير واضحة المعالم، وهم يعملون معاً في صورة جماعات. وأوضح شيء يتصفون به هو الشر الذي يسيطر عليهم، وجيش الشر يتكون من جماعات منها الشياطين، والعفاريت، وحشود من أتباعهم الشريرين من كفار ومنافقين.

وهناك أتباع للأرواح الشريرة منها الوحوش والسحرة، ويقود الشيطان الأكبر أنرامينيو (أهريمان) جيش الشياطين، وجميع هؤلاء يذعنون لأمره، ويعملون على إشاعة الفساد في هذا العالم.

### الشيطان الأكبر

الشيطان الأكبر يُدعى أنرامينيو، وكذلك يدعى أهريمان، ويمثل ظاهرة مهمة في الدين الزردشتي. وليست فكرة الشيطان الذي يضل الناس، ويحاول أن

يقودهم إلى فعل الشر وارتكاب الآثام غريبة على أتباع الديانات السماوية. فهذه الديانات تقر بوجود شيطان يفسد في الأرض، ويحاول أن يضل الناس، وتدعو هذه الديانات الناس إلى مقاومة وساوسه. ومن هنا كانت دراسة فكرة الإيرانيين عن الشيطان مما يستهوي الباحثين وبخاصة من يهتمون بمقارنة العقائد.

وأول شيء يجب الحديث عنه هنا هو العلاقة بين أهورا مزدا، وسبنتا مينيو (الروح الطيب)، وأنرا مينيو (الشيطان). وكنا قد أشرنا إلى هذا الموضوع من قبل، وسنعود إليه هنا لنبحثه بشيء من التفصيل.

ما العلاقة بين أهورا مزدا والروح الطيب والشيطان ؟ إن الروح الطيب جزء من جوهر أهورا مزدا.

وقد سبق أن ذكرنا أن كثرة الباحثين رأوا أن أهريمان خصم وضد لأهورا مزدا، وأن سبنتامينيو ليس إلا صفة من صفات أهورا مزدا، وأن أهورا مزدا يسمى سبنتامينيو حينما يراد إظهار الفرق بينه وبين أهريمان، كما يحدث مثلاً حين مقارنة القوة الخالقة لكل منهما أو حين النظر إلى مخلوقات كل منهما. فأهريمان هو العدو المباشر لأهورا مزدا، وهو الذي يحاربه حرباً دائمة لا هوادة فيها.

ولقد حاول البارسيون أن يصوروا دينهم على أنه دين توحيد يؤمن بوحدة الله ووحدة الخالق، وهم يقولون إن الاعتقاد بقوتين خالقتين خطأ، ويقولون إن الجانات (أقدم أجزاء الأفسستا) لا يفهم منها وجود خالقين. فأهريمان عندهم ليس عدواً مضاداً لأهورا مزدا نفسه. وهم يؤكدون أن الجانات يفهم منه أن الروح الطيب سبنتامينيو والشيطان أنرا مينيو ليسا سوى روحين يكونان جزءاً من جوهر أهورا مزدا. فأهريمان ليس ضدّاً لأهورا مزدا نفسه، وإنما هو ضد لروحه الطيب، وهم يقولون إن أهورا مزدا يخلق الأضداد بهاتين القوتين. أما إطلاق اسم سبنتامينيو على أهورا مزدا في بعض الأحيان، فهذا في رأيهم لا يوجد إلى في النصوص المتأخرة، وأما النصوص القديمة فلا يوجد بها مثل هذا الخلط. وقد أيدهم المستشرق الألماني هاوج Haug في نظريتهم تلك. وكذلك

صور المستشرق الألماني جيكر Geiger الصلة بين أهورا مزدا والشیطان بصورة مماثلة، فقال إن سبتامينيو وأنرامينيو قطبان متضادان، فأولهما يخلق الخير وثانيهما يخلق الشر، وهما توأمان لا يوجد أحدهما بدون الآخر، ولكن كلا منهما موجود بحالة مضادة للآخر. وكلاهما يفنى في الوحدة الجامعة، وحدة أهورا مزدا. وهذان الروحان كانا موجودين قبل أن يوجد العالم، ولكن أعمالهما لا تظهر ولا تتضح إلا في عالم المرئيات، ويتجلى في هذه الأعمال تضادهما. إن أهورا مزدا هو خالق العالم، ولكنه حين يصنع الخير بروحه الطيب يقوم الروح السلبى المضاد للروح الطيب بخلق الشر.

فنحن إذن بين اتجاهين في فهم موقف الشيطان من إله الخير في دين زردشت: اتجاه يفهم من كتابات الزردشتيين أنها تعتبر الشيطان خصماً لإله الخير، وأنه في حرب دائمة معه، واتجاه إلى اعتبار الشيطان خصماً للروح الطيب، وهو الأداة التي يخلق أهورا مزدا بها الخير. ولكن الاتجاه الأخير لا يختلف عن الأول في بيان سلطان الشيطان وسيطرته في هذه الدنيا. والاعتقاد بأن الشيطان ضد إله الخير يؤدي إلى الثنوية الصريحة؛ إذ إنه يتضمن القول بأن كلا من إله الخير والشيطان وجدا منذ البداية. أما الاعتقاد بأن الشيطان ضد للروح الطيب، وأن الشيطان صدر عن أهورا مزدا فهو لون من التوحيد لذات إله الخير، مع الاعتقاد بوجود لون من الثنوية يسيطر على العالم، ولكن الزردشتية متفائلة، تؤكد أن قوة الشر مؤقتة، وأن الغلبة في النهاية ستكون للخير، حيث تسود مملكة النور، ويزول الشر والظلام. وهذا هو الذي دعا بعض الباحثين – الذين يرون أن الدين الزردشتي دين ثنوي – إلى القول بأن الثنوية فئة مؤقتة. فأهريمن وإن كان يحارب أهورا مزدا، إلا أن قوته ليست أبدية كقوة أهورا مزدا، وإنما مصيرها إلى الزوال، وحينئذاك يسود العالم الخير، ويكون الحكم فيه لأهورا مزدا وحده، ولا يكون للشر حينذاك سلطان.

ومما هو جدير بالذكر أن الكتاب العرب فطنوا إلى هذا التناقض في فهم العلاقة بين أهورا مزدا وأهريمن.

يقول المقدسي: «فزعمت المجوس بأن فاعل الخير لا يفعل الشر، وأن الشرير لا يفعل الخير؛ لأن الجنس الواحد لا يقع منه إلا الفعل الواحد، كالنار لا يكون منها إلى التسخين، والثلج لا يكون منه إلا التبريد. فسموا الإله الخير هرمز والشرير الخبيث أهريمن، وأضافوا كل حسن وجميل وفعل حميد إلى الخير، وكل قبيح ونميم إلى الشرير الخبيث المضاد له، ثم اختلفوا – بعد إجماعهم على الخير منهما قديم لم يزل – وزعم بعضهم أن الشرير قديم أيضاً كقول الثنوية بقدم الكونين من النور والظلمة، وزعمت طائفة أخرى أنه حادث، ثم اختلف الذين قالوا بحدوث الشرير الخبيث كيف كان حدوثه، فزعمت فرقة منهم أن القديم الخير تفكر فكرة ربيئة فاسدة، فحدث من فكرته هذا الخبيث الشرير. وهذا نقض أصلهم بأن جوهر القديم جوهر خير لا يشوبه شيء من الزور والآفات. وزعم آخرون أن الخير هفا هفوة فحدث هذا الضد بلا إرادة منه ولا مشيئة، فجعلوا الخير كالمقود الجاهل الذي لا يملك نفسه وأمره .. وزعمت فرقة ثالثة منهم أنه لا يُدرى كيف حدث هذا الشرير المنازع للخير القديم، فأفصحوا بالحيرة ونادوا على أنفسهم بالشبهة. وقد زعموا جميعاً أن هذا الشرير كاید الخير ونازعه الأمر، وجمع الخير جنوده من النور، والشرير جنوده من أبعاض الظلمة فاقتتلا مدة من الدهر طويلة، ثم توسطت الملائكة بينهما ودعوهما إلى الهدنة والموادعة.. مدة سبعة آلاف سنة، وهي مدة قوام العالم، فاصطلحا على أن يكون أكثر الأمر والحكم والغلبة في هذه المدة المضروبة للجوهر الشرير، فإذا انقضت المدة أفضى الأمر إلى القديم الخير<sup>(١)</sup>».

وينبغي الانتباه هنا إلى أن الشيطان في الدين الزردشتي ليس كالشيطان في العقائد السماوية؛ فالشيطان في هذه الأديان ملك ضل، أما في الدين الزردشتي فهو بطبيعته شرير منذ البداية، وهو في الأديان السماوية يخدع ويوسوس، ولكنه في الديانة الزردشتية يخلق الشرور والآثام، ويبعد كل ما يضر ويفسد.

ويختلف تصوير الشيطان الأكبر باختلاف النصوص الزردشتية. فالجائات – أقدم النصوص – تذكر أن صفاته تتلخص في كلمة واحدة هي أنه شرير، وهو على الدوام يختار أسوأ أمر ممكن، وهو مضاد بكل معاني الكلمة للروح

(١) البدء والتاريخ، ج ١، ص ٨٨ – ٩٠.



الطيب، وغايته تخريب العالم، وهو يقف إلى جوار دروج Druj وهي شيطانة الكذب والغش والخديعة. وهذه الشيطانة هي الضد المواجه لملك الصواب أشا Asha الذي يتخذه أهورا مزدا عوناً له، والجحيم هو مستقر شيطانه الخديعة. وقد وردت كلمة الروح الشرير مرة واحدة في الجائات، والمعتقد أنها تشير إلى الشيطان الأكبر ذاته، وقد أشير إليه أيضاً بأنه الفكر الشرير، فمن هذا الفكر الشرير تتولد الشياطين، وسوف يذهب الأشرار في الدنيا إلى مقام الفكر الشرير، وهو عين المكان الذي تقيم فيه دروج شيطانة الكذب والخديعة والعش، والفكر الشرير أيضاً هو أبو الأرواح الشريرة أو الشياطين التي ترمز إلى صفات الشر وتمثلها.

أما الأجزاء الأخرى من الأقسما فتصوره متعباً أهورا مزدا، يتلف في إصرار ما يخلقه أهورا مزدا، وهو يحاول أن يضعف سلطة الخير، وإن كان لا يستطيع القضاء عليها. ومنذ خلق عالم الخير اتخذ أهريمن منه موقفاً معادياً، وحاول أن يقضي عليه. فما خلق أهورا مزدا خيراً إلا خلق أهريمن شراً يقابله، ولهذا سميت أعماله بالأفعال المضادة، وعرف أهريمن بخالق الشر، فمخلوقات أهريمن هي المخلوقات التي قدر لها سلفاً أن تضاد مخلوقات الروح الطيب. فحينما خلق أهورا مزدا الحياة خلق أهريمن الموت؛ ولهذا سمي بالمميت في الأجزاء الأحدث من كتاب الأقسما، كما سمي أيضاً بالشرير والخبيث، وصانع الشر. إنه يمنع المياه من أن تجري في مجاريها الطبيعية، إنه يخلق الجرائم والأوبئة والأمراض ليؤذي الناس ويؤلمهم.

أهريمن، شيطان الشياطين، المخادع قائد الجن، يقيم في ظلمة لا نهاية لها. وهو يجمع الشياطين حوله في جبل أريزورا (من جبال البرز)، وهو باب الجحيم، ومن هناك ينطلقون لمهاجمة البشر، ويسعون في الأرض فساداً. وكان مولد زردشت إيذاناً بانتهاء أهريمن؛ فقد أصبح لزاماً عليه أن يلتجئ هو وأتباعه إلى باطن الأرض. ولقد جاء الشيطان الأكبر من الشمال، وحاول أن يخدع زردشت، لكن زردشت قاوم خداعه، وصمد لكل ما أظهره له من ضروب الإغراء، واستطاع في النهاية أن يدفعه إلى الفرار.

إن أنرامينيو (أهريمن) يكره ملك النور ميثرا Mithra، وهو لا يمل من إيذاء أهورا مزدا، ولا يتوقف عن السعي إلى إطفاء النار، ولكنه سوف ينهزم في النهاية أمام إله الخير، وحينذاك يهرب مع أتباعه إلى باطن الأرض، أو يقضي عليهم جميعاً قضاءً كاملاً.

### أهريمن ، كما تصوره الكتابات البهلوية

اللغة البهلوية، لغة الفُرس في العصر الساساني، قدمت للدارسين نصوصاً كثيرة عن الدين الزرديشتي، وقد صورت هذه النصوص أهورا مزدا بذات الصورة التي رسمتها له الأجزاء الأحث من الأُقُستَا، فهو دائماً ذلك الخسيس المنذب الجاهل الجبان الشرير المخادع المهلك، وهو أزلي مثل أهورا مزدا، وقد كان يقيم منذ الأزل في الظلام اللانهائي، ولكنه نهض ورأى أهورا مزدا، فبدأ يهاجم النور الذي يقيم فيه أهورا مزدا، ويتقابل أهورا مزدا وأهريمن في الهواء، ومنذ ذلك الحين يبدأ الصراع بينهما، ويتغلب أهورا مزدا على أهريمن فيفر مضطرباً إلى الجحيم، ولكنه لا يكاد يسترد صوابه حتى يبدأ يخلق مجموعة من الشياطين، وهؤلاء هم أتباعه ومعاونوه في تنفيذ الشرور التي يرسمها لهم، ولكن النصوص البهلوية تتفق مع النصوص القديمة في قولها بانهازم الشيطان أو هلاكه في نهاية الأمر.

### الشياطين Daévas

تتحدث الأُقُستَا عن أنواع مختلفة من الشياطين والعفاريت الشريرة وغيرها من صناعات الشر، وليس هناك جيش مرتب من هذه الشياطين، كما هو الحال في مملكة السماء. إن الثنوية الدقيقة غير واضحة حين نوازن بين أفراد هذا الجيش وبين أفراد مملكة السماء. حقاً إن هناك ستة شياطين عتاة يواجهون الملائكة الكبار، ولكن الشياطين الآخرين الذين هم أننى شأناً من هؤلاء القادة لا يقفون تماماً في مواجهة الملائكة (اليزاتات)، فهذه الملائكة لا يواجه كلاً منها شيطان يحاربه، وفوق ذلك فإن أفراد الشياطين لم يصوروا بوضوح كما هو الحال بالنسبة لأفراد الملائكة؛ بل إن الكثير منهم لا يعدو أن يكون مجرد اسم.

وقد ذكرت تلك الشياطين في الجاثات، وفي الأجزاء الأحدث من الأقسا، وفي الكتابات البهلوية وفي كتاب الشاهنامه للفردوسي. ووصفت هذه الشياطين بأوصاف تدل على شرها وخستها، وهذه الشياطين التي يطلق عليها Daévas مكونة من أفراد من نكور الشياطين، ويستدل على هذا من أن كلمة Daéva تدل على المذكور، ولكن الأمر لا يخلو من وجود أنثى بين أفراد هذه المجموعة. أما العفاريت الإناث فهي التي يطلق على كل منها دروج.

وقد تولدت هذه الشياطين من الفكر الشرير، ومن الشيطان الأكبر، ومن العقل الخاطي، هذا ما تقول به الأقسا، وكل من هذا الشياطين ينطوي بطبيعته على بذرة الظلام، وقد خلقها أهريمن لتحارب الخير، وتؤدي الإنسان. والشياطين ليست كلها كائنات روحية، لكن منها ما يتجلى في صورة البشر كما أن البشر المذنبين الذين يرتكبون الخطايا والآثام يعدون من بين هؤلاء الشياطين، ويصبحون بعد موتهم شياطين روحية.

وقد أذن مولد زردشت بكارثة عظيمة أمت بهذه الشياطين، وكان نذيراً لهم جعلهم يلتجئون إلى باطن الأرض، ولكنهم عادوا من جديد ليصبوا شرورهم على البشر، وهم يتجولون هنا وهناك على تمام الأهبة ليصيبوا أي إنسان يضع نفسه، تحت تأثيرهم، أو يسلم لهم نفسه، والقذارة تجذبهم، فهم يكثررون بالقرب من الدخانات (وهي الأماكن التي يضع الزردشتيون فيها موتاهم)، وهم يقبلون من جهة الشمال، ويجتمعون في جبل أريزورا باب الجحيم، وكثير من هذه الشياطين ينتمي إلى إقليم مازندران.

وليس من المستطاع حصر الشياطين، وقد ذكروا في أجزاء مختلفة من الأقسا وغيرها من الكتابات الدينية. وهذه الشياطين – في غالب الأمر – تشخيص للآثام والأحزان والأمراض. وهي تلك القوى الشريرة التي تهاجم الإنسان، ما لم تحميه منها قوة قادرة على التغلب عليها هي قوة الصواب، أو العبادات التي تدفعها إلى الفرار، أو ضوء النهار. وقد ورد في بعض روايات التاريخ أن الفرس كانوا يفخرون بأنهم يستطيعون السيطرة على الجن وإخضاعها لسلطانهم، وتروي الشاهنامه أن الملك الأسطوري جمشيد أخضع

الجن والشياطين لسلطانه. وقد استنتج بعض مؤرخي الإسلام من هذا القول أن جنشيد هو سليمان، وهو استنتاج خاطئ.

وفي الأفتستا قسم يسمى الفنديداد Vendidad (القانون المضاد للشياطين) ويكثر فيه ذكر الشياطين، ولا عجب في ذلك. ومن هذه الشياطين ما يزيد نشاطه على سواه، ويمتاز بقدرة على الإيذاء أكثر من غيره.

ولأهريمن ستة أو سبعة من كبار الأعوان يقفون في مواجهة الملائكة الكبار الذين يؤازرون إله الخير أهورا مزدا. فأول هذه الشياطين الفكر الشرير ويضاد الفكر الخير، وهناك بعد ذلك الشيطان المضل ويضاد ملك الصواب، وشيطان ثالث هو الحكم الحائر والفوضى والسكر، وهو عدو الملك المرتجى، وشيطان رابع يمثل الجشع، وقيل إنه يمثل العصيان، ثم هناك شيطانان آخران يفهم من المدلول اللغوي لاسميهما أنهما مرتبطان بفكرة القهر، والإتلاف، والتخريب، والشيخوخة.

وقد يضاف إلى هذه الشياطين الستة شيطان سابع هو شيطان الغضب والثورة، وهو من أشد الشياطين نكراً وعداوة للإنسان، ويضاده ملك الطاعة الدينية.

ولو ذهبنا بعد ذلك نعدد الشياطين الأخرى فسوف يطول الكلام؛ فمن هؤلاء الشياطين ما يرمز للغرور أو الكلام الذي يخلو من الصدق أو الحقد أو الغيرة، ومنهم شيطان يحارب أرواح الشريرين بعد الموت ثلاثة أيام وثلاث ليال، ثم يقودها إلى العذاب، ومنهم شيطان يدفع الناس إلى الكلام حين ينبغي لهم السكوت، ومنهم شيطان يجعل الناس يعرضون عن الصالحات، ومنهم شيطان يمثل الشيخوخة، وشيطان يمثل الريح المخربة، وشيطان يمثل الكسل وطول النوم، وشيطان يسمى الخراب الخفي، وهو الذي يسبب العدم، ويجلب سوء الطالع والشقاء، وشيطان يمثل العسر والحاجة، وشيطان يمثل الطمع والأثرة، وشيطان يمثل البخل، وشيطان يمثل الخداع، ويسعى لدفع الناس إلى ارتكاب المعاصي، وشيطان يمثل الغيبة وقذف الأعراض، وشيطان يمثل مجانية الصدق

والصواب، وشيطان يمثل العين الحاسدة، وشيطان يمثل عبادة الأصنام، وشيطان يسمى محطم الكيان، وهو الذي يفصل النفس عن البدن، وشيطان يمثل القسوة، وشيطان يمثل الجفاف، وهو يحارب ملك المطر، وشيطان يمثل العواصف، وشيطان يمثل قسوة الشتاء، وشيطان يمثل التسول، وهكذا.

## المبادئ الخلقية

ننتقل الآن إلى التحدث عن بعض المبادئ الخلقية التي دعا إليها زردشت.

لما كان أوضح خصائص الدين الزردشتي هي الإيمان بالثنوية التي تتجلى مظاهرها – في رأيهم – بتلك الحرب القائمة بين الخير والشر، والنور والظلام، فإن الدين الزردشتي دعا أتباعه إلى القيام بدورهم في هذا الكفاح. على الإنسان أن ينهض لنصرة قوى الخير بما يعمل من خير. إن الإنسان من خلق أهورا مزدا، وهو بهذا ينتمي إلى مملكة الخير، ولكنه مع ذلك مخلوق حر الإرادة، ويتوقف خلاصه النهائي من الشر على نوع اختياره، وزردشت قد أرسل إلى هذا العالم؛ ليرشد الإنسان في اختياره بين الخير والشر.

الأساس الثاني من أسس الأخلاق في دين زردشت هو نظرية المسؤولية الشخصية. كل إنسان مسئول عن عمله. أهورا مزدا وجنوده رقباء على أعمال الإنسان، والأعمال الحسنة تسجل كلها له، كما أن الأعمال السيئة تسجل عليه، وهناك ملك يسجل هذه الأعمال، وموقفه واضح في دين زردشت، فهو يكتب أعمال الناس من خير أو شر، وسوف توزن هذه الأعمال في يوم البعث ويحاسب عليها الإنسان. تتلخص تعاليم زردشت الأخلاقية – كما سبق أن ذكرنا- في دعوته إلى الفكر الخيّر، والقول الخيّر، والعمل الخيّر. الرجل الطيب تتلقى روحه يوم البعث حورية هي ذاتها تشخيص لضميره النقي، ودينه الذي تمسك به في أفكاره وأقواله وأعماله. أما المذنب فسوف تتلقى روحه ساحرة بشعة المنظر تقودها إلى اللعنة الأبدية، كما أن المراحل الثلاث – وهي الفكر الخيّر، والقول الخيّر، والعمل الخيّر – تمثل الدرجات التي ترقى فيها الروح الطيبة درجة بعد درجة في ملكوت النور اللانهائي. أما التفكير في الشر وقول الشر وعمله فهي الدركات التي تهبط فيها الروح الشريرة في الظلام اللانهائي.

ولا يتسع المجال هنا لتعداد الفضائل التي اقتضى زردشت باتباعها والردائل التي حضّ على اجتنابها. وأهم هذه الفضائل نقاء الجسم والروح، والاستقامة والإحسان والكرم والرحمة، ويتجلى اهتمام زردشت بالأخلاق في رمزه إلى كل فضيلة أو تشخيصه لها بملك من الملائكة يعمل في جيش الخير، ورمزه إلى كل رذيلة أو تشخيصه لها بشيطان من الشياطين يعمل في جيش الشر.

وقد حضّ زردشت على الوفاء بالوعد واجتناب خداع الناس والكذب، كما أوصى بالابتعاد عن الاستدانة. وقد قال هيرودوت إن الفُرس يعلمون أبناءهم ثلاثة أشياء: ركوب الخيل، والرمي بالقوس، وقول الصدق.

والكذب – في دين زردشت – أكبر الرذائل، ويليه عندهم الوقوع في الدين؛ إذ إن هذه الرذيلة تتضمن رذيلة أخرى هي أن المدين دائماً يكذب على الدائن، وأوصى الدين الزرديشتي كذلك بالتزام العفة، وليس في الزردشتية أي لون من ألوان الرهينة، بل إنها تدعو إلى التمتع بالحياة باستقامة واعتدال.

والأسرة هي وحدة المجتمع، وكثرة النسل تُعد فضيلة. والمرأة يجب أن تخضع لزوجها وتطيعه، ومع ذلك تعترف الزردشتية للمرأة بكيانها، ولا تفقدها شخصيتها أمام الرجل.

وفي دين زردشت دعوة إلى الاعتزاز بالقومية، وإطاعة الحكام المدنيين، ورجال الدين، والقناعة، والشجاعة، ومحبة العلوم والحكمة.

ويمتاز هذا الدين القديم باتجاه عمراني واضح. فقد أوصى بالزواج، وعدّ الرهينة رذيلة، بل إنه عد الصوم رذيلة، وأوصى بالزراعة، وحفر القنوات والمجاري المائية، كما حثّ على رعاية الحيوانات النافعة وبخاصة البقرة والكلب، ومع ذلك لم نجد عند الفُرس مبالغة بشأن هذه الحيوانات، كما هو الحال عند الهنود، وأوصى الدين الزرديشتي بقتل الحيوانات المؤذية والحشرات الضارة، وعدّ قتلها إقلاقاً من قوة الشيطان، بل إن إبادتها اعتبرت نوعاً من التعبد الذي تغتفر به الذنوب.

## تقديس عناصر الطبيعة

أشرنا من قبل إلى أن الزردشتيين قدّسوا عناصر الطبيعة من ماء، ونار، وهواء، وتراب؛ ونتج عن هذا التقديس أن روعي الاحتفاظ بطهارة تلك العناصر مراعاة دقيقة.

فمن المحرّم عند الزردشتيين أن يقربوا جسماً ميتاً من النار؛ لأن النار عندهم مصدر النور، والنور رمز لإله الخير، وهذا التعظيم للنار هو أساس الاشتباه الذي جعل بعض الدارسين لدين زردشت ينسبون إلى أتباعه عبادة النار؛ فالنار لم تعبد، بل عظّمت؛ لأنها مصدر النور، رمز إله الخير، وقوى الخير. على أن هذا لا يمنع من أن بعض المجوس – الذين لا يستطيعون إدراك معنى الرمز – عبدوا النار لذاتها، وغاب عنهم هذا المدلول الرمزي.

أما تقديس الزردشتيين للأرض ومراعاتهم الاحتفاظ بطهارتها فقد حتم عليهم ألا يدفنوا موتاهم. فإذا مات إنسان حملوه إلى الجبل، ووضعوه في الهواء في وعاء أسطواني يسمى دخمه بينونه لهذا الغرض فوق الجبال، وهناك يتركون الميت تحت حرارة الشمس لتفتتسه الطيور الجارحة والسباع الضارية.

أما طهارة الماء فواجب ديني يلتزمون به، فمن ألقي بحيوان ميت، أو بجيفة في قناة، أو مجرى ماء أغضب بذلك الملك أو الروح الذي يرعى الماء، وأصبح نجساً إلى الأبد. وإذا رأى إنسان جيفة تسبح في مجرى ماء، فعليه أن ينزل إلى الماء بدون تأخر، مهما كان شواغله، وأن ينتشلها من الماء، ويلقي بها في مكان منعزل، بعيد عن الأماكن التي يرتادها الناس. والبارسيون اليوم يفخرون بهذه الأشياء، ويباهون بأنها تتفق وقوانين الصحة العامة في العصر الحديث.

## زواج أقرب الأقارب

من الانتقادات التي وجهت إلى الدين الزردشتي أن أتباع زردشت أجازوا الزواج بين أقرب الأقارب كزواج الرجل بأخته أو ابنته. ولقد عرف عند الشعوب القديمة شيء من ذلك؛ ففراعنة مصر كانوا يتزوجون أخواتهم، ومع ذلك لم نعلم أن أحد هؤلاء تزوج ابنته.

والپارسيون اليوم لا يجيزون هذا النوع من الزواج، وهم ينكرون بشدة أن شيئاً مثل هذا قد أبيح في دينهم. وقد أفرد أحد علمائهم – وهو داراب پيشوتان سنجانا Darab Peshotan Sanjana – كتاباً لهذا الموضوع أنكر فيه إباحة مثل هذا الزواج في إيران القديمة، وحاول أن يثبت رأيه، ولكن كثيراً من الأسانيد التاريخية تقف في وجهه.

ففي كتاب الأُستأفقرات حُثت على هذا النوع من الزواج، وقد ذكر المؤرخون اليونان القدماء، وعلى رأسهم هيرودوت أن الفُرس كانوا يبيحون هذا النوع من الزواج، وجاء الكتاب المسلمون فنسب كثيرون منهم هذا الأمر إلى المجوس، وقد أثبت البحث صحة كثير من الأمور التي رواها المؤرخون اليونان وكذلك العرب.

يقول المقدسي: «ويستحلون نكاح الأخوات والبنات، ويحتجون على من خالفهم بفعل آدم<sup>(١)</sup>».

وقد روى أن رجلاً يدعى بهافرید ظهر بينهم في أوائل أيام العباسيين، وأراد أن يدخل على دين المجوس تغييرات منها نبذ زواج الأخوات والبنات، فثاروا عليه، وشكوه إلى أبي مسلم الخراساني فقتله.

والپارسيون اليوم – على ما يروي الباحثون الذين زاروهم في بلادهم – لا يبيحون هذا النوع من الزواج، كما أنهم يمتازون بالكرم، والإحسان إلى الجار، ولا يبيحون تعدد الزوجات، ويستفظعون الخيانة الزوجية، ويكرهون الكذب، والاستدانة.

ويروي المقدسي عنهم ما يؤيد ذلك من الناحية التاريخية، يقول: «والزكاة واجبة عليهم من جميع أموالهم أن يخرجوا الثلث منها للفقراء والمضطرين من أهل ملتهم ومن غيرهم، وفي إصلاح القناطر، وكنس الأنهار، وعمارة الأرض<sup>(٢)</sup>».

(١) البدء والتاريخ، ج ٤، ص ٢٧.

(٢) المصدر السابق، ٢٨.



## الزردشتية بعد زردشت

دخل الدين الزردشتي في تاريخ طويل بعد وفاة زردشت، وقد أصابته ضربة قوية حين غزا الإسكندر إيران عام ٣٣٠ ق.م. فيقال إن نسخة الأوستا التي كانت في الخزائن الملكية قد أحرقت، وتلا ذلك عصر مظلم بالنسبة لدين زردشت هو عصر السلوقيين والپارثيين الذين حكموا إيران حتى عام ٢٢٦ م، أي نحو خمسة قرون، وجاءت بعد ذلك الدولة الساسانية التي أسسها أردشير بن بابك فأحييت الزردشتية، وأعادت إليها قوتها، وجعلتها دين الدولة الرسمي. ففي عصر هذه الدولة جمعت نصوص الأوستا من جديد، وسادت الزردشتية من جديد نحو أربعة قرون، ولكن الفتح العربي الذي وقع في عام ٦٥١ م كاد يقضي عليها، فأسلمت الكثرة الغالبة من سكان إيران، وفرّ بعض أتباع الدين الزردشتي إلى الهند؛ حيث بقوا على دينهم، وسموا هناك بالپارسيين نسبة إلى وطنهم الأصلي فارس.

تاريخ الزردشتية في العصر الساساني لم يخل من اضطرابات داخلية، فمنذ ظهرت المسيحية في الغرب، بدأت تظهر فارس حركات ترمي إلى المزج بين الديانتين، وكان أهم هذه الحركات حركة مرقيون وحركة ابن ديسان، وجاءت بعدهما حركة أكبر منهما وأخطر هي حركة ماني، وقد سعى هذا إلى توحيد العالم في ظل ديانة واحدة، فدعا إلى دين يتكون من عناصر من الأديان السائدة في عصره، وهي: الزردشتية، والمسيحية، والبوذية.

وتعتبر كتب التاريخ الإسلامي من أهم مصادر هذه الحركات الدينية، وفيما يلي بعض ما كتبه البيروني عن مرقيون وابن ديسان وماني. يقول: «نعود الآن فنقول إن الفُرس كانوا يدينون بما أورده زردشت من المجوسية لا يفترقون فيها، ولا يختلفون إلى ارتفاع عيسى وتفرق تلامذته في الأقطار المختلفة للدعوة. وإنهم لما تفرقوا في البلاد وقع بعضهم إلى بلاد فارس، وكان ابن ديسان ومرقيون ممن استجاب، وسمعا كلام عيسى وأخذا منه طرفاً، ومما سمعا من جهة زردشت طرفاً، واستنبط كل واحد من كلا القولين مذهباً يتضمن القول بقدم الأصلين، وأخرج كل واحد منهما إنجيلاً نسبته إلى المسيح وكذب ما

عداه، وزعم ابن ديسان أن نور الله قد حل في قلبه ولكن الخلاف لم يبلغ بحيث يخرجهما وأصحابهما من جملة النصارى، ولم يكن إنجيلاهما مباينين في جميع الأسباب لإنجيل النصارى، بل زيادات ونقصان وقع فيهما والله أعلم.

ثم جاء من بعدهما ماني تلميذ فادرون، وكان عرف مذهب المجوس والنصارى والثوية، فتنبأ وزعم في أول كتابه الموسوم بالشابرقان – وهو الذي ألفه لشابور بن أردشير أن الحكمة والأعمال هي التي لم يزل رسل تأتي بها في زمن دون زمن، فكان مجيئهم في بعض القرون على يدي الرسول الذي هو البد (بوذا) إلى بلاد الهند، وفي بعضها على يدي زردشت إلى أرض فارس، وفي بعضها على يدي عيسى إلى أرض المغرب، ثم نزل هذا الوحي، وجاءت هذه النبوة في هذا القرن الأخير على يدي أنا ماني رسول إله الحق إلى أرض بابل، وذكر في إنجيله الذي وضعه على حروف الأبجد الاثنتين والعشرين حرفاً أنه الفارقليط الذي بشر به المسيح، وأنه خاتم النبيين، وأخبر عن كون العالم وهيأته بما يضاد نتائج البراهين والدلالات، ودعا إلى ملك عوالم النور والإنسان القديم وروح الحياة، وقال بقدّم النور والظلمة وأزليتهما، وحرّم ذبح الحيوان وإيلامه، وإيذاء النار والماء والنبات على أبلغ وجه، وشرع نواميس يفترضها الصديقون، وهم أبرار المانوية وزهادهم على أنفسهم من إثارة المسكنة وقمع الحرص والشهوة، ورفض الدنيا والزهد فيها، ومواصلة الصوم، والتصدق بما أمكن، وتحريم اقتناء شيء خلا قوت يوم واحد ولباس سنة، وترك الزواج، وإدامة التطواف في الدنيا للدعوة والإرشاد. ورسوماً أخرى يفرضونها على السماعين، أعني أتباعهم والمستجيبين لهم من المختلطين بالأسباب الدنيوية من التصديق بعشر الملك، وصوم سبع العمر، والاقتصار على امرأة واحدة، ومواساة الصديقين وإزاحة عنهم. وكانت ولادة ماني في بابل في قرية تدعى مردينو، وجاءه الوحي وهو ابن ثلاث عشرة سنة.

ولما ظهر كثر مصدقوه وأتباعه، وألف كتباً كثيرة كإنجيله، والشابرقان، وكنز الأحيان، وسفر الجبابرة، وسفر الأسفار، ومقالات كثيرة زعم فيها أنه بسط ما رمز به المسيح.

ولم يزل أمره يزداد أيام أريششير، وابنه شابور، وهرمز ابنه إلى أن ملك بهرام بن هرمز فطلبه حتى وجده وقال: إن هذا خرج داعياً إلى تخريب العالم، فالواجب أن نبدأ بتخريب نفسه قبل أن يتهياً له شيء من مراده. فالمشهور من حاله أنه قتله وسلخ جلده، وحشاه تبناً، وعلقه من باب مدينة جند يسابور، ويعرف إلى زماننا هذا بباب ماني، وقتل خلقاً ممن استجاب له، وبقي من مستجبيه بقايا منسوبة إليه، متفرقة الديار لا يكاد يجمعهم موضع واحد في بلاد الإسلام إلى الفرقة التي بسمرقند المعروفة بالصابئين. فأما خارج دار الإسلام فإن أكثر الأتراك الشرقية، وأهل الصين، والتبت، وبعض الهند على دينه ومذهبه، وهم في أمره على قولين: فرقة تقول إنه لم يكن لماني معجزة، وتحكي أنه أخبر بارتفاع الآيات عند مضي المسيح وأصحابه، وأخرى تزعم أنه كان ذا آيات ومعجزات، وأن سابور الملك آمن به حين رفعه مع نفسه إلى السماء ووقفاً بينها وبين الأرض في الهواء، وأراه بذلك الأعجوبة. قالوا وإنه كان يصعد من بين أصحابه إلى السماء فيمكث فيها أياماً ثم ينزل إليهم<sup>(١)</sup>».

وقد كان ظهور مرقبون نحو عام ١٤٢م، وظهور ابن ديسان نحو عام ١٧٢م. أما ماني فقد كان بدء دعوته نحو عام ٢٤٢م، وقتل حوالي ٢٧٣ أو ٢٧٤.

ولقد بدأت الثنوية تظهر غرباً في تعاليم الغنوصيين Gnostics (العارفين) الذين بلغت حركتهم درجة من الأهمية في أوائل القرن الثاني الميلادي، وبلغت أقصى قوتها في الربع الثالث من ذلك القرن، ثم أخذت بعد ذلك في الضعف، وقد قالت هذه الدعوة بعالم للخير وعالم للشر.

وتجلت الثنوية بحركة مرقيون، وكان هذا رجلاً غنياً يملك السفن. ولد وثنياً ونشأ نشأة وثنية، ثم اعتنق المسيحية، وذهب إلى روما عام ١٤٠م، وهناك حاول أن ينشر مذهبه الذي كان يتنافى مع تعاليم الكنيسة في روما، ولكنه لقي معارضة شديدة من جمهور المسيحيين، وفصل من الكنيسة، فأسس مذهباً جديداً

(١) البيروني: الآثار الباقية، ٢٠٧ - ٢٠٩.

نحو عام ١٤٤م، ونمت جماعته في السنوات العشرين التي تلت ذلك، وأسست كنائس تدين لها بالتبعية في شرق الإمبراطورية وغربها. وخلاصة دعوة مرقيون أنه جاء بثنوية تنافي المسيحية خلاصتها أن هناك إلهين: إلهاً صارماً يمثل القانون هو إله اليهود خالق الدنيا، وإلهاً للخير والمحبة هو إله يسوع المسيح، وهو أسمى من إله التوراة.

فهذا لون من الثنوية، ولكنها ليست مطابقة لثنوية الفُرس، وإن كان من الواضح تأثرها بها.

**ماني** : إن ماني هو أكثر الدعاة الدينيين إرساء لعقيدة الثنوية؛ فلننظر كيف يصور ابن النديم عقيدة ماني:

«قال ماني: مبدأ العالم كونان: أحدهما نور، والآخر ظلمة، كل واحد منهما منفصل من الآخر. فالنور هو العظيم الأول وليس بالعدد، وهو الإله ملك جنان النور، وله خمسة أعضاء: الحلم، والعلم، والعقل، والغيب، والفتنة، وخمسة آخر روحانية وهي: الحب، والإيمان، والوفاء، والمروءة، والحكمة. وزعم أنه بصفاته هذه أزلي ومعه شيان اثنان أزليان: أحدهما الجو، والآخر الأرض. قال ماني: وأعضاء الجو خمسة: الحلم، والعلم، والعقل، والغيب، والفتنة. وأعضاء الأرض: النسيم، والريح، والنور، والماء، والنار. والكون الآخر هو الظلمة، وأعضاؤها خمسة: الضباب، والحريق، والسموم، والسم، والظلمة. قال ماني: تلك الكون النير مجاور للكون المظلم لا حاجز بينهما. والنور يلقي الظلمة بصفحته، ولا نهاية للنور من علوه، ولا يمتته، ولا يسرته، ولا نهاية للظلمة في السفلى، ولا في اليمنة، ولا في اليسرة<sup>(١)</sup>».

ولقد قامت حرب بين كون النور وكون الظلمة، فامتزجت حبات من النور بحبات من الظلمة فتكون منها عالم الدنيا. «فخالط الدخان النسيم، فمنها هذا النسيم الممزوج، فما فيه من اللذة والترويح عن الأنفس وحياة الحيوان فمن النسيم، وما فيه من الهلاك والإيذاء فمن الدخان. وخالط الحريق النار فمنها هذه النار، فما فيها من الأحراق والهلاك والفساد فمن الحريق، وما فيها من الإضاءة

(١) الفهرست، ص ٣٢٩.

والإنارة، فمن النار. وخالط النور الظلمة، فمنها هذه الأجسام الكثيفة، مثل الذهب والفضة وأشباه ذلك، فما فيها من الصفاء، والحسن، والنظافة، والمنفعة فمن النور، وما فيها من الدرن، والكدر، والغلظ والقساوة فمن الظلمة. وخالط السموم الريح فمنها هذه الريح، فما فيها من المنفعة، واللذة فمن الريح، وما فيها من الكرب، والتعوير، والضرر فمن السموم. وخالط الضباب الماء فمنها هذا الماء، فما فيه من الصفاء، والعذوبة، والملاءمة للأنفس فمن الماء، وما فيه من التغريق، والتخنيق، والإهلاك، والثقل، والفساد فمن الضباب<sup>(١)</sup>».

ويصور الشهرستاني ثنوية ماني الصريحة بقوله:

«زعم أن العالم مصنوع مركب من أصلين قديمين: أحدهما نور، والآخر ظلمة، وأنهما أزليان لم يزاالا، ولن يزاالا، وأنكر وجود شيء إلا من أصل قديم، وزعم أنهما لم يزاالا قويين حساسين، داركين سميعين بصيرين، وهما – مع ذلك – في النفس، والصورة، والفعل، والتدبير متضادان، وفي الحيز متحاذيان، تحاذي الشخص والظل<sup>(٢)</sup>».

وتختلف المانوية عن الزردشتية في نظرتها إلى الحياة الإنسانية والسلوك الإنساني، وأهم وجوه هذا الخلاف بين المانوية والزردشتية ما يلي:

أولاً: أن ماني قد اعتبر المادة مصدر الشر، وبذلك أوصى بقتل رغبات الجسد؛ إذ إنه من أصل مادي، وبذلك كانت رغباته شرًا يجب القضاء عليه، ومن الخير للإنسان – في رأيه – أن يفر من العالم، وينقطع في مكان موحش لا تصله فيه الآلام أو المسرات، ولا تعكر صفوه فيه رغبات هذا العالم. أما الزردشتية الأصلية فهي تدعو إلى التحكم في رغبات الجسد وتنظيمها، لا كبتها والقضاء عليها. وقد شرع زردشت للروح والجسد معاً. فالمادة في نظر زردشت ليس من المحتم أن تكون شرًا، وحياة الجسد ليس معناها بالضرورة موت الروح.

(١) المصدر السابق، ٣٣٠.

(٢) الملل والنحل، ج ١، ص ٢٢٤.

**ثانياً :** اعتبر ماني الرهبة أعظم الفضائل، ودعا الصديقين من أتباعه إلى نبد الزواج، فهو في نظره يعوق الإنسان عن التوجه بكل كيانه إلى ربه.

إن الزواج يطيل عمر البشرية على هذه الأرض، وبذلك يؤخر من اليوم الذي يتحد فيه الروح الإنساني بربه. على أن ماني سمح بالزواج لعامة الناس الذين لا يستطيعون مقاومة رغباتهم، واعتبر ذلك شراً لا بد منه. وهذه التعاليم تناقض تعاليم زردشت تمام المناقضة، فالزردشتية لم تدع إلى الرهبة في يوم ما، وحتى الموابذة (رجال الدين الزردشتي) لم يدعوا إلى ذلك. أهورا مزدا – كما يقول زردشت – يفضل الرجل الذي يستمتع بحياة زوجية سعيدة على الرجل الذي يمارس الرهبة. الزواج واجب ديني وواجب اجتماعي يوصي به الدين وتوصي به الدولة. ومساعدة رجل مسكين على الزواج كان يعتبر عملاً من أكبر أعمال الإحسان. ويروي هيرودوت أن ملوك الفرس كانوا يكافئون من ينجبون أكثر من الأولاد.

**ثالثاً :** دعا ماني إلى الصوم عن الطعام، وحضاً عليه، على أنه وسيلة لغفران الذنوب، وروي أنه أمر أتباعه بصوم ربع العام، وطريقة الصوم – كما أمر بها ماني – طريقة مضنية حقاً؛ إذ يبقى الإنسان فيها بدون طعام نحو يومين كاملين. ولم تدع الزردشتية إلى الصوم، بل إن الزردشتية تعتبر الصوم ونظائره من أعمال الزهد ذنوباً، وترك الطعام عمداً احتقاراً لنعمة أهورا مزدا.

**رابعاً :** اعتبر ماني الفقر فضيلة، ودعا أتباعه إلى نبذ الممتلكات الدنيوية. فأما رجال الدين فقد دعاهم إلى الامتناع عن الحصول على أكثر من قوت يوم واحد، ولباس عام، فامتلاك متاع الدنيا يعتبر في نظر ماني استجابة للغرائز المنحطة في الإنسان. أما عند الزردشتيين فليس هناك مانع من أن يكون الإنسان غنياً، ولا عيب على الإنسان إذا جمع ثروة كبيرة، ولكنه يصبح مذنباً إذا أساء استخدام هذه الثروة، أو تركها تغطي على روحه، وتجعلها مسخرة للمادة، وحينذاك يكون الفقر خيراً منها.

لم يقدر للمانوية أن تعيش في إيران بعد قتل ماني، ولكنها انتشرت شرقاً وغرباً فانتقلت إلى الصين، ثم إلى ممتلكات الدولة البيزنطية في القرن الرابع

الميلادي، وقد تشبثت بالحياة في أوروبا خلال القرون الوسطى، وحاربتها المسيحية حتى قضت عليها. كذلك عادت المانوية للظهور بصور مختلفة في العالم الإسلامي بعد قيام الدولة العباسية، وكان لها نشاط قوي حاربته الدولة بلا هوادة حتى قضت عليه.

**مزدك :** ظهر مزدك بعد مالي بنحو ثلاثة قرون، وكان مذهباً في الثنوية شبيهاً إلى حد بعيد بمذهب ماني. يقول الشهرستاني: «حكى الوراق: إن قول المزدكية كقول كثير من المانوية: في الكونين والأصلين، إلا أن مزدك كان يقول: إن النور يفعل بالقصد والاختيار، والظلمة تفعل على الخبط والاتفاق. والنور عالم حساس، والظلام جاهل أعمى. وإن المزاج كان على الاتفاق والخبط، لا بالقصد والاختيار. وكذلك الخلاص إنما يقع بالاتفاق دون الاختيار<sup>(١)</sup>».

كان ظهور مزدك في زمن الملك الساساني قباد (٤٨٨ – ٥٣١)، وقد استطاع أن يحدث ثورة اجتماعية جارفة، بمبادئه الاجتماعية التي دعا إليها. وكانت هذه المبادئ تسعى إلى إقرار السلام والوئام في الدنيا، على حد زعمه.

يقول الشهرستاني: «وكان مزدك ينهى الناس عن المخالفة والمباغضة والقتال. ولما كان أكثر ذلك إنما يقع بسبب النساء والأموال؛ أحل النساء وأباح الأموال، وجعل الناس شركة فيها، كاشتراكهم في الماء، والنار، والكلأ<sup>(٢)</sup>».

اعتنق الملك قباد هذه المبادئ وأيدها، وقيل في تفسير ذلك: إنه أراد باعتناقها التخلص من سلطة النبلاء، ورجال الدين الزردشتي الذين قوي سلطانهم في زمنه، ولكن يظهر أن هذه الحركة – التي اعتنقها غوغاء الناس وعامتهم – قد أدت إلى انتشار الفوضى في البلاد، وانتهت الاضطرابات التي نتجت عنها بخلع الملك نفسه.

---

(١) الملل والنحل: ج ١، ص ٢٢٩.

(٢) الملل والنحل: ج ١، ص ٢٢٩.

يقول الطبري: «وإنه لما مضى لملك قباد عشر سنين اجتمعت كلمة موبدان موبد، والعظماء على إزالته عن ملكه، فأزالوه وحبسوه لمتابعته لرجل يقال له مزدك مع أصحاب له، قالوا إن الله إنما جعل الأرزاق في الأرض ليقسمها العباد بالتأسي، ولكن الناس تظالموا فيها، وزعموا أنهم يأخذون للفقراء من الأغنياء، ويردون من المكثرين على المقلين، وأنه من كان عنده فضل من الأموال والنساء والأمتعة فليس هو بأولى به من غيره. فافترص السفلة ذلك واغتموه، وكانفوا مزدك وأصحابه، وشايعوه، فابتلى الناس بهم وقوي أمرهم حتى كانوا يدخلون على الرجل في داره، فيغلبونه على منزله، ونسائه، وأمواله لا يستطيع الامتناع منهم».

ولكن الملك قباد استطاع أن يستعيد ملكه بمعاونة الهياطلة، وحين عاد إلى عرش إيران كان له موقف من المزدكية غير موقفه السابق، فقد دعا مزدك وأتباعه إلى الاجتماع بالقصر، وهناك وفقاً لتدبير ابنه الأمير أنوشروان نبخ مزدك وأتباعه في عام ٥٢٨ أو أوائل عام ٥٢٩. وحين تولى أنوشروان الملك بعد وفاة أبيه وإلى اضطهاد أتباع مزدك، ولكن – على الرغم من ذلك – عاشت المزدكية حركة سرية، وعادت إلى الحياة في صور مختلفة خلال العصر العباسي، وقد أحدثت كثيراً من الثورات والقلقل في أقاليم إيران، ومن أشهر هذه الثورات تلك التي عرفت بحركات الخرمية.

وقد اختلفت الآراء في تفسير المزدكية، فرأى البعض أنها كانت حركة اجتماعية أراد بها مزدك نشر الشيوعية بوصفها وسيلة لرفع أسباب النزاع والخلاف بين الناس، ويربطها البعض بحركة ماني التي ذكرناها. ومن أدلة الارتباط بين دعوتي ماني ومزدك ما سبق أن نقلناه عن الشهرستاني من تشابه بينهما في العقيدة الثنوية، وكذلك دعا مزدك إلى الزهد، وحث على الامتناع عن نبح الحيوان وأكل اللحم، وهذه كلها من صميم دعوة ماني، وتخالف بوضوح دعوة زردشت.



ولكن غرابة الدعوة الشيوعية على الناس في ذلك الحين، وما أحدثت من اضطراب وفوضى أنست المؤرخين كل ما عداها من تعاليم مزدك، فأبرزوها دون غيرها من تلك التعاليم.

لقد انتهت ثورة مزدك بانتصار الزردشتية، وعودة إيران إلى دينها القديم، في ظلال ملك قوي عادل هو كسرى أنوشروان.

## الفتح الإسلامي

تم للمسلمين فتح إيران عام ٦٥٢، فدخلت الزردشتية بعد ذلك الفتح في دور الاضمحلال والضعف. وإذا نظرنا اليوم إلى أتباع زردشت في العالم نجد أنهم لا يتجاوزون الآلاف، وهم يقيمون في بومباي بغرب الهند، ويعرفون بالپارسيين، كما توجد مجتمعات زردشتية صغيرة في مناطق محدودة من إيران، وبخاصة في يزد وكرمان، وقد يوجد عدد قليل منهم في طهران، وأصفهان، وشيراز.

ولم يكن اضمحلال الزردشتية على هذا النحو وليد قهر أو ضغط قام به العرب الفاتحون. فلقد عامل العرب مجوس إيران معاملة أهل الكتاب، وتركوا لهم حرية البقاء على دينهم، والاحتفاظ بهياكلهم، وممارسة طقوسهم وعباداتهم. وقد بقيت بيوت النيران منتشرة في إيران فترة طويلة بعد الفتح العربي، ووصفها مؤرخو القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي) كالمسعودي، والمقدسي.

وقد اختلف في تفسير الأساس الفقهي الذي بنيت عليه معاملة أتباع زردشت على هذا النحو من قبل الفاتحين العرب، فذهب بعض الفقهاء إلى أن المجوس أهل كتاب وممن أبدى في ذلك رأياً صريحاً ابن حزم صاحب الفصل في الملل والأديان والنحل. فقد ذكر أن المجوس (أتباع زردشت) أهل كتاب، ونقل القول بذلك عن علي بن أبي طالب، وحذيفة، وسعيد بن المسيب، وقتادة، وأبو ثور،

وجمهور أهل الظاهر<sup>(١)</sup>. وأشار ابن حزم إلى مواضع متعددة من كتبه الفقهية أبدى فيها هذا الرأي، ويختم حديثه عن زردشت وأتباعه كما يلي: «ويكفي من ذلك صحة أخذ رسول الله ﷺ الجزية منهم، وقد حرم الله عز وجل في نص القرآن في آخر سورة نزلت منه، وهي براءة، أخذ الجزية إلا من كتابي<sup>(٢)</sup>».

واكتفى الشهرستاني صاحب الملل والنحل بوصف المجوس بأنهم قوم لهم شبهة كتاب؛ أي أنهم كانوا يتبعون كتاباً أصابه التحريف والخرم.

وإذا تركنا ميدان البحث الفقهي لننظر في الواقع التاريخي، نجد التاريخ لم يسجل في أي من الفتوحات العربية أن المسلمين فرضوا دينهم بالقوة على شعب من الشعوب التي دخلوا بلادها، مهما كانت عقيدة هذا الشعب. وجميع هذه الشعوب قد استمتعت بسماحة الحكم العربي، وتحولت كثرتها إلى الإسلام بمحض إرادتها، ولم تمارس الحكومات الإسلامية ضغطاً على أتباع المذاهب المخالفة إلا حين شكل هؤلاء حركات سرية أو ثورات عاتية كانت تهدف إلى قلب الحكومة الإسلامية، كما فعل الزنادقة والخرمية في العصر العباسي.

---

(١) الفصل، ج ١ ص ١١٤.

(٢) المصدر السابق.



# ترجمة النصوص

## تمهيد

تقدم الصفحات التالية ترجمة للنصوص الفارسية، وقد أشير إلى هذه النصوص في الترجمة بأرقام الصفحات التي وردت فيها.

وقد روعي في الترجمة أن تكون قريبة من الأصل بقدر المستطاع، إلا حين دعت الضرورة اللغوية إلى شيء من الابتعاد عنه ؛ من أجل إيضاح المعنى باللغة العربية.



# ترجمة النصوص

## « حديقة الورد » لسعدي

### الباب الأول

#### في سيرة الملوك

#### حكاية

سمعت أن ملكاً أمر بقتل أسير، فأخذ المسكين – في حالة اليأس – يسبُّ الملك، ويقول سقط القول. فقد قيل: «كل من نفض يده من حياته يبوح بكل ما في قلبه في وقت الشدة حينما لا يبقى مهرب، تمسك اليد بقبضة السيف القاطع».

إذا ينس الإنسان طال لسانه كسنور مغلوب يصول على الكلب

فسأل الملك: ماذا يقول ؟ فأجاب أحد الوزراء – وكان طيب المحضر: أيها الملك! إنه يقول : «والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس»، فشعر الملك بالرحمة، وعفا عن دمه، فقال وزير آخر، كان ضداً لهذا الوزير: لا يليق بأبناء جنسنا أن يتكلموا إلا بالصدق أمام الملوك. إنَّ هذا قد سبَّ الملك، وقال ما لا يليق، فقطب الملك وجهه من هذا الكلام وقال: إن كذبه ذلك قد جاء عندي أحسن موقعاً من هذا الصدق الذي قلته، فذلك كان له وجه في المصلحة، وأما هذا فمبني على الخبث، ولقد قال الحكماء: «كذب ممزوج بالمصلحة، خير من صدق يثير الفتنة».

كل من يعمل الملك بمقتضى قوله، يكون من الحيف أن يتكلم بسوى الخير.

وكان مكتوباً فوق شرفة إيران أفريدون:

الدنيا – يا أخي – لا تبقى لإنسان، فاربط قلبك بخالق الدنيا، وكفى.

ولا تركز إلى ملك الدنيا ومظاهرتها إياك، فلقد ربّت كثيراً من أمثالك ثم قتلّتهم.

فالروح الطاهر، حين يعتزم الذهاب، يتساوى الموت فوق التخت، والموت على وجه الثرى.

### حكاية

رأى واحد من ملوك خراسان السلطان محمود بن سبكتكين في المنام: أن كل وجوده كان قد انحل، وصار تراباً، ما عدا عينيه فكانتا لا تزالان تدوران في محجريهما، وتنتظران. وقد عجز سائر الحكماء عن تأويل هذه الرؤيا، لكن درويشاً أدرك معناها، وقال: «هو ناظر الآن لأن ملكه مع الآخرين».

كم من مشهور قد دُفن تحت الثرى، ولم يبق من وجوده أثر على وجه الأرض.

وذلك الشيخ الفاني الذي أودعوه تحت التراب، قد التهمه التراب، حتى لم تبق منه عظام.

واسم أنوشروان الطيب حي بالعدل، مع أنه قد مضى وقت طويل منذ موت أنوشروان.

فاعمل الخير – يا فلان – وعدّ العمر غنيمة، قبل أن يهتف المنادي: «لقد ولى فلان<sup>(١)</sup>».

---

(١) اعمل الخير قبل أن تفارق هذه الدنيا.

## حكاية

سمعت أن ابن ملك كان قصير القد حقيراً، وأما إخوته الآخرون فكانوا طوالاً، ملاح الوجه. وذات مرة كان أبوه ينظر إليه بكراهية واحتقار. ففهم الولد بفراسته واستبصاره، وقال: أي أبي ! قصير عاقل خير من طويل جاهل. فكلما كان أكبر قامته ليس هو الأكثر قيمة، فالشاة نظيفة، والفيل جيفة.

أقل جبال الأرض طور وإنه لأعظم عند الله قدراً ومنزلاً

أسمعت ذلك الذي قاله نحيف عاقل لأبله سمين ؟

إن الحصان العربي، وإن كان ضعيفاً، فهو هكذا خير من حظيرة حمير<sup>(١)</sup>. فضحك الأب، وأعجب (القول) أركان الدولة، وتألمت نفوس الإخوة.

ما لم يكن المرء قد نطق بقول، يبقى عيبه وفضله طي الخفاء.

فلا تحسبن الغابة كلها أغصاناً<sup>(٢)</sup>، فلعن النمر يكون نائماً فيها.

سمعت أن الملك - قرب ذلك (الوقت) - ظهر له عدو صعب المواجهة، وحينما التقى الجيشان من كلا الجانبين كان ذلك الغلام أول من أجرى جواده إلى الميدان، وقال:

أنا لست ذلك الذي ترى ظهره يوم الميدان

بل أنا من تراه رأساً (شامخاً) بين التراب والدم.

فإن ذلك الذي يقوم بالحرب يقامر بدمه يوم الوغى، وأما من يهرب فهو يقامر بدم الجيش.

قال هذا، وهجم على جيش العدو، وأسقط عدداً من الرجال المجريين، وحين عاد للمثول أمام أبيه قبل أرض الخدمة، وقال:

---

(١) يعني أن الحصان العربي خير من حظيرة ملأى بالحمير.  
(٢) في رواية أخرى وردت: «كه خال ليست» بدلاً من «نهالي»، فيكون المعنى: «فلا تحسبن كل غابة خالية...».



يا من بدا لك شخصي حقيراً ! حتى لا تظن أن الغلظ فضل،

(فاعلم) أن الحصان الضامر القَد ينفع يوم القتال، وليس الثور الجسيم.

رُوي أن جيش العدو كان كبير العدد، وأما هؤلاء فكانوا قِلّة، فقصد جماعة إلى الفرار، فصرخ الغلام وقال: أيها الرجال ! كافحوا حتى لا تلبسوا ثياب النساء.

فازدادت شجاعة الفرسان بقوله، وحملوا حمل رجل واحد، وسمعت أنهم ظفروا على العدو في ذلك اليوم أيضاً، فقَبِلَ الملك رأسه وعينه، وضمه إليه، وكان كل يوم يزداد تقديراً له حتى جعله وليّ عهده؛ فحسده إخوته، وفسدوا له السم في طعامه، ورأتهم أخته من الغرفة، فضربت النافذة، ففهم الغلام، ورفع يده من الطعام، وقال: محال أن يموت الفضلاء ويحتل مكانهم من خلوا من الفضل.

ليس أحد قط يلتجئ إلى ظل البوم حتى ولو صار طائر السعد<sup>(١)</sup> معدوماً من الدنيا !

ولقد أحيط الأب علماً بهذه الحال، فدعا إخوة الغلام، وعنفهم كما كان يجب، وعين لكل منهم حصّة في أطراف البلاد، حتى هدأت الفتنة وارتفع النزاع؛ ذلك لأن عشرة دراويش ينامون فوق بساط واحد، أما الملكان فليس يسعهما إقليم.

لو أن رجل الله أكل نصف رغيف، فإنه يبذل للدراويش نصفه الآخر.

والملك يستولي على مُلك إقليم، وإذا به هكذا أسير (الحرص) على إقليم آخر.

---

(١) «هما» أو «هماي» طائر خرافي يرمز للسعد.

## حكاية

كان طائفة من لصوص العرب استقروا<sup>(١)</sup> فوق أحد الجبال، وستوا طريق القوافل، وكان رعية البلدان في رعب من مكائدهم، وكان عسكر السلطان مغلوبين، بحكم أنهم كانوا قد احتلوا من قلة الجبل ملاذاً منيعاً جعلوه ملجأهم ومأواهم. فتشاور مدبرو ممالك تلك المنطقة في دفع مضرتهم، فإن هذه الطائفة لو استمرت زمناً (طويلاً) على هذا النحو لصارت مقاومتها مستحيلة.

إن الشجرة التي نبتت حديثاً يمكن اقتلاعها من مكانها بقوة شخص واحد.

ولكنها لو تركت هكذا فترة من الزمان، فلن تستطيع اقتلاعها من أصلها بالمنجل!

ورأس العين يمكن أن يسد بالمجرفة، لكنها إذا امتلأت بالماء لا يمكن عبورها (على ظهر) فيل.

فاستقر القول على هذا: أن يرسلوا شخصاً للتجسس عليهم، وترقبوا الفرصة حتى حان وقت كانوا قد أغاروا فيه على قوم وبقي مكانهم خالياً، فأرسلوا بعض الرجال الذين شهدوا الوقائع وجربوا الحروب، فاخفقوا في شعب الجبل. وفي المساء حين عاد اللصوص وقد سافروا وأغاروا، حلوا السلاح عن أجسادهم، ووضعوا متاع الغنيمة. وكان النوم أول عدو سارع إلى رعوسهم، وهكذا مضى قسم من الليل.

وغاب قرص الشمس في الظلام، كما غاب يونس في فم الحوت.

فقفز الرجال الشجعان من الكمين، وربطوا يد كل واحد منهم بكتفه، وفي الصباح أحضروهم إلى بلاط الملك فأمر بقتلهم جميعاً. وإذا بشاب في وسطهم كانت فاكهة عنقوان شبابه حديثة النضج، وخضرة بستان عذاره جديدة النمو.

---

(١) حرفياً: جلسوا.

فَقَبِلَ أَحَدُ الْوُزَرَاءِ قَدَمَ تَحْتَ الْمَلِكِ، وَوَضَعَ وَجْهَ الشَّفَاعَةِ عَلَى التُّرَابِ، وَقَالَ:  
إِنَّ هَذَا الْفَتَى لَمْ يَأْكُلْ بَعْدَ ثَمَرَةٍ مِنْ بَسْتَانِ الْحَيَاةِ، وَلَمْ يَتَمَتَّعْ بِرِيعَانِ الشَّبَابِ.  
فَالْمَأْمُولُ مِنْ كَرَمِ الْمَلِكِ وَأَخْلَاقِهِ أَنْ يَمُنَّ عَلَى عَبْدِهِ بِالصَّفْحِ عَنْ دَمِهِ، فَعَبَسَ  
وَجْهَ الْمَلِكِ مِنْ هَذَا الْكَلَامِ، وَلَمْ يُوَافِقْ رَأْيَهُ الْعَالِي، وَقَالَ:

إِنْ كُلُّ مَنْ كَانَ أَساسُهُ فَاسِدًا لَا يَقْبَلُ نُورَ الطَّيِّبِينَ.

وَتَرْبِيَةٌ مَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلًا شَبِيهَةً بِوَضْعِ الْجُوزِ فَوْقَ قُبَّةٍ.

فَالْأُولَى أَنْ يَقْطَعَ نَسْلَهُمُ الْفَاسِدِ، وَأَنْ تَقْتُلَعَ جُذُورُ شَأْقَتِهِمْ، فَإِنْ إِطْفَاءُ النَّارِ،  
وَتَرْكُ الْحَمْرِ، وَقَتْلُ الْأَفْعَى، وَرِعَايَةُ وَلَدِهَا لَيْسَ مِنْ عَمَلِ الْعُقَلَاءِ.

لَوْ أَنَّ السَّحْبَ تَمَطَّرَ مَاءَ الْحَيَاةِ، فَإِنَّكَ لَنْ تَأْكُلَ مِنْ شَجَرِ الصَّفْصَافِ ثَمَرًا.

فَلَا تَضِعِ الْوَقْتَ مَعَ وَضِيعِ الْأَصْلِ، فَإِنَّكَ لَنْ تَأْكُلَ السَّكْرَ مِنْ قَصَبِ الْحَصِيرِ.

وَسَمِعَ الْوَزِيرُ هَذَا الْكَلَامَ فَأَعْجَبَ بِهِ طَوْعًا وَكَرْهًا، وَأَثْنَى عَلَى حَسَنِ رَأْيِ  
الْمَلِكِ، وَقَالَ: إِنَّ الَّذِي قَالَهُ الْمَلِكُ – دَامَ مُلْكُهُ – عَيْنُ الْحَقِيقَةِ، فَلَوْ كَانَ قَدْ تَرْبَى  
فِي صَحْبَةِ الْأَشْرَارِ، لَأَخَذَ طَبِيعَتَهُمْ، وَصَارَ وَاحِدًا مِنْهُمْ، وَلَكِنَّ الْعَبْدَ مُؤْمِلٌ أَنَّهُ  
يَقْبَلُ التَّرْبِيَةَ بِعَشْرَةِ الصَّالِحِينَ، وَيَقْتَبِسُ خُلُقَ الْعُقَلَاءِ، وَإِنَّهُ لَا يَزَالُ بَعْدَ طِفْلًا،  
وَلَمْ تَتِمَّكَنْ مِنْ طَبِيعَتِهِ سِيرَةُ الْبَغْيِ وَالْعِنَادِ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهَا تِلْكَ الْجَمَاعَةُ. وَفِي  
الْحَدِيثِ: «مَا مِنْ مَوْلُودٍ يُولَدُ إِلَّا وَقَدْ يُولَدُ عَلَى الْفَطْرَةِ، ثُمَّ أَبَوَاهُ يَهُودَانِهِ أَوْ  
يَنْصَرَانِهِ أَوْ يَمَجَّسَانِهِ».

إِنَّ زَوْجَةَ لُوطَ عَاشَرَتْ الْأَشْرَارَ، فَضَاعَ بَيْتُ نَبَوِّتِهِ (مِنْ جَرَاءِ ذَلِكَ).

وَكُلُّ أَصْحَابِ الْكَهْفِ اقْتَفَى أَثَرَ الصَّالِحِينَ بِضَعَةِ أَيَّامٍ، فَصَارَ كَالْبَشَرِ.

قَالَ هَذَا، وَصَحْبُهُ فِي الشَّفَاعَةِ طَائِفَةٌ مِنْ نَدَمَاءِ الْمَلِكِ، حَتَّى عَفَا الْمَلِكُ عَنْ  
دَمِهِ وَقَالَ: وَهَبْتُكُمْ (إِيَّاهُ) وَإِنْ كُنْتُ لَمْ أَرَ الْمَصْلَحَةَ (فِي ذَلِكَ).

أتعلم ماذا قال «زال»<sup>(١)</sup> «لرستم»<sup>(٢)</sup> البطل ؟

إنه ليس من الممكن عدّ العدو حقيراً مسكيناً. فكثيراً ما رأينا الماء يتدفق من فوهة عين صغيرة، فإذا ما ازداد تدفقاً جرف الجمل بما حمل.

وفي الجملة رُبي الغلام في الدلال والنعيم، ونصب لتربيته أستاذ أديب، فعلمه حسن الخطاب وردّ الجواب، وسائر آداب خدمة الملوك، بصورة جعلته موضع الإعجاب في نظر الآخرين. وذات مرة كان الوزير يتحدث بطرف من شمائله في حضرة الملك، قائلاً: إن تربية العقلاء قد أثرت فيه، وأن الجهل القديم قد فارق جبلته، فعلت وجه الملك ابتسامة، وقال:

إن عاقبة ابن الذنب أن يكون نثباً ولو (تربى) وكبر مع الإنسان.

ومضى على ذلك عامان، فاتصل به طائفة من أوباش المحلة، وارتبطوا به، وحين حانت الفرصة قتل الوزير وابنيه، وسلب مالا لا حصر له، وجلس في مغارة اللصوص في مكان أبيه، وصار عاصياً، فأخذ الملك يعض يد الحيرة بأسنانه، وقال:

كيف يصنع المرء سيفاً جيداً من الحديد الرديء؟

إن من ليس بإنسان لا يصير بالتربية إنساناً، أيها الحكيم !

فالسحب – التي لا خلاف في لطافة طبعها – تنبت الشقيق في البستان، وتنبت العشب في الأرض المِلْحَة.

إن الأرض المِلْحَة لا تنبت السنبُل، فلا تُضَيِّع البذور والجهد فيها.

وإن عمل الخير مع الأشرار لهو شبيه باقتراف الشر إزاء الرجال الأخيار.

---

(١) زال هو أحد أبطال الأساطير الإيرانية.

(٢) رستم أعظم أبطال الأساطير الإيرانية، وهو ابن زال.

## حكاية

رأيت ابن حارس على باب سراي أغلمش<sup>(١)</sup>، وكان ذا عقل، وكياسة، وفهم، وفراصة تفوق الوصف، وكانت آثار الكبر أيضاً بادية في ناصيته من عهد الصغر.

لقد كان نجم الرفعة يضيء — من الحكمة — فوق رأسه.

وفي الجملة لقي القبول<sup>(٢)</sup> في نظر السلطان، فإنه كان يملك جمال الصورة وكمال المعنى، وقد قال الحكماء: القدرة تكون بالفضل، وليست بالمال، والكبر يكون بالعقل لا بالسنين. فحمل أبناء جنسه له الحسد، واتهموه بالخيانة، وسعوا إلى قتله بدون جدوى، وماذا يفعل العدو حينما يكون الصديق محباً.

وسأل الملك : ما الموجب لخصومتهم لك ؟

فقال : في ظل دولة المليك — دام ملكه — أرضيت الجميع إلا الحسود الذي لا يصبح راضياً إلا بزوال نعمتي، وليبق سعد المليك ودولته !

إنني أستطيع ألا أؤذي قلب إنسان، ولكن ماذا أصنع للحسود، وهو من نفسه في عناء ؟!

فلتمت حتى تستريح<sup>(٣)</sup> أيها الحسود، فإن ألمك هذا لا خلاص من مشقته إلا بالموت !

إن أصحاب الطالع النحس يطلبون — في أمانتهم — للمجدودين زوال النعمة والجاه.

فلو أن عين الخفاش لم تر في (وضح) النهار، فما ننب عين الشمس ؟

أتريد الصديق؟ إنه لأفضل أن تكون ألف عين مثل هذه عمياء من أن تكون الشمس سوداء .

---

(١) كان من حكام تركستان في القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي).

(٢) حرفياً : جاء مقبولا .

(٣) حرفياً : حتى تخلص.

## حكاية

يحكى أن ملكاً من ملوك العجم كان قد مد يد التطاول إلى مال الرعية، وبدأ الجور والأذى إلى الحد الذي جعل الخلق يهيمون<sup>(١)</sup> في الدنيا من مكائد ظلمه، ويأخذون طريق الغربية من كربة جوره، وحين قلت الرعية، تقبل ارتفاع الولاية النقصان، وبقيت الخزينة خالية، وقوي الأعداء.

كل من يريد مغيثاً في يوم المصيبة، قل له: اجتهد بالكرم في أيام السلامة.  
إن العبد الرقيق<sup>(٢)</sup> يفر منك إن لم تدله. فاصنع اللطف يغد الحر<sup>(٣)</sup> عبداً لك.  
وذات مرة كانوا يقرءون في مجلسه كتاب الشاهنامه، في زوال مملكة الضحاك<sup>(٤)</sup> وعهد فريدون<sup>(٥)</sup>، فسأل الوزير الملك :

هل يمكن أن يُعلم كيف استقر الملك لفريدون الذي لم يملك كنزاً، ولا ملكاً ولا حشماً، فقال: مثلما سمعت. لقد تجمع حوله قوم متعصبون له، وقووه، فوجد الملك. قال (الوزير): أيها الملك: ما دام اجتماع الخلق موجب الملك، فلماذا تشئت أنت الخلق ؟ لعلك لا تملك سر الملك !

إنه لخير لك حقاً أن تقوي روح الجيش من أن تكون سلطاناً يفرض رئاسته على الجيش.

فقال الملك : فماذا يوجب التفاف الجيش والرعية ؟ فقال : يجب على الملك الكرم حتى يلتفوا حوله، والرحمة حتى يقيموا أمنين في ظل دولته، وكلتا هاتين (الصفتين) ليستا لك.

- 
- (١) حرفياً : يذهبون .  
(٢) حرفياً : العبد الذي في أذنه حلقة.  
(٣) حرفياً : الغريب .  
(٤) ملك من ملوك الفرس الأسطوريين، وكان يمثل حكم الظلم والطغيان.  
(٥) أفريدون أو فريدون هو الملك الذي خلص العالم من ظلم الضحاك كما تسروي الأساطير الإيرانية.

إن السلطان لا يتخذ الجور حرفة، فالذنب لا يجيء راعياً.

والملك الذي أرسى أساس الظلم ، فهو (بذلك) قد اقتلع جدار ملكه.

ولم تجئ نصيحة الوزير الناصح موافقة لرأي الملك، فاكفهر وجهه من جراء هذا الكلام، وأرسل الوزير إلى السجن، ولم يمض على ذلك وقت طويل حتى قام بنو أعمام الملك منازعين، وجهزوا جيشاً للمقاومة، وطلبوا ملك أبيهم.

أما القوم الذين كانت تزهق أرواحهم يد تطاوله، وأصبحوا مشتتين، فقد تجمعوا حولهم وقووهم، حتى خرج الملك من تصرف هذا (الملك)، واستقر لهؤلاء.

إن الملك الذي يجيز (إيقاع) الظلم على من يخضعون لحكمه <sup>(١)</sup> يغدو صديقه عدواً مريراً له، في يوم الشدة.

فكن على وفاق مع الرعية، واجلس آمناً من حرب الخصوم؛ ذلك لأن الرعية تكون جيشاً للملك العادل.

## حكاية

ركب <sup>(٢)</sup> ملك في سفينة مع غلام عجمي.

ولم يكن الغلام قد رأى البحر قط ولا جرب محنة السفينة، فشرع في البكاء والعويل، واستولى على بدنه الارتعاش <sup>(٣)</sup>. ومهما لاطفوه فإنه لم يهدأ، فأصبح عيش الملك منغصاً من جرائه، ولم يعلموا حيلة، وكان في تلك السفينة حكيم، فقال للملك: لو تأمرني فإنني أسكته بإحدى الطرق.

فقال (الملك): إن هذا يكون غاية اللطف والكرم، فأمر (الحكيم) بأن يُرمى الغلام في البحر، فغاص في الماء بضع مرات، ثم أمسكوا بشعره وجذبوه نحو

---

(١) حرفياً : على من تحت يديه.

(٢) جلس .

(٣) حرفياً : ووقع في قامته الارتعاش .

السفينة، فتعلق بسكان السفينة بكلتا يديه، وحين صعد إليها جلس في زاوية، وهذا. فعجب الملك (قائلاً) : أية حكمة كانت في هذا! فقال (الحكيم) : إنه لم يكن قد تنوق محنة الغرق في أول الأمر، ولم يعرف قدر سلامة السفينة، وهكذا يعلم المرء قدر العاقبة حينما يغدو أسير مصيبة.

أيها البشم ! إن خبز الشعير لا يبدو لك طيباً، فمعشوقي أنا هو ذلك الذي يبدو لك قبيحاً !

إن الأعراف تكون جحيماً بالنسبة لحوار الجنان، وسل أهل الجحيم. إن الأعراف (عندهم) جنة !

فهناك فرق بين من حبيبه على صدره، ومن عينا انتظاره على الباب.

## حكاية

قيل لهرمز : أي خطأ رأيت لوزراء أبيك حتى أمرت بحبسهم ؟ فقال: لم أعلم بخطأ (لهم) ، ولكني رأيت أن مهابتي في قلوبهم لا حد لها، وأنهم لا يعتمدون على عهدي كل الاعتماد، فخشيت أن يقصدوا هلاكي؛ لخوفهم من أن يصيبهم أذى، فعملت بقول الحكماء الذين قالوا:

خف – أيها الحكيم – من ذلك الذي يخاف منك، وإن كنت تنهض لمائة مثله في الحرب.

ألا ترى أن القطة حين تصير عاجزة ، وتقتلع بمخالبها عين النمر ؟ وكذلك تلدغ الحية قدم الراعي؛ لأنها تخاف أن يدق رأسها بحجر.

## حكاية

كان أحد ملوك العرب مريضاً في حالة الشيخوخة، وقطع الأمل من الحياة، وإذا بفارس دخل من الباب، وبشره قائلاً : «لقد فتحنا القلعة الفلانية لدولة



المليك، ووقع الأعداء أسرى، وأصبح جيش هذه الجهة ورعتها جميعاً مطيعين  
لأمرك، ف جذب الملك نفساً بارداً وقال : إن هذه البشرى ليست لي، إنها لأعدائي،  
يعني وارثي المملكة.

وأسفاه ! لقد انتهى العمر العزيز على هذا الأمل : أن ذلك الذي في قلبي يُقبل  
إلى بابي.

لقد أقبل الأمل العصي، ولكن أية فائدة لذلك، وليس هناك أمل أن يعود العمل  
المنقضي ؟!

لقد دقت يد الأجل طبل الرحيل، فيا أيتها العينان، ودّعا الرأس.

ويا كف اليد، ويا ساعدي وذراعي، ليودّع كل منكم الآخر.

لقد حلت<sup>(١)</sup> بي رغاب العدو آخر (الأمر) فانصرفوا أيها الأحباب.

إن زماني قد انقضى في الجهل، ولم أحاذر، فكونوا أنتم على حذر.

## حكاية

كنتُ معتكفاً في جامع دمشق على وسادة تربة النبي يحيى عليه السلام، فإذا  
بواحد من ملوك العرب – كان معروفاً بالجور – وقد أقبل للزيارة اتفاقاً، وصلى  
ودعاً، وسأل حاجته.

إن (كلاً) من الدراويش والغني عبد لهذا التراب، وهؤلاء الذين ازدادوا غنى  
هم أكثر حاجة.

حينذاك قال لي : من هناك – حيث همّة الدراويش، وصدق معاملتهم –  
اجعل خاطرك رفيقي<sup>(٢)</sup>، فأبني خائف من عدو قوي، فقلت له: كن رحيماً  
بالرعية الضعفاء؛ حتى لا ترى المشقة من العدو القوي.

---

(١) حرفياً : وقعت علي .

(٢) يلتبس من الدراويش الدعاء ليتنصر على عدوه .

إن من الخطأ أن تكسر قبضة المسكين الضعيف بساعدك القادرتين، وقوة قبضتك.

ألا يخاف من لا يتكرم على الطريحين أنه لو خرَّ طريحاً لا يأخذ بيده إنسان؟

فكل من غرس بذور الشر وتوقع الخير، فقد أنضج دماغاً ضالاً، وعقد خيلاً باطلاً !

فأخرج من أذنك القطن، واعدل بين الخلق.

وإن أنت لم تعدل فهناك يوم للعدالة<sup>(١)</sup>.

بنو آدم أعضاء جسد واحد، وهم في الخلقة من جوهر واحد .

فلو أن الزمان أصاب بالألم عضواً، فإن الأعضاء الأخرى لا يبقى لها قرار<sup>(٢)</sup>

فيا من لا تحزن لمحنة الآخرين ! إنه لا يجوز أن يطلق عليك اسم الأدي.

## حكاية

ظهر درويش مستجاب الدعوة في بغداد<sup>(٣)</sup>، فأخبر بذلك الحجاج ابن يوسف، فدعاه وقال (له) : ادع لي بالخير. فقال : اللهم خذ روحه ! فقال (الحجاج) : بحق الله، أي دعاء هذا ؟ فقال (الدرويش) : إنه دعاء خير لك ولجميع المسلمين !

يا صاحب اليد العليا الذي يوقع الأذى بمن تحت يديه، إلى متى ستبقى هذه السوق حامية ؟

---

(١) يقصد يوم البعث .

(٢) يعني : لا تهدأ .

(٣) في النص خطأ تاريخي واضح، فبغداد لم تكن قد بنيت في زمن الحجاج بن يوسف الذي كان من ولاية العراق في العصر الأموي.

وبأية فائدة يعود عليك امتلاك الدنيا ؟

إن موتك لخير من إيدائك الناس.

## حكاية

سأل أحد الملوك الظالمين درويشاً : «أي العبادات أفضل ؟»، فقال :  
(أفضلها بالنسبة) لك نوم منتصف النهار ؛ حتى لا تؤذي الخلق في هذه البرهة.  
لقد رأيت ظالماً نائماً في منتصف النهار، فقلت : هذه فتنة، ومن الخير أن  
النوم استولى عليها.

فذلك الذي يكون نومه خيراً من يقظته، فالموت خير له من مثل هذه الحياة  
القيحة !

## حكاية

سمعت أن أحد الملوك وصل الليل بالنهار في مجلس الشراب، وكان يقول  
في أعقاب السكر :  
ليس لنا في الدنيا من هذه اللحظة! فقد خلونا من هم التفكير في خير أو في شرّ  
أو بإنسان.

فقال درويش \_ كان ينام في الخارج عاري الجسد تحت البرد :  
يا من ليس لك في العالم نظير (يضارعك) في (العز) وإقبال (الدنيا).  
لنفترض أنك لا همّ لك، فهل نحن أيضاً بدون همّ ؟  
فراق (قوله) الملك، وأخرج من النافذة صرة بها ألف دينار، وقال: «أمسك  
بحجر<sup>(١)</sup> أيها الدرويش !»  
فقال الدرويش: «ومن أين أمسك بحجري وأنا لا أملك ثوباً ؟».

---

(١) الحجر : هو ما بين يدي الإنسان من ثوبه.

فازداد رثاء الملك لضعف حاله، وزاد على ذلك (العطاء) حلة، وأرسله إليه.  
فأكل الدرويش هذا المال في زمن قليل وبدده، ثم عاد.

إن المال لا يقرّ له قرار على كف الأحرار. وهكذا الصبر في قلب العاشق،  
والماء في الغربال.

فأخبر الملك بتلك الحال في وقت لم تكن له فيه عناية بالدرويش، فاغتم  
واكفر وجهه، ومن هنا قال أصحاب الفطنة والخبرة: إنه يجب الحذر من حدة  
الملوك وسورة (غضبهم)، فإن غالب همّهم ينصرف إلى أمور المملكة، ولا  
يتحملون مضايقة العوام.

إن إنعام الملك يكون حراماً على من لا يترقب وقت الفرصة.  
فإن كنت لا ترى مجال القول منفسحاً أمامك، فاربأ بقدرك<sup>(١)</sup> عن قول  
الهراء.

قال (الملك): اطرّدوا ذلك الشحاذ الوقح المبذر الذي بدد كل هذا المال في  
مثل هذه المدة، فخرانة بيت المال رزق للمساكين، وليست طعمة لإخوان  
الشياطين<sup>(٢)</sup>.

إن الأبله الذي يوقد شمع الكافور في النهار المشرق، سرعان ما ترى أنه لا  
يملك زيتاً لسراجه في الليل (المظلم).

وقال أحد الوزراء الناصحين: «أيها الملك! إنني أرى المصلحة في أن  
يُجرى رزق الكفاف على أمثال هذا الشخص قليلاً قليلاً؛ حتى لا يسرفوا في  
الإنفاق.

أما ما تفضلت به من الزجر والمنع فليس مناسباً لسيرة أرباب الهمة أن  
يُجعل إنسان باللفظ مؤملاً، ثم يُدفع باليأس إلى الألم.

---

(١) حرفياً: فلا تحمل قدرك على...

(٢) يقصد المبذرين: قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ﴾.

إنك تستطيع أن تفتح<sup>(١)</sup> بوجهك باب الإطماع، فإذا ما صار مُشرعاً، فإنك لا  
تقدر على إغلاقه بعنف.

ليس أحد يرى أن ظمأى الحجاز يتجمعون على شاطئ ماؤه ملح.  
وحيثما توجد عين ماؤها عذب يجتمع حولها الناس، والطير، والنمل.

## حكاية

كان أحد الملوك السابقين يترأخى في رعاية المملكة، ويأخذ الجيش بالشدة،  
فلا جرم أن عدواً صعب المراس<sup>(٢)</sup> ظهر له، فولى الجميع ظهورهم. فحينما  
يُضن على الجيش بالمال، فإن جنوده يضمنون بمد الأيدي إلى السيوف<sup>(٣)</sup>.

وكانت تربطني صداقة بأحد هؤلاء الذين غدروا، فلمته، وقلت : «إن من  
يتحول عن مخدمه القديم، ويتنكر<sup>(٤)</sup> لحقوق نعمته عليه خلال السنين، من جراء  
قليل من تغير الحال، لهو لنيم خسيس، وسافل غير عارف بالحق<sup>(٥)</sup>».

فقال: «لو أنك تعذرني بكرمك، فلعل حصاني كان في هذه الواقعة بدون  
شعير، ولبد السرج كان مرهوناً ! والسلطان الذي يبخل على الجيش بالذهب،  
فلن يستطيع الجيش أن يجود عليه بالروح.

جُد بالذهب على رجل الجيش حتى يقدم رأسه، وإن أنت لم تعطه الذهب شرد  
برأسه في الدنيا.

إذا شبع الكمي يصول بطشاً وخاوي البطن يبطش بالفرار

---

(١) اقرأ «بتوان» بدلاً من «نتوان».

(٢) حرفياً : صعب الوجه .

(٣) حرفياً : فإنه يضمن بحمل السيوف باليد .

(٤) حرفياً : ويطوي حقوق ...

(٥) يعني : «بغير العارف بالحق» منكر الجميل.

## حكاية

عُزل أحد الوزراء، فدخل في حلقة الدراويش. ولقد أثرت فيه بركة صحبتهم، ووهبته هدوء البال. ورضي الملك عن الوزير مرة ثانية، وأمره بالعمل، فلم يقبل، وقال : «الاعتزال خير من العمل».

هؤلاء الذين جلسوا في زاوية العافية كمثوا <sup>(١)</sup> أنياب الكلب، وأغلقوا أفواه الناس.

لقد مزقوا الأوراق، وحطموا الأقلام، وخلصوا من طائفة لسان المتقولين. فقال الملك: «ولا شك أنه لا بد لنا من عاقل كفاء يليق بتدبير المملكة». فقال (الوزير المعزول) : أيها الملك، علامة العاقل الكافي هي تلك : ألا يسلم جسده لمثل هذه الأعمال.

إن «الهامي» قد شرف على كل الطيور؛ لأنه يأكل العظام، ولا يؤذي كائناً ذا روح.

قيل للعناق <sup>(٢)</sup> : «لأي وجه وقع اختيارك لملازمة الأسد؟»، فقال : «حتى أكل فضلة صيده، فأعيش في ظل صولته آمناً من شر الأعداء». فقيل له : «الآن وقد دخلت في ظل حمايته، واعترفت بشكر نعمته، فلماذا لا تزداد اقتراباً منه، حتى يدخلك في حلقة خواصه، ويعذك من عبيده المخلصين؟»، فقال : «هكذا لا أكون آمناً من بطشه».

لو أشعر المجوسي النار مائة عام، فهي تحرقه إن وقع فيها لحظة واحدة <sup>(٣)</sup>. فيحدث أن نديم حضرة السلطان يظفر بالذهب، وقد يجوز أن يذهب رأسه. ولقد قال الحكماء: يجب أن يكون المرء على حذر من تلون طبع الملوك، فقد

---

(١) كم الشيء يكمه كماً غطاءه، والبعير شد فمه بالكمامة.  
(٢) العناق أو عناق الأرض : حيوان جارح أصغر من الفهد ووصفه قتادة بقوله إنه «دابة وحشية أكبر من النسور وأصغر من الكلب». ويسمى بالفارسية «سياه كوش» لوجود خصلة من الشعر الأسود على كل من أذنيه.  
(٣) النار لا تتوانى في إحراق من يقع فيها حتى لو كان عابداً لها قضى في خدمتها مائة عام.

يضيقون حيناً بردّ السلام، وحيناً آخر يهبون الخلع بالسباب. ولقد قيل: «إن الإفراط في التطرف فضيلة الندماء، وعيب الحكماء».

كن على مستوى قدرك ووقارك، ودع العبث والتطرف للندماء.

## حكاية

شكا إلي أحد الرفقاء من الزمن المعاكس، (قائلاً) : «إنني أمتلك القليل من الكفاف، والكثير من العيال، ولست أطيق عبء الفاقة. ولقد خطر بقلبي مرات أن أنتقل إلى إقليم آخر، فمهما مضت الحياة على أي وجه لا يكون لإنسان اطلاع على حسن حالي أو سوءه.

كم جائع نام ولم يدر أحد من يكون.

وكم روح بلغت الشفاه. ألا فاذهبي، فما بكاك أحد.

وثانية أفكر في شماتة الأعداء الذين يهزؤون مني، طاعنين في غيبيتي، ويحملون سعيي في حق العيال على عدم المروءة، ويقولون:

تأمل<sup>(١)</sup> ذلك المجرد في الحمية الذي لن يرى قط وجه الحظ السعيد.

إنه يختار يُسر (الحياة) لنفسه، ويترك للشدة الزوجة والولد.

وإنني أعرف شيئاً من علم المحاسبة ، كما هو معلوم لكم . فلو عينت – بجاهك – في جهة تكون موجبة لارتياح خاطر ، فلن أستطيع أن أوفي حقك من الشكر بقية عمري<sup>(٢)</sup> . فقلتُ : « أيها الأخ ، إن العمل عند الملك له طرفان : الأمل في الخبز، والخوف على الروح. وليس مما يوافق رأي العقلاء أن يقع المرء في هذا الخوف، لقاء ذلك الأمل.

إن أحداً لا يجيء إلى منزل الدرويش قائلاً: أدّ خراج الأرض والبستان.

---

(١) اقرأ «بين» بدلاً من «مبين».

(٢) حرفياً : فإني لن أستطيع أن أخرج من عهدة شكر ذلك بقية عمري.

فكن راضياً بالغصة والألم، أو اربط كبدك، وضعه أمام الغربان.

فقال: هذا الذي قلته لا يوافق حالي، فأنت لم تجب على سؤالي. ألم تسمع أنّ كل من غرس لخيانة، ترتعد يده عند الحساب؟

إن الاستقامة موجبة لرضى الله، ولم أر إنساناً ضلّ في الطريق المستقيم.

ولقد قال الحكماء: «أربعة أشخاص تفرق أرواحهم من أربعة أشخاص (آخرين): مرتكب الحرام من السلطان، واللص من الحارس، والفاسق من الغماز، والمرأة الفاسدة من المحتسب. فمن كان حسابه نظيفاً، فأى خوف له من المحاسبة؟

لا توسع الخطى في العمل، إن كنت تريد أن يكون مجال العدو ضيقاً وقت عزلك.

فكن أنت – أيها الأخ – نظيفاً، ولا تخش أحداً، فالغاسلون يضربون الثياب الملوثة فوق الأحجار<sup>(١)</sup>.

قلتُ: إن حكاية ذلك الثعلب مناسبة لحالك. فقد رأوه هارباً، واقعاً قائماً. فسأله شخص: «ما الأفة التي استوجبت كل هذا الخوف؟»

فقال (الثعلب): «سمعت أنهم يمسون الجمال ليسخروها».

فقال (السائل): «أيها السفیه، أية مناسبة بينك وبين الجمل؟ أية مشابهة لك به؟»

فقال (الثعلب): «اسكت! فلو أنّ الحاسدين يقولون: إن هذا جمل، وأخذت أسيراً، فعلى من يقع همّ تخليصي؟ وإلى أن يُبحث حالي، وإلى أن يُحضر الترياق من أرض العراق، يكون لديغ الحية قد مات». إنك هكذا – على من أنت عليه من فضل وتدين وتقوى وأمانة، لكنّ المعاندين كامنون لك، والمدّعين متربصون بك<sup>(٢)</sup>، فلو أنهم صوروا ما أنت عليه من حسن

(١) المعنى: الرجل النظيف لا خوف عليه، فهو كالثياب النظيفة، لا تضرب فوق الأحجار حين غسلها، على حين أن الثياب القذرة تضرب فوق الأحجار لتنظف.

(٢) حرفياً: جالسون في الزوايا.



السيرة على خلاف ذلك، وجئت في معرض مساءلة (١) الملك، فمن ذا الذي يكون له مجالٌ للقول في تلك الحال؟ فأنا أرى لك أن تحرس ملك القناعة، وتقول بترك الرناسة.

إن في البحر منافع لا حصر لها، وإن أردت السلامة فهي على الساحل.

ولقد سمع الرفيق هذا الكلام فاغتم، واكفهر وجهه من حكايتي، وأخذ ينطق بكلام امتزج بألمه (قائلاً): «أي عقل هذا وأية كفاية؟ وأي فهم وأية راية؟ إن قول الحكماء قد صدق حين قالوا: «الأصدقاء ينفعون (صاحبهم) وهو في السجن، فعلى المائدة يظهر جميع الأعداء وكأنهم أصدقاء.

لا تحسبته صديقاً من تشدق – في وقت النعمة – بحديث المودة، ونداء الأخوة.

فالصديق هو ذلك الذي يأخذ بيد صديقه عند اضطراب الحال والعجز».

ولقد رأيت أنه أخذ يتغير، ويستمع إلى نصحي على أنه قول مغرض، فذهبت إلى صاحب الديوان (بناءً) على سابق معرفة كانت بيننا، ونكرت صورة حاله، وبينت جدارته واستحقاقه حتى عُين في منصب صغير. ومضى على تلك بعض الوقت، فشهدوا لطف طبعه، وأعجبوا بحسن تدبيره، فتجاوز عمله تلك (المرتبة) وتمكن (من الصعود) إلى مرتبة أعلى، وهكذا كان نجم سعادته في ارتقاء حتى وصل إلى أوج إرادته، وأصبح مقرباً إلى حضرة السلطان، يُشار إليه، ويُعتمد عليه، فقرحت لسلامة حاله، وقلت:

«لا تفكر في الأمر العَصِيّ، ولا تكن كسير القلب! إن ماء عين الحياة (كامن) في داخل الظلمات!

فللرحمن الطاف خفيّة

ألا لا تحزنن أخا البلية

---

(١) حرفياً: خطاب .

لا تجلس عابساً من تقلب الأيام، فالصبر – مع أنه مرّ – يجود بطلو الثمار<sup>(١)</sup>».

وفي وقت قريب من ذلك اتفق لي سفر مع طائفة من الإخوان، وحينما عدت من زيارة مكة خرج لاستقبالي منزلين (من الطريق)، ورأيت ظاهر حاله رثاً، وكان شبيهاً بالدرأويش، فقلت: ما الحال؟ فقال: مثلما قلت: حسدتي طائفة من الناس، ونسبوا إلي الخيانة، والملك – دام ملكه – لم يأمر باستقصاء حقيقة ذلك، أما الإخوان القدامى والأصدقاء الحميمون فقد سكتوا عن كلمة الحق، ونسوا الصحبة القديمة.

ألا ترى أن المتملقين يضعون أيديهم فوق صدورهم أمام رب الجاه؟

فإذا ما أسقطه الدهر فإن جميع الناس يضعون أقدامهم فوق رأسه!

وفي الجملة، أخذت بأنواع العقوبة حتى هذا الأسبوع، حين وصلت بشرى سلامة الحجاج، فخلصت من قيدي الثقيل، ومن ملكي الموروث الخاص<sup>(٢)</sup>.

فقلت: «أنت لم تقبل نصيحتي في تلك المرة، حين قلت: إن العمل عند الملوك كسفر البحر، خطر ومفيد، فإما أن تظفر منه بالكنز، وإما أن تهلك في (اللج) الغامض.

فإما أن يخرج السيد محتضناً الدر بكلتا يديه، أو يلقي به الموج – ذات يوم – هالكا على الساحل».

ولم أرَ من المصلحة أن أخدش جرح قلبه بالملامة، وأنثر فوقه الملح أكثر من ذلك، فاقترعت على هذه الكلمة:

أما علمت أنك ترى هذا القيد على قدميك؛ لأن نصيحة الناس لم تنفذ إلى أذنك؟

---

(١) اقرأ: «كرحه تلخست» بدلاً من «تلخست».

(٢) يعني أن أمواله قد صودرت.

فإن لم تكن لك طاقة بالإبرة، فلا تضع إصبعك – مرة ثانية – في جحر العقرب.

## حكاية

كان في صحبتي بضعة أفراد، تحلى ظاهراً بالصلاح، وكان لأحد الكبراء حسن ظن بالغ في حق هذه الطائفة، فأجرى عليهم عطاء، حتى اقتترف واحد من هؤلاء عملاً لم يكن مناسباً لحال الدراويش، ففسد ظن ذلك الشخص بهم، وكسدت سوق هؤلاء، وأردت أن أستخلص كفاف الإخوان بإحدى الطرق، فاعتزمت خدمته، فلم يسمح لي حارس الباب، ورتني بجفاء، فعذرته، فقد قيل:

لا تدرّ حول باب الأمير أو الوزير أو السلطان بدون وسيلة (تدنيك).

فالكلب وحارس الباب – حينما يجدان غريباً – يمسك هذا بجيبه، وذاك بذيل رداءه.

ولما علم بأمرى خاصة المقربين من ذلك العظيم، أدخلوني مكرماً، وعينوا لي مقاماً رفيعاً، لكنني جلست – بتواضع – في مكان أكثر انخفاضاً، وقلت:

دعني، فإنني عبد وضيع، حتى أجلس في صف العبيد.

فقال (العظيم): الله! الله! أي موضع هنا لهذا الكلام؟ لو أنك تجلس فوق رأسي أو عيني، ما ثقلت عليّ<sup>(١)</sup>، لأنك عزيز!

وفي الجملة، جلست، ووصلت القول في كل باب، حتى جاء ذكر حديث زلة<sup>(٢)</sup> الإخوان، فقلت:

أي جرم رآه الملك، سابق الإنعام، حتى أصبح العبد محتقراً في نظره؟

فالعظمة والحكم مُسلّم بهما لله، وهو الذي يرى الجرم، ولا يمنع الأرزاق<sup>(٣)</sup>.

---

(١) حرفياً: «احتملت عبئك...».

(٢) اقرأ «زلت» بدلاً من «ذلت».

(٣) حرفياً: «ويجعل الخبز مستقراً (لعباده)».

فأعجب الحاكم بهذا الكلام إعجاباً عظيماً، وأمر للإخوان بأسباب معاشهم، حتى أصبحت مهياة على القاعدة السابقة، كما وفّوا مئونة أيام التعطيل<sup>(١)</sup>. فهجبتُ بشكر النعمة، وقبّلتُ أرض الخدمة، والتمست العذر عن جسارتي، وخرجت في الحال، قائلاً :

لما كانت الكعبة قبلة الحاجات، فالخلق يسرون فراسخ كثيرة من بلادهم البعيدة، (قاصدين) رؤيتها.

فيجب عليك أن تتحمل أمثالنا، فلا أحد يرمي بحجر شجرة عاطلة من الثمار.

### حكاية

ورث أمير مالا وافرا عن أبيه، ففتح يد الكرم، وأعطى للسقاء حقه، وأغدق على الجيش والرعية مالا لا يضيع.

إن الأنف لا تستروح «طبلية»<sup>(٢)</sup> العود، فألق به في النار، وحينذاك يفوح كالعنبر.

فإن كنت طالباً للعظمة، فابذل العطاء، فالبذرة لا تنمو، ما لم تُنثر.

وبدا أحد جلسائه – العاطلين من التدبير – ينصحه، (فقال) : «إن الملوك السابقين حصلوا هذا المال بالسعي، وحفظوه من أجل المصلحة. فكف يدك عن هذه الحركة، فالوقائع أمامك، والأعداء وراءك، ويجب ألا تعجز في وقت الحاجة.

لو أنك فرقت على العامة كنزاً؛ لوصل إلى كل بيت دائق»<sup>(٣)</sup> واحد.

فلماذا لا تأخذ من كل إنسان مثقال شعيرة من الفضة، وإذ ذاك يتجمع لك في كل يوم كنز.

---

(١) يعني : عرضوا عما فاقهم من العطاء حين حرموا منه.

(٢) « الطبلية » هنا وعاء شبيه بطبلية مقلوبة، وكان العطارون يعرضون بضائعهم أمام حوانيتهم في أوعية من هذا النوع.

(٣) الدائق قطعة صغيرة من النقود، وقد ترجمنا بها كلمة «برنجي»، ومعناها هنا: قطعة صغيرة من النقد مصنوعة من النحاس .

فعبس وجه الملك من سماع هذا الكلام، ولم يجئ موافقاً لطبعه، وزجر (الناصر)، وقال:

« لقد جعلني الله ملكاً لهذه المملكة لأكل وأعطي، ولم يجعلني حارساً، فأكون حفيظاً ».

فقد هلك قارون، وكان له كنز (يملاً) أربعين داراً، ولم يمت أنو شروان؛ لأنه ترك اسماً طيباً.

## حكاية

يروى أن أنو شروان العادل كان يعد له شواء في مكان للصيد، ولم يكن هناك ملح، فذهب غلام إلى ضيعة يلتبس ملحاً. وقال له أنو شروان: خذ الملح بقيمته حتى لا يصبح رسماً<sup>(١)</sup> فتخرب القرية. قالوا: وأي خل يتولد من مثل هذا القدر؟

فقال (أنو شروان): «إن بنيان الظلم في الدنيا كان في أول أمره صغيراً<sup>(٢)</sup>، وكل من جاء زاد عليه حتى وصل إلى هذه الغاية.

لو أن الملك يأكل تفاحة من بستان الرعية، فإن غلمانه يقتلعون الشجرة من أصلها.

ولو أباح السلطان الظلم في خمس بيضات فإن جنوده يضربون ألف طائر بالحراش.

## حكاية

سمعت أن وزيراً غافلاً كان يخرب ديار الرعية ليعمر خزانة السلطان، وكان جاهلاً بقول الحكماء الذين قالوا: كل من يؤذي خلق الله<sup>(٣)</sup> – عز وجل –

---

(١) الرسم هنا يعني الضريبة المفروضة .

(٢) حرفياً : قليلاً .

(٣) اقرأ : خلق « خدای را » بدلاً من « خدای را » .

ليسيطر على قلوب الخلق، فإنّ الله يسلط عليه الخلق، حتى يقتلعه الدمارُ من الزمن.

إن النار لا تفعل بالبخور، ما يفعله دخان قلب ذاهل<sup>(١)</sup> (من الظلم) .

يُقال إن الأسد رأس جميع الحيوانات وإن أقلها الحمار. ومن المتفق عليه أن حماراً يحمل الأثقال خير من أسد يمزق الناس.

الحمار المسكين – وإن كان بدون تمييز –

ما دام يحمل العبء عنك، فهو عزيز

إن الثيران والحمير التي تحلم بالأثقال

خير من البشر الذين يؤنون الناس.

فلنعد إلى حكاية الوزير الغافل : لقد عرف الملك – بالقرائن – طرفاً من ذميم أخلاقه، فأوقع به العذاب<sup>(٢)</sup>، وقتله بألوان من العقاب.

إن رضا السلطان لا يتحقق لك ما لم تتشد خاطر الرعية.

فإن أردت أن ينعم الله عليك ، فاصنع الخير مع خلق الله.

ويروى أن واحداً ممن شهدوا ظلمه مرّ عليه، وتأمل حال دماره، وقال: ليس كل من يملك قوة ساعد المنصب يأكل بالسلطان مال الرعية جزافاً.

إنك تستطيع أن تبتلع بحلقك قطعة صلبة من العظم، لكنها تمزق أحشاءك حين تعلق بها<sup>(٣)</sup>.

إن الظالم الشرير لا يدوم دهرًا، (لكنه) يبقى (مشيعاً) باللعنة الدائمة.

---

(١) المعنى : دعاء قلب المظلوم يحدث من الإحراق العاجل ما لا تحدّثه النار بالبخور.

(٢) در شكنجه كشیدن : التعذيب . إيقاع العذاب.

(٣) حرفياً : حين تعلق بسرّتك . « ناف » سرّه – نافجة .

## حكاية

يحكى أن رجلاً مؤذياً ضرب بحجر رأس رجل صالح، ولم يكن لدى الدرويش مجال للانتقام، فاحتفظ بالحجر حتى غضب الملك على هذا الشرطي، وجعله سجين بئر، فدخل الدرويش، ودق رأسه بالحجر، فقال الشرطي: «من أنت؟ ولماذا ضربتني بهذا الحجر؟»، فقال (الدرويش): «أنا فلان، وهذا الحجر هو ذات الحجر الذي ضربت به رأسي في ذلك التاريخ».

فقال (الشرطي): «وأين كنت كل هذا الوقت؟»

فأجاب (الدرويش): «لقد كنت أهب جاهك. أما الآن – وقد رأيتك في البئر- فقد اغتتمت الفرصة».

حينما ترى خسيساً يحالفه الجدّ السعيد.

فلا حيلة للعقلاء إزاء ذلك <sup>(١)</sup>.

فما دمت لا تملك المخلف الممزق الحاد،

فمن الخير أن تقلل الصراع مع الأشرار.

فكل من غالب ساعداً فولانياً

أضنى بذلك ساعده المسكين.

فمهلاً حتى يقيد (لك) الزمان يده

وحينذاك انتزع لبّ (رأسه)، على هوى الأحباب.

## حكاية

أصيب أحد الملوك بمرض هائل، من الأفضل ألا يعاد ذكره، واتفقت طائفة من حكماء اليونان على أنه لا دواء لهذا المرض إلا بمرارة آدمي يتصف بعدد معين من الصفات.

---

(١) حرفياً: «فالعقلاء قد أسلموا الاختيار»، أي أن العقلاء لا يبقى لهم اختيار إزاء هذا الوضع، ولا حيلة لهم إلا الاستسلام، ما داموا لا يملكون القوة.

فأمر الملك بأن يبحث عنه، ولقد وجدوا ابن مزارع كان يتصف بتلك الصفات التي ذكرها الحكماء، فدعا (الملك) أباه وأمه، وأرضاهما بمال لا حصر له، وأفتى القاضي بأنه من الجائز إراقة دم فرد من الرعية من أجل سلامة نفس الملك. فتوجه نحوه الجلاد، ورفع الغلام رأسه إلى السماء، وابتسم. فسأله الملك: «أي مجال للضحك في هذا المقام؟»، فقال (الغلام): «إن دلال الأبناء يكون واجب الأب والأم، والدعوى تُحمل إلى القاضي، والعدل يُطلب من الملك. والآن أسلم أبي وأمي دمي من أجل حطام دنيوي، وأفتى القاضي بقتلي، والسلطان يرى أن مصلحته منوطة بهلاكه، فلست أرى ملجأ لي سوى الله تعالى.

إلى من أرفع استغاثتي من (بطش) يدك؟

فلو التمسست العدل، فأليك تكون شكواي من بطش يدك».

فاغتم قلب السلطان من (سماع) هذا الكلام، وترقرق الدمع في عينيه، وقال: «إن هلاكه أولى من إراقة دم بريء». وقبّل رأس الغلام وعينه، واحتضنه، ووهبه مالا كثيرا، وختّى سبيله. ويقال إن الملك أيضاً شفي في هذا الأسبوع.

ولقد جال بخاطري تلك البيت الذي قاله صاحب الفيل، على شاطئ نهر النيل:

إن كنت لا تدري بحال النمل تحت قدميك، فهو شبيه بحالك تحت أقدام<sup>(١)</sup> الفيل.

## حكاية

واحد من عبيد عمرو بن الليث<sup>(٢)</sup> كان قد فرّ، فذهبوا في عقبه، وأرجعوه، وكان الوزير مغرضاً في حقه، فأشار بقتله؛ حتى لا يجيز العبيد

(١) حرفياً: تحت قدم.

(٢) عمرو بن الليث هو ثاني حكام الأسرة الصفارية. وهي إحدى الأسر التي استقلت بالحكم في خراسان عن الدولة العباسية، وكان حكم عمرو بن الليث من ٢٦٥ - ٢٨٧ هـ.



الآخرون مثل هذا الفعل. فوضع العبد رأسه على الأرض أمام عمرو بن الليث، وقال:

كل ما يصيب رأسي فهو جائز، إذا أرضاك.

فأي دعوى يدعيها العبد ؟ إن الحكم للسيد !

ولكن – بما أنني ربيب نعمة هذه الأسرة – فلا أريد لك أن تجيء يوم القيامة مأخوذاً بدمي. فأجز لي أن أقتل الوزير، ثم بعد ذلك مُر بإراقة دمي، قصاصاً له، وبذلك تكون قد قتلت بالحق، فاستولى الضحك على الملك، وقال للوزير: «ما المصلحة التي تراها ؟»

فقال: «يا ملك الدنيا ! بحق الله، أطلق سراح ذلك الوقح، صدقة على قبر أبيك، حتى لا يوقعني في البلاء. فالذنب تنبي، وما أصدق قول الحكماء، إذ قالوا:

إذا اشتبكت في عراك مع رام متحصن<sup>(١)</sup>، فأنت بجهلك قد حطمت رأسك.

وإن رميت بسهم في مواجهة العدو، فكن على حذر، فقد جلست في مرماه.

## حكاية

كان لملك الزوزن وزير كريم النفس، طيب المحضر. لقد كان يخدم الجميع في مواجهتهم، ويحسن الحديث عنهم في غيبتهم، واتفق أن وقعت منه حركة لم ترق في نظر السلطان، فأمر بمصادرة (أمواله) ومعاقبته، وكان موظفو الملك معترفين بسوابق نعمائه، فكانوا – إبان القبض عليه – يعاملونه بالرفق واللطف، ولم يجيزوا زجره ومعاقبته.

إن أردت الصلح مع العدو، فأظهر له الحسنى، مهما عابك في غيبتك.

---

(١) كلوخ انداز: تتكون هذه العبارة من «كلوخ» ومعناها: الطين المتحجر، أو اللبن، وهو القرميد قبل أن يحرق. وانداز مشتقة من انداختن، ومعناها يرمي. ولكن عبارة «كلوخ انداز» تعني الكوة التي تكون في السور أو الحصن، وتستخدم في الرماية.

إن الكلام يمر آخر الأمر بالفهم، فإن أردت ألا يكون كلام المؤذي مرًا، فاجعل فمه حلواً.

وقد برأ الوزير نفسه من بعض ما تضمنته مساءلة الملك، وبقي في السجن بسائر (التهم)، وأرسل إليه أحد ملوك تلك النواحي رسالة في الخفاء (قائلاً): «إن ملوك ذلك الطرف لم يعرفوا قدر عظيم مثلك، فزالوا عزك، فلو أن رأي العزيز فلان – أحسن الله خلاصه – يلتفت إلى جانبنا، فسوف يُبذل أكمل سعي في رعاية خاطره. وإن أعيان هذه المملكة مفتقرون إلى مشاهدته، منتظرون جواب هذه الرسالة».

وقد أحيط السيد علماً بذلك، وتفكر في الخطر، فكتب في الحال جواباً مختصراً – وفقاً لما ارتأه من المصلحة – على ظهر الورقة، وأرسله. وعلم بذلك أحد أتباع الملك، فأخبر الملك، قائلاً: «إن فلاناً – الذي أمرت بحبسه- يرسل ملوك النواحي». فاغتم الملك، وأمر بكشف هذا الخبر، فقبضوا على الرسول، وقرأوا الرسالة، وكان قد كتب فيها: «إن حسن ظن الكبراء بالغ في تقدير فضلنا<sup>(١)</sup>. أما تشريفهم إياي بالقبول الذي تفضلوا به فليس لدى العبد إمكان لإجابة ذلك، بحكم أنه ربيب نعمة هذه الأسرة، ولا يستطيع أن يتخلى عن الوفاء من جراء تغير قليل من ولي نعمته».

فمن كانت له إزاءك مكرمة في كل لحظة  
فالتمس له العذر لو اقترب في العمر ظملاً واحداً !

فأعجب الملك (بما تجلى) في سيرته من عرفان بالحق، ووهبه خلة وعطاء، وسأله المعذرة قائلاً: «لقد أخطأت إذ أنيتك بدون جرم».

فقال: «إني لا أرى لسيدي خطأ في تلك الحال، ولكن هكذا قدر الله أن يصيبني مكروه، وكان الأفضل أن يصيبني بيدك، فإن لك على عبدك نعماً سائلة، وأيادي ممن. ولقد قال الحكماء:

لا تتألم لو أصابك ضرر من الخلق.

---

(١) حرفياً: يزيد على مالنا من فضل.

فالخلق لا تصدر عنهم راحة ولا أذى.  
واعلم أن كليهما من الله، لا من العدو أو الصديق.  
فقلب كل من هذين رهن مشيئته.  
فلو أن سهماً انطلق من قوس،  
فالعقلاء يرون (انطلاقه) من الرامي.

## حكاية

أمر أحد ملوك العرب رجال ديوانه (قائلاً) :  
ضاعفوا عطاء فلان، مهما كان (مقداره)، فإنه ملازم لحضرتنا، مترقب  
لأمرنا، على حين أن خدامنا الآخرين مشغولون باللهو واللعب، متهاونون في  
أداء الخدمة. وسمع ذلك رجل من الصالحين فقال: إن علو درجات العباد في  
حضرة الله عز وجل يكون على هذا المثال.  
لو أن خادماً نهض بخدمة مليكه صباحين،  
فليس من شك أن المليك ينظر إليه بلطف في الصباح الثالث.  
فالعباد المخلصون يحدوهم الأمل بأنهم لا يرجعون يائسين من أعتاب الله.  
إن العظمة تكون في إطاعة الأمر. أما العصيان فإنه دليل الحرمان.  
فكل من امتاز بسيما أهل الصلاح، فإنه يسجد خاضعاً <sup>(١)</sup> فوق تلك الأعتاب.

## حكاية

يحكى أن ظالماً كان يشتري حطب الدراويش بالثمن البخس، ويبيعه للأغنياء  
بالثمن الباهظ، فمرّ به رجل من الصالحين، وقال:  
أثعبان أنت ؟ إنك تلدغ كل من تبصره !

---

(١) حرفياً: يضع رأس الخدمة فوق تلك الأعتاب.

أم أنت بومة، فحيثما تحلّ، توقع الخراب !

فلئن جازت قوتك علينا،

فاعلم أنها لا تجوز على علام الغيوب !

فلا تتجبر بالقوة على أهل الأرض

حتى لا يتصاعد إلى السماء الدعاء.

وضاق الحاكم بهذا الكلام، واكفهر وجهه، ولم يلتفت إليه، وكما قيل: «أخذته العزة بالإثم». وذات ليلة شبت في الحطب نار مطبخة، وأحرقت سائر ممتلكاته، (وانتزعته) من فراشه الوثير، وأجلسته فوق كومة ساخنة من الرماد. وحدث أن الشخص ذاته مرّ به، وراه يخاطب أصحابه قائلاً: «لست أردى من أي مكان وقعت هذه النيران بقصري!»

فقال (الرجل الصالح) : «من قلوب الدراويش».

كن على حذر من زفرات القلوب الجريحة

فإن جريح القلب يرفع في العاقبة رأسه

وما استطعت لا تبعث الهم في أحد القلوب

فإن أهة واحدة تزعج <sup>(١)</sup> عالماً بأسره.

وكان قد كتب على تاج كيخسرو:

ما أكثر ما سيجيء من السنين والأعمار الطوال

والخلق يمشون على الأرض فوق رؤوسنا

ومثلما (انتقل) الملك من يد إلى يد، فجاء إلينا

فلسوف ينتقل على هذا النحو إلى أياد أخرى.

---

(١) بهم زمن : يزعج - يحزن.

## حكاية

تفوق رجل في فن المصارعة، وكان يعرف ثلاثمائة وستين حركة فاخرة.

وكان كل يوم يصارع بإحدى الطرق، لكنه استشعر بقلبه بعض الميل إلى جمال أحد تلاميذه، فعلمه ثلاثمائة وتسعاً وخمسين لعبة، واستثنى لعبة واحدة تراخى في تعليمها إياه، وأرجأه.

وفي الجملة وصل الفتى إلى قمة القوة، ولم يكن لأحد في ذلك الزمان قدرة على مقاومته، إلى حد أنه قال أمام ملك ذلك الزمان:

«إن فضل الأستاذ علي إنما هو من جهة الكبر، وحق التربية، وإلا فأنا لست أقل منه قوة، كما أنني مماثل له في البراعة». فتقل هذا الكلام على الملك، وأمر بأن يتصارعا، فأعدوا مكاناً متسعاً، وتجمع أركان الدولة، وأعيان الحضرة، وأبطال القوة في ذلك الإقليم. ودخل الفتى كفيل سكران، بصدمة لو (أصابته) جبلاً من حديد لاقتلته من مكانه. ولقد علم الأستاذ إن الشباب أشد منه قوة، فتعلق بتلك اللعبة الغريبة التي كان قد أخفاها عنه، ولم يعلم الفتى طريقة مقاومة تلك، فرفعه الأستاذ بكلتا يديه عن الأرض إلى ما فوق رأسه، ثم قذف به إلى أسفل، فارتفع ضجيج الناس، وأمر الملك للأستاذ بخلعة وعطاء، وزجر الفتى ولامه، قائلاً: «لقد ادعيت مقاومة من رباك، ولم تفلح في ذلك».

فقال الفتى: «أيها المليك ! إنه لم يتفوق علي في القوة، ولكن كانت قد بقيت لي من علم المصارعة لعبة واحدة كان يخفيها عني. وقد تغلب علي اليوم بهذه (اللعبة) الدقيقة، فقال الأستاذ: «لمثل هذا اليوم كنت أحتفظ بها». ولقد قال الحكماء: لا تزود صديقك بقوة تجعله قادراً عليك لو عاداك.

ألم تسمع ما قاله ذلك الذي رأي من ربيبه الجفاء:

إما أن الوفاء لم يكن موجوداً في الدنيا

أو لعله لا يوجد إنسان يعمل به في هذا الزمان.

فما تعلم أحد مني علم الرماية،  
إلا وجعلني - في عاقبة الأمر - هدفاً له.

## حكاية

كان درويش معتزلاً، قد جلس في إحدى الزوايا، فمرّ به ملك فلم يرفع الدرويش رأسه، ولم يلتفت إليه، فالانصراف (عن الدنيا) هو ملك القناعة. أما السلطان فقد تألم، بدافع من سطوة السلطان، وقال: إن طائفة لابسى الخرق هؤلاء شبيهة بالحيوانات فليسوا بذوي أهلية ولا آدمية. واقترب الوزير من الدرويش وقال له: «أيها الشاب، لقد مر بك سلطان وجه الأرض، فلماذا لم تؤد له التحية، وتتصرف وفق ما يقتضيه الأدب؟»

فقال (الدرويش): «قل للملك: توقع الخدمة من شخص يتوقع منك الهبات، واعلم أيضاً أن الملوك إنما هم من أجل حراسة الرعية، وليست الرعية من أجل طاعة الملوك».

إن الملك هو راعي الدرويش، مع أن الثراء يكون في ظلال دولته.  
فالخراف لا تكون من أجل الراعي، لكن الراعي يكون من أجل رعاية الخراف.



إنك لترى اليوم إنساناً سعيداً، وآخر قلبه بالمعاناة جريحاً.  
فمهلاً بضعة أيام حتى يأكل التراب ذهن الرأس المفعم بالخيال<sup>(١)</sup>.  
فحينما يقع القضاء المكتوب، يرتفع إذ ذاك الفرق بين السيد والعبد.  
فلو أن إنساناً شق قبور الموتى، لما تبين بها الغني من الدرويش.

---

(١) حرفياً: المتفكر بالخيال.

ولقد ظهر للملك كلام الدرويش قوياً، فقال: «سلني شيئاً». فأجاب  
(الدرويش): «أريد ألا تضايقني مرة أخرى». فقال (الملك): «عظني!»  
فقال (الدرويش):

تنبه الآن وأنت لا تزال محتفظاً بجاهك<sup>(١)</sup>،  
فالدولة<sup>(٢)</sup> والملك ينتقلان من يد إلى أخرى.

### حكاية

ذهب أحد الوزراء إلى ذي النون المصري<sup>(٣)</sup> وسأله الدعاء قائلاً: «إنني  
مشغول بخدمة السلطان ليل نهار، مؤمل خيره، خائف من عقوبته». فبكى  
ذو النون، وقال:

لو أنني خفت من الله كما تخاف أنت من السلطان، لكنت من حملة الصديقين.  
لو لم يكن الأمل في الراحة (وخوف) العناء  
لكانت قدم الدرويش تتسامى إلى الفلك.  
ولو كان الوزير يخاف من الله مثلما يخاف  
من الملك، لأصبح من الملائكة.

### حكاية

أصدر ملك أمراً بقتل بريء، فقال: أيها الملك! لا تلتمس الأذى لنفسك من  
جراء غضبك عليّ. فإن هذه العقوبة – بالنسبة لي – تنقضي في لحظة واحدة،  
ويبقى إثمها عليك إلى الأبد.

---

(١) حرفياً: تنبه الآن ونعمتك لا تزال بيدك.

(٢) حرفياً: فإن هذه الدولة ...

(٣) ذو النون، من قدامى الصوفية، ولد في الحميم بصعيد مصر حوالي عام ١٨٠ هـ. وطوف  
في بعض البلدان العربية، ثم عاد إلى مصر، ومات بها في عام ٢٤٦ هـ.

إن أدوار البقاء تمر كالريح في الصحراء،  
وينقضي <sup>(١)</sup> مرها وحلوها، وقبيحها وحسنها !  
والظالم يحسب أنه قد أوقع بنا الأذى  
(ومثل هذا) ينقضي <sup>(٢)</sup> بالنسبة لنا، ويبقى عالقا في عنقه.  
ولقد جاءت نصيحته مفيدة للملك، فعفا عن دمه.

### حكاية

كان وزراء أنوشروان يفكرون في موضوع مهم من مصالح المملكة، وكان كل منهم يبدي رأيا، وكان الملك أيضا يتفكر في تدبير.  
ولقد وقع اختيار بزرجمهر على رأي الملك، وقال له الوزراء في الخفاء: أية  
مزية رأيت في رأي الملك (حتى فضيلته) على فكر كل هؤلاء الحكماء؟ فقال:  
لما كانت عاقبة الأمور غير معلومة، ورأي الجميع رهن بمشيئة الله، فقد يجيء  
صوابا وقد يجيء خطأ، فموافقة رأي الملك أولى، حتى إذا جاء على خلاف  
الصواب أمنت من معاتبته بعله متابعتة.

إن من يطلب رأيا على خلاف رأي السلطان  
يكون قد نفذ يديه من حياته <sup>(٣)</sup>  
فلو قال لك الملك في وضوح النهار <sup>(٤)</sup>: هذا هو الليل !  
فيجب أن تقول له : نعم . وها هو ذا القمر والثريا !

---

(١) حرفياً : ويمر.  
(٢) حرفياً : يمر.  
(٣) حرفياً : يكون قد غسل يديه من دمه.  
(٤) حرفياً : في النهار نفسه.



## حكاية

ضفر محتال غداثر شعره، (قائلاً) : «إنني علوي»، ودخل المدينة مع قافلة الحجاز، (قائلاً) : «إنني عائد من الحج»، ورفع إلى الملك قصيدة، (قائلاً) : «لقد نظمتها»، فأنعم عليه الملك وأكرمه، وأمر بأن يحاط بكامل الرعاية.<sup>(١)</sup>

وقال واحد من ندماء حضرة الملك، كان قد عاد في هذا العام من سفر البحر: «لقد رأيته بالبصرة في عيد الأضحى، فكيف يكون حاجاً؟»، وقال آخر: «إن أباه كان نصرانياً في ملطية، فكيف يكون ابن شريف؟»، ووجدوا شعره في ديوان الأنوري.

فأمر الملك بأن يضرب، وينفى، (متسائلاً) : لماذا قال كل هذا الكذب دفعة واحدة؟

فقال (المحتال) : «يا مليك وجه الأرض ! لقد بقيت لي كلمة واحدة، أرفعها إليكم، فإن لم تكن صحيحة، فأنا جدير بكل عقوبة تأمر بها».

فقال الملك (الملك) : «قلها لنرى ما تكون»

فقال (المحتال) :

«لو أن غريباً أحضر إليك اللبن المخصص، فأكثره ماء مزج بقليل من اللبن الخائر<sup>(٢)</sup>

فإن سمعت لغواً من العبد، فلا تتألم، فمن جرب الدنيا، يكثر من الكذب».

فاستولى الضحك على الملك وقال:

«إنك لم تقل كلاماً أصدق من هذا طول عمرك». وأمر بأن يزود بما كان يرجوه ، ويصرف بالحسنى.

---

(١) حرفياً : وأمر بأن يدلل بغير حدود.

(٢) حرفياً: فكأسان منه ماء وملعقة من اللبن الخائر.

## حكاية

كان أحد الوزراء يراف بالرعية، ويتوسط بالخبر لصالح الجميع. وحدث أنه قبض عليه بعد مساءلة من الملك، فسعى الجميع لتخليصه، وأظهر الموكلون بمعاقبته لطفاً، وردد الكبراء ذكر سيرته الطيبة بأفواههم، حتى تجاوز الملك عن معاقبته. واطلع على ذلك رجل صالح، فقال:

«خير لك أن تبيع بستان أبيك لتستولي على قلوب الخلق.

ولئن أحرقت متاع قصرِكَ لتطبخ به طعام (الأصدقاء) المخلصين، فذلك خير لك.

واعمل الخير أيضاً مع ذوي النوايا السيئة، فخير لك أن تسدّ بلقمة فم الكلب».

## حكاية

دخل أحد أبناء هارون الرشيد أمام أبيه ملتأماً بالغضب، (وقال): «لقد سبني ابن الجندي فلان».

فقال هارون الرشيد لأركان الدولة: «ماذا يكون جزاء مثل هذا الشخص؟» فأشار أحدهم بقتله، وآخر بقطع لسانه، وثالث بمصادرة ماله ونفيه، فقال هارون: «يا بني! الكرم هو أن تغفر، فإن لم تستطع فسبّه أنت أيضاً؛ حتى لا يتجاوز الانتقام حده، وحينذاك يكون الظلم من جانبك أنت، والدعوى من قبل خصمك».

لا يكون رجلاً – في نظر العقلاء – من تصدى للصراع مع فيل هائج.  
أما الرجل – على وجه التحقيق – فهو من لا ينطق بالباطل، حين يملكه الغضب.



إن شخصاً قبيح الخلق سبَّ أحد الرجال، فتحمله، (قائلاً) : أيها الطيب  
العاقبة!

إنني أسوأ مما تقوله أنت عني، فأنا أعرف عيبي بصورة لا تعرفها أنت !

### حكاية

كنت راكباً مع بعض الكبراء في سفينة، وغرق من خلفنا زورق، فسقط  
أخوان في دوامة، فقال أحد الكبراء للملاح: أنقذ هذين، وسوف أعطيك عن كل  
منهما خمسين ديناراً.

فخاض الملاح الماء حتى أنقذ واحداً منهما، وهلك الآخر، فقلتُ : «لم تكن قد  
بقيت من عمره بقية، ولهذا فإنك تأخرت في الإمساك به، وسارعت إلى الإمساك  
بالآخر». فضحك الملاح، وقال: «إن ما قلته يقين، وإلى جانب ذلك كان ميل  
خاطري لإنقاذ هذا أكثر، فذات مرة كنت قد تخلفت في الصحراء، فأركبني هذا  
على جملة. أما الآخر فكان قد ضربني في طفولتي سوطاً»، فقلت : «صدق الله،  
من عمل صالحاً فلنفسه، وما أساء فعليها».

لا تجرح – ما استطعت – قلب إنسان، فإن في هذا الطريق أشواكاً !

واقض حاجة الدرويش الموله، فأنت أيضاً سوف تكون لك حاجات.

### حكاية

كان هناك أخوان، فأما أحدهما فكان يعمل بخدمة للسلطان، وأما الآخر فكان  
يأكل خبره بكد نراعه.

وذات مرة قال الغني للفقير: «لماذا لا تشتغل بالخدمة حتى تتخلص من مشقة  
العمل؟»

فقال (الدرويش): «ولماذا لا تحترف أنت عملاً حتى تتحرر من منلة الخدمة؟ إن العقلاء قد قالوا: أكل الخبز والجلوس، خير من عقد زنار ذهبي للخدمة»<sup>(١)</sup>

لأن تعجن بيديك كلساً<sup>(٢)</sup> ملتهباً، خير لك من أن تضع يديك على صدرك أمام الأمير.



هكذا انقضى العمر العزيز (وأنا أفكر): ماذا أكل صيفاً وماذا ألبس شتاء؟! ألا فلتقنع بكسرة من الخبز، أيها البطن المظلم؛ حتى لا تجعل الظهر منحنيًا في الخدمة.

### حكاية

حمل رجل بشرى إلى أنو شروان العادل، قائلاً: «سمعت أن الله – عز وجل- أخذ عدوك فلاناً، فقال (أنو شروان): وهل سمعت قط أنه سوف يتركني؟ لو أن العدو مات فليس هذا موضع سرور لي فحياتنا أيضاً ليست بذات خلود.

### حكاية

كان جماعة من الحكماء يتبادلون الرأي حول إحدى المصالح في حضرة كسرى، في حين كان بزرجمهر – كبير هؤلاء – صامتاً. فقالوا له: «لماذا لا تدلي برأيك معنا في هذا البحث؟». فقال: «الحكماء شبيهون بالأطباء. الطبيب لا يعطي الدواء إلا للسقيم، فلما تبين لي أن رأيكم على صواب لم يكن من الحكمة أن أضيف قولاً إلى قولكم.

---

(١) وردت هذه العبارة في بعض الطبقات الأخرى على الوجه التالي: «نان جو خوردين ونشستن، به كه كمر زرین بستن وبخدمت إيستادن». ومعناها: «أكل خير الشعير والجلوس، خير من عقد زنار ذهبي، مع الوقوف للخدمة»  
(٢) اقرأ «أهلك» بدلاً من «آهن». أهلك تفته: كلس ملتهب.

وحيثما يتحقق أمر، بدون فضول مني، فليس يجوز لي أن أدلي فيه بقول.  
فإن رأيت أعمى يقترب من بئر كان من الجرم أن ألزم الصمت (١).

## حكاية

سئل الإسكندر الرومي: كيف استوليت على ديار المغرب والمشرق؟ لقد  
كانت للملوك السالفين خزائن وجيوش أكثر مما كان لك، ولم يتيسر لهم مثل هذا  
الفتح.

فقال: «كل مملكة أخذتها – بعون الله عز وجل – لم أوذ رعيّتها، ولم أنكر  
اسم ملوكها إلا بالخير».

لا يكون عظيماً في نظر العقلاء من يذكر العظماء بالسوء (٢).



إن التخت، والبخت، والأمر، والنهي، والأخذ، والعطاء، كلها ليست شيئاً  
حينما تذهب (عن الدنيا).

فلا تعبت بما للسالفين من طيب الذكر؛ حتى يبقى خالداً ذكرُك الطيب.

---

(١) حرفياً: فإن رأيت أعمى وبئراً كان من الجرم أن أجلس صامتاً.  
(٢) العقلاء لا يصفون بالعظمة من يذكر العظماء بالسوء.

# مختارات من الشاهنامة

## (قصة رستم وسهراب)

### تمهيد

الآيات المختارة هنا جزء من قصة شهيرة من قصص الشاهنامة، ملحمة الفرس الخالدة، هي قصة رستم وسهراب.

كان رستم ذات مرة يتجول، فدخل ملك سمنجان بحثاً عن جواده الرخش، الذي كان قد ضاع منه. وهناك قضى ليلة واحدة، تزوج فيها ابنة ملك سمنجان، ثم ترك البلاد عائداً إلى إيران، وأعطى زوجته خرزة، وطلب إليها أن تربطها على ساعد المولود إن جاء ولداً.

وكان أن ولدت ابنة ملك سمنجان طفلاً عجيباً هو سهراب. هذا الطفل نما نمواً سريعاً، وبلغ غاية النضج وهو ابن ثلاثة أعوام، وأصبح بطلاً شجاعاً يحسب له حساب. وكان رستم بطل الفرس، المدافع عن كيانه، يُرهب أعداءهم من الشعوب. فلما ظهر سهراب بين الترك اعتزوا به، وعلقوا عليه الآمال للقضاء على رستم بطل الإيرانيين وحاميهم.

وخرج الأتراك لحرب الفرس بقيادة سهراب، ولم يكونوا يعلمون أنه ابن رستم، وكان سهراب يعرف أباه، فقد وصفته له أمه، فخرج على أمل اللقاء به، وعقد صلح دائم بين الإيرانيين والأتراك، وظن الإيرانيون أن الترك أقبلوا معترزين ببطلهم الجديد، وأن لا مناص لهم من مواجهته برستم، ولم يكن رستم يعرف شيئاً عن حقيقة سهراب.

واتفق البطلان على المصارعة، وتصارعا، وكانت الغلبة في أول جولة لسهراب. ولما همّ بقتل رستم، طلب إليه رستم أن يرجئ ذلك؛ ليتيح لهما القيام بجولة أخرى، فليس من البطولة القضاء على الخصم في أول فرصة تتاح لذلك. وكان سهراب قد سعى للتعرف على أبيه، فكان رستم يخفي عنه حقيقة ذاته، كما

أن الإيرانيين أيضاً تضافروا على إخفاء شخصية رستم، وتضليل سهراب عن  
الاهتداء إليه؛ حرصاً على سلامة بطلهم.

والأبيات التي يتكون منها هذا النص تصف الجولة الأخيرة بين رستم  
وسهراب، وفيها ينجح رستم في إيقاع سهراب على الأرض، ثم يبادر إلى طعنه  
بخنجر حاد.

وفي أثناء احتضار سهراب يتكلم بكلام يكشف لرستم أن سهراب هذا هو ابنه  
الذي أنجبه من ابنة ملك سمنجان.

هذه القصة الشهيرة قد لقيت كثيراً من الإعجاب عند دارسي الأدب الفارسي،  
وقد ترجمها إلى الإنجليزية الشاعر الناقد ماتيو أرنولد.

## ترجمة النص

(ص ٥٩)

(١) لقد أحكما<sup>(١)</sup> ربط جواديهما مرة ثانية، وكان البخت يريد إيقاع السوء بهما<sup>(٢)</sup>.

(٢) واعتزما حينذاك أن يتصارعا، وكل منهما أمسك صاحبه من جلد حزامه.

(٣) وكأنما كان القدر – حينذاك – قد كبل يد سهراب القوية.

(٤) فانتابه الهم. أما رستم فقد مدّ مخالفه، وأمسك برأس هذا النمر المناضل وقامته.

(٥) وثنى ظهر ذلك الفتى الجسور، فلم يقو على النهوض فترة من الزمن.

(٦) ثم ألقى به على الأرض، كما يفعل الأسد. وكان يعلم أنه لن يبقى (منطرحاً) تحته،

(٧) فاستل من منطقته خنجرًا حادًا، ومزق به صدر ذلك الولد الميتقظ الفؤاد.

(٨) فتلوى سهراب من بعد ذلك، وأطلق أهة، وقصر (ذهنه) عن التفكير في الخير والشر.

(٩) وخاطب (رستم) قائلاً: «إن هذا قد أصابني من جراء (فعلي)، فأنا الذي أسلمت إليك المفتاح برهة من الزمن.

(١٠) وإنك لبريء من هذا، فإن هذا الفلك هو الذي نماني ثم سرعان ما قتّاني.

---

(١) الضمير في الفعل يعود على رستم وسهراب .

(٢) حرفياً : «إيقاع السوء فوق رأسيهما» .



(١١) فأترابي لا يزالون يلعبون ويلهون. وأما أنا فقد سقطت قامتي فوق الأرض على هذه الصورة.

(١٢) إن أُمي قد أعطتني علامة لأبي. وها هي ذي روحي قد هلكت من جراء الحب !

(١٣) لقد كنت أبحث عنه لعلني أري وجهه. وهانذا قد أسلمت الروح على هذا الأمل !

(١٤) فوا أسفاه أن تعبي لم يأت بثمرة، وأنني لم أر قط وجه أبي.

(ص ٦٠)

(١) فالآن، لو أنك تغدو سمكة في الماء، أو تدخل في ظلمة حالكة كالدجي،

(٢) ولو أنك تغدو نجما في السماء، وتقطع كل تعلق لك بوجه الأرض،

(٣) فإن أبي سوف يطالبك بئاري، حينما يرى أن وسادتي لبنة.

(٤) ولسوف يحمل أحد هؤلاء الكبراء الصيد علامة إلى رستم،

(٥) بأن سهراب قتيل وملقى ذليلا، وكان يريد أن يدلّي إليك برجاء»،

(٦) وحين سمع رستم ذلك تحير رأسه، وأصبحت الدنيا مظلمة أمام عينيه.

(٧) وغدا مفتقدا للقوة والهمة والبأس، وسقط طريحا وأصبح بلا وعي.

(٨) وسأله بعد أن ثاب إلى رشده، وكان يخاطبه بالنواح والأنين:

(٩) قل لي : ماذا تملك من علامة لرستم ؟ أزال الله اسمه من بين الكبراء!

(١٠) إنني أنا رستم، فلا أبقى الله هذا الاسم ! وليت ابن سام<sup>(١)</sup> يجلس في

مأتمّي !»

---

(١) يقصد بابن سام والده زال ابن سام.

(١١) وصرخ صرخة، والدماء تجيش (في عروقه). وكان يقطع شعره،  
مسترسلاً في النحيب !

(١٢) وحينما أبصر سهرابُ رستم على هذه الصورة، وقد سقط طريحاً،  
وطار الوعي من رأسه،

(١٣) قال له: «إن كنت قتلتي لأنك رستم، فما أظلم سوء طبعك !

(١٤) لقد كنت أرشدك إلى الطريق بشتى الوسائل، ولكن حبك لم يستجب<sup>(١)</sup>  
مرة واحدة.

(١٥) فالآن حلّ الرباط عن جوشني، وانظر إلى جسدي الوضاء وهو عار.

(١٦) ثم انظر إلى خرزتك فوق ساعدي، وتأمل ماذا لقي الابن من أبيه !

(١٧) فحينما علا صوت الطبول أمام بابي، أقبلت أمي، وقد احمرت  
وجنتاها،

(١٨) وكانت روحها متألّمة لذهابي. ولقد ربطت خرزة فوق ساعدي،

(١٩) وقالت لي: هذه تذكّار من أبيك ، فخذها وترقب ما تجلبه من النفع.

(٢٠) والآن وقد حمّ القضاء أصبحت عديمة الجدوى ! وها هوذا الابن غدا  
نليلاً أمام عين أبيه ! «

(٢١) وحينما فتح رستم قفطان (سهراب)، ورأى هذه الخرزة، أخذ يشق ما  
عليه من الثياب.

(ص ٦١)

(١) لقد كان يبكي دماً ويقطع شعره، وكان رأسه مجللاً بالتراب، ووجهه  
مبللاً بالدموع!

---

(١) حرفياً : « لم يتحرك من مكانه » .

(٢) فقال له سهراب : «يجب ألا ترقيق دموع عينيك، فهذه ليست بذات جدوى!

(٣) وأي نفع لك من أن تقتل نفسك الآن ؟ إن هذا كان أمراً مقدراً، وها هوذا قد جرى» .

(٤) وحينما مالت الشمس المشرقة نحو الزوال، ولم يعد رستم<sup>(١)</sup> من الصحراء إلى جيشه،

(٥) كان ظنهم أنه قد قتل، ودارت رعوس الكبراء جميعاً !

(٦) وأمر كاووس أن ينفخ في الأبواق وتدق الطبول، وجاء القائد طوس.

(٧) وقال الملك بعد ذلك للجيش: «أجروا من هنا رسولا<sup>(٢)</sup> إلى ميدان القتال،

(٨) ( ليرى ) ماذا كان من أمر سهراب . فقد وجب البكاء على أرض إيران».

(٩) وحينما علا الضجيج من تلك الجماعة، خاطب سهراب رستم<sup>(٣)</sup> قائلاً:

(١٠) «الآن وقد انقضى يومي، فقد أصبح أمر الترك على صورة أخرى.

(١١) فاسلك إزاءهم سبيل المحبة؛ حتى لا يسوق الملك جيشه إلى حرب توران<sup>(٤)</sup>.

(١٢) فهؤلاء كانوا قد خرجوا للحرب بموازرتي، وتوجهوا نحو أرض إيران.

(١٣) فيجب ألا يلقوا عناء على الطريق، ولا تنتظر إليهم إلا بعين العطف.

---

(١) « تهمتن » لقب من ألقاب رستم، ومعناه : « القوي الجبار » .  
(٢) « هيوني » : هذه الكلمة تعني رسولا عاجلا أو فرسا أو جملا سريعا .  
(٣) بيلتن لقب من ألقاب رستم ومعناه : من له حس كالفيل .  
(٤) بلاد الترك .

(١٤) فكم كنت قد قدمت لهم البشائر ! وكم كنت قد فتحت لهم من كل باب  
أملاً.

(١٥) وهل كنت أدري – أيها البطل الشهير – أن روحي ستذهب على يد  
والدي.

(١٦) إن في هذه القلعة رجلاً شجاعاً، كنت قد تصيدته بحلقة وهقى،

(١٧) وما أكثر ما ساءلته عن علامتك ! وكان خيالك دائماً أمام عيني.

(١٨) فكانت كل أقواله في غير هذا الوجه، فعسى الله أن يخلي منه مكانه.

(١٩) وحينما غدوت يائساً من جراء قوله، أصبح يومي الأبيض حالك  
الظلام!

(٢٠) فانظر من يكون من بين الإيرانيين، ويجب ألا تصاب روحه بالأذى.

(٢١) لقد كنت قد رأيت العلامة التي أنبأتني أمي بها، لكن عيني لم تصدّق.

( ص ٦٢ )

(١) وهكذا كان الطالع السيئ قد كتب على رأسي أن ألقى على يد والدي  
مصرعي.

(٢) لقد أقبلت مثل البرق، وأنا أذهب الآن مثل الريح، فلعلي أراك مرة  
ثانية وأنت سعيد في الجنة .»

(٣) وامتطى رستم صهوة الرخش وهو مجل بالغبار<sup>(١)</sup>، وقلبه يغلي بالدم  
وفي شفثيه أنفاس باردة !

(٤) وأقبل نحو جيشه منتحباً، وكان قلبه من جراء فعله جياشاً مليئاً بالأسى.

(٥) وحينما أبصر الإيرانيون وجهه، سجدوا جميعاً على التراب.

---

(١) حرفياً : « وهو مثل الغبار » .

(٦) وأطلقوا ألسنتهم بالثناء على الخالق، لعودة رستم سالماً من أرض القتال.

(٧) وحينما رأوا رأسه مجللاً بالتراب على هذه الصورة، وقد تمزقت ثيابه واعتل صدره،

(٨) أخذوا يسألونه قائلين : « ما هذا الأمر الذي جرى ؟ ومن أجل من غدوت ملتان الفؤاد ؟ » .

(٩) فأخبرهم بذلك الأمر العجيب الذي كان قد فعله، وحدثهم عن ابنه الغالي وما أوقعه به من أذى !

(١٠) فأخذ الجميع ينتحبون معه، ولم يبق لدى القائد حينذاك عقل.

(١١) وهكذا خاطب الكبراء قائلاً : « إني اليوم لا أملك قلباً ولا جسداً !

(١٢) فلا يطلب أحد منكم محاربة الأتراك، وكفاهم ذلك سوء الذي أوقعته بهم اليوم.

(١٣) لقد قتلت ابني في وقت شيخوختي، وقطعت أصل ذلك الشهير واقتلعت جذوره .

(١٤) ثم أرسل رسالة إلى هومان<sup>(١)</sup> قائلاً : « لا بد لسيف الحقد أن يبقى في غمده ؟

(١٥) إنك الآن قائد ذلك الجيش . فترفق بهم، ولعلك لا تغفل عن ذلك.

(١٦) والآن لم يعد بيني وبينك يوم للقتال. ولا مجال للقول أكثر من هذا .

(١٧) وجاء زوارة<sup>(٢)</sup> في ذلك الزمان، ونقل إلى هومان ما قاله البطل (رستم) .

---

(١) هومان هو قائد الترك بعد سهراب .

(٢) زوارة هو أحد القادة الإيرانيين من أتباع رستم.

- (١٨) وحينما تحول البطل عن ذلك المكان، عاد إلى ولده الشاب الجريح.
- (١٩) وأخذ رستم خنجرًا بيده، معزمًا أن يحتز به رأسه.
- (٢٠) فتعلق به الكبراء، وكانت دموعهم تتهمر من الأجفان.
- (٢١) وقال له كودرز <sup>(١)</sup> : « أية فائدة تعود عليك الآن، ولو جعلت وجه الأرض ينفث الدخان ؟ » .
- (٢٢) وإن أنت أوقعت بنفسك مائة لون من الإيذاء ، فأية فائدة تعود على ذلك المفضل ؟ » .

---

(١) « كودرز » هو أحد أتباع رستم.



## مختارات من رباعيات الخيام

- ١ -

كل ذرةٍ كانت على وجه الثرى  
إنما كانت وجهاً كالشمس وجبيناً كالزهرة  
فامحُ الترابَ برفق عن وجهك الملل  
فهو أيضاً كان خدّاً وغدائر لذات دلال

- ٢ -

إن الروح الذي تنزهه عن تلوث التراب  
أقبل إليك ضيفاً من عالم الطهر  
فلتهبهُ صهباء الصبوح ممدداً له  
وذلك قبل أن يهتف : أنعم الله مساك



- ٣ -

من تحقق له وقوفاً على أحوال الدنيا  
أصبح سرور الدنيا وحزنها سواءً لديه  
ومما دام خير الدنيا وشرها سينتهيان  
فسواء ؛ أكانت كلها ألماً أو راحة

- ٤ -

قالت الوردية : ليس هناك وجه أجمل من طلعتي  
فكم ذا هو ظلم ما يفعله عاصر مائي  
ولقد أجابها البابل بلسان الحال :  
من ذا الذي ضحك يوماً ولم يبك عاماً

- ٥ -

إن بداية دوران ذلك الفلك الذهبي<sup>(١)</sup>  
والخراب الذي يصيب في النهاية مثل هذا الأساس المكين  
لا يمكن أن تصبح معروفة بمعيار العقول  
كما أنها لا يمكن أن توزن بمقياس القياس

---

(١) حرفياً : « الطاس الذهبي » .

- ٦ -

أقلل من طمع الدنيا وعش راضياً  
واقطع علاقتك بخير هذا الزمان وشره  
واحسُ الصهباء وداعب شعر الحبيب  
فسرعان ما ينقضي كل هذا ولا تبقى أيامك القليلة

- ٧ -

أيها الرفاق ! حينما تتفقون على موعد للقاء  
ويسعد كل منكم رفيقه بجمال (محياته)  
ويمسك الساقى في كفه بخمر المجوس  
فاذكروا ( رفاقكم ) المسكين فلاناً بالدعاء

- ٨ -

أيها الرفاق ! حينما تتفقون على التلاقي  
فمن الواجب أن تطيلوا نكر الرفاق  
وإذا ما شربتم معاً صافي الصهباء  
فأريقوا كأسى حينما يجيء دورى

بسم الله الرحمن الرحيم  
الحمد لله الذي هدانا لهذا  
ما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله











الأستاذ الدكتور:

## محمد عبد السلام كفافي



ولد في مدينة دمياط يوم ٧ مايو ١٩٢١، درس مراحل التعليم الأولى في مدينة المنصورة، ثم التحق بجامعة القاهرة، حيث حصل على ليسانس الآداب عام ١٩٤٦، ثم دبلوم الدراسات العليا في اللغات الشرقية، ثم درس في جامعة لندن من عام ١٩٤٦ إلى عام ١٩٥٠ ليحصل على الدبلوم العالي في الوثائق والمكتبات، وعلى درجة الدكتوراه في الفلسفة عن رسالة موضوعها « بيان الأديان لأبي المعالي محمد - ترجمة وشرح ودراسة ».

انضم إلى هيئة التدريس بجامعة القاهرة في أكتوبر عام ١٩٥٠، ثم عين أستاذاً مساعداً في فبراير عام ١٩٥٧، ثم أستاذاً لآداب الأمم الإسلامية عام ١٩٦٥، وانتخب عضواً بالجمعية التاريخية بالقاهرة، وعضواً بجمعية المكتبات بالقاهرة.

وقد حضر الدكتور كفافي بجامعة ستانفورد بالولايات المتحدة الأمريكية عامي ١٩٥٣ و ١٩٥٥، كما انتدب للعمل أستاذاً بجامعة بيروت العربية عمادة كلية الآداب بتلك الجامعة في العامين الجامعيين ١٩٦٥/٦٤، ١٩٦٦/٦٥.

ومن أهم مؤلفاته ترجمة الأجزاء الأربعة الأولى من مثنوي جلال الدين رومي (شاعر الصوفية الأكبر)، اتجاهات إنسانية في شعره.

Bibliotheca Alexandrina



1060810